

تأليف

أدبك للغرباء العربيين

إعداد
الأستاذ حسن توفيق العدان

تقديم وتحقيق

د. وليد محمود خالص

كلية الآداب / جامعة السلطان قابوس / عُمان



تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف

الأستاذ حسن توفيق العدل
(١٩٠٤-١٨٦٢)

تقديم وتحقيق:

د. وليد محمود خالص
كلية الآداب- جامعة السلطان قابوس

دار أسامة للنشر والتوزيع
شبكة كتب الشيعة
الأردن-عمان



shiabooks.net

رابطه يديل < mktba.net

الناشر
دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن- عمان

هاتف: ٥٦٥٨٢٥٣ - ٤٦٤٧٤٤٧ فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤

ص. ب: ١٤١٧٨١، البیادر
حقوق الطبع محفوظة للمحقق
٢٠٠٢

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٢/٦/١٥١٣)

٤١٠

عدل

العدل، حسن توفیق

تاریخ آداب اللغة العربية / حسن توفیق العدل. - عمان:
دار أسامة، ٢٠٠٢.
(ص).

ر.ب.: ٢٠٠٢/٦/١٥١٣

الواصفات: / اللغة العربية /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الإهداء

إلى إِيَاد حاتم السلطان

الأخ والصديق...

وجدت فيك ما وجدته أبو إسحاق النظام وهو يصف صديقا له بقوله:
هو أحلى من أمن بعد خوف، وبرء بعد سقم، ومن خصب بعد جدب،
ومن الوصال الدائم، والشباب الناعم.

وقد أسهب أدباء العربية في الحديث عن الصديق فأجادوا، غير أن
المأثور عنهم أن الصديق هو أنت بيد أنه مختلف عنك في الشكل.

فهل بالغت؟ ولو علموا ما علمت منك لسكتوا

فاقبل هذا الجهد رمز صداقة دائمة، وود متصل.

وليد محمود خالص

تصدير

لم يكتب للطبعة السابقة من هذا الكتاب أن تأخذ حقها من الذيوع والانتشار لأسباب كثيرة ليس هنا مجال ذكرها، ولذلك لم تطلع عليه إلا النخبة التي رأت فيه إضافة هامة لكتب تاريخ الأدب العربي التي تفخر المكتبة العربية بها بحسبان أنه أول كتاب عربي ينتهج فيه صاحبه ما اصطلح عليه بالتيار المدرسي في دراسة الأدب العربي من حيث تقسيم عصوره إلى جاهلي، إسلامي فأُموي فعباسي وهكذا، مع مسائل أخرى كثيرة فصلنا الحديث عنها في مقدمة التحقيق.

أما هذه النخبة فقد أثنت على هذا العمل، وحسبنا أن نشر إلى ما كتبه أستاذان فاضلان عنه وهما الدكتور الطاهر مكي والدكتور أحمد هيكل فقد رجا به وأشارا إلى الجهد المبذول في إخراجه من حيث كتابة المقدمة، وتوثيق النص وضبطه، والتعليق عليه بتلك التعليقات التي يراها القارئ مبثوثة في ثنايا الكتاب كله.

ويرجو المحقق أن يكون قد قدم شيئاً نافعا بهذا العمل لتاريخ الأدب العربي يعين على فهم بدايات التأليف فيه، وتطوره فيما بعد، كما يأمل أن تنال هذه الطبعة حظاً أوفر من سابقتها من حيث الانتشار بما يعمم الفائدة المرجوة.

وهو يقدم شكره لكل من التفت إلى هذا العمل مبيناً أهميته ويخص بالشكر الأخ الدكتور نبيل أبو حلتم الذي وافق على نشره في دار أسامة لينضم إلى أخ سابق له هو النقد الأدبي في كتاب الأغاني، وليس هذا بجديد على سماحته ولطفه.

و الله ولي التوفيق

وليد محمود خالص

شتاء ٢٠٠٢م

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

تاريخ الأدب العربي سلسلة متصلة الحلقات، يرتبط فيها حديثه بقديمه، وتتكامل عصوره تكاملاً مرتباً، لا يغني الإطلاع على عصر واحد لإدراك بقية العصور، ومعرفة الاختلاف بينها، ورصد التغير الكبير الذي طرأ على كل واحد منها، فالنظرة الشاملة والقراءة الواعية هما الملجأ السليم للوصول إلى المعرفة، معرفة التطور، ومكامنه، والخصائص العامة لكل عصر، وهي - بلا شك - مختلفة، اختلاف العصر - عن الذي يليه، أو الذي سبقه.

ومن هذا الفهم لتلك الطبيعة الخاصة التي يتميز بها الأدب العربي ينبغي علينا أن ننظر إلى تلك الكتب التي ألفها أدباء ونقاد عرب في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين^(١)، فهي حلقة هامة من حلقات تلك السلسلة، لا يمكن فهم تطور الأدب العربي وخاصة الحديث فهما دقيقاً بغير الوقوف عندها، وتحصيلها، ومعرفة المؤثرات العامة التي ساعدت في صياغة أفكار أصحابها، سواء أكانت مؤثرات عربية أم أجنبية، هذا جانب من القضية واحد، أما جانبها الآخر، وهو الذي نلمسه باليد فيتمثل في ذلك الإهمال الواضح لتلك الكتب، وإغفال الجماهير من الدارسين لها، إذ لا تدخل

(١) لا يستطيع الباحث في هذا الموضوع تقديم قوائم بأسماء هذه الكتب، فهي كثيرة جداً، ونذكر منها هنا على سبيل المثال: ارتياد السعر في انتقاد الشعر، محمد سعيد، ونشر منجماً في مجلة [روضة المدارس]، سنة ١٨٧٦م. مصباح الأفكار في نظم الأشعار، شاعر شقير، لبنان، ١٨٨٨. قلائد الذهب في علم الأدب، يوحنا الحداد، بيروت، سنة ١٩٠٥م. فلسفة البلاغة، جبر ضومط، بعبدا، سنة ١٨٩٨م، بلوغ الأرب في علم الأدب، جرمانوس فرحات، طبع حجر، القاهرة. دليل الهائم في صناعة الناثر والناظم، شاعر البتلوني، بيروت، سنة ١٨٨٥م. منهل الورد في علم الانتقاد، قسطنطين الحمصي، القاهرة، سنة ١٩٠٧م، وغيرها. كما نحيل هنا إلى ثلاثة كتب قدمت ثبوتاً بأسماء هذه الكتب أو بعضها، هي: تطور النقد العربي الحديث في مصر، د. عبد العزيز الدسوقي، ص ٣١، وما بعدها، ونظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية، د. محمد يوسف نجم، ص ٧٤، والنقد الأدبي الحديث في لبنان، د. هاشم ياغي، ص ٣٥٩، وما بعدها.

في حسابهم وهم يتحدثون عن الأدب العربي الحديث^(١)، وكأن هذا الأدب نبات لا جذور له، لم يتطور التطور الهادئ المستقر الذي عرفته بقية الآداب الزاهرة. ولعل جانباً من هذا الإهمال يعود إلى صعوبة الحصول على كثير من تلك الكتب في الوقت الحاضر، فبعضها ما يزال مخطوطاً وبعضها الآخر طبع طبعة واحدة في أواخر القرن الماضي، وبداية هذا القرن وعدد نسخه قليل جداً، مما يجعله في حكم المفقود أو المخطوط، لا يستطيع الإطلاع عليه سوى نفر قليل لعل بعضهم لا يجد فيه فائدة تذكر.

ولذلك كان اهتمام قلة من الدارسين بتلك الكتب يشكل بريق أمل في أن تأخذ الدراسة الأدبية سمتها المنهجي، وطريقها السليم، ومن مظاهر هذا الاهتمام الدعوة إلى إعادة طبع بعض هذه الكتب، وتحقيق الكتب التي ما تزال مخطوطة، ومن مظاهره أيضاً إعادة طبع ما طبع منذ زمن بعيد^(٢)، ووضعه بين أيدي الدارسين لتسهيل عليهم سبل البحث، وتوضح لهم شيئاً من الصورة التي كان الضباب يغلفها، أو يطغى على بعض أجزائها.

ويقف تحقيق كتاب [تاريخ آداب اللغة العربية] للأستاذ حسن توفيق العدل رافداً متواضعاً من ذلك الاهتمام الذي أشرنا إليه فيما سبق، فهو من الكتب المبكرة في تاريخ الأدب العربي، حاول فيه مؤلفه أن يقدم تصوراً جديداً لدراسة الأدب العربي، يستفيد فيه من دراسات الغربيين في معالجة أدبهم، ودراسات المستشرقين عن الأدب العربي، مع الاحتفاظ بالشخصية العربية الإسلامية التي لم تذب في خضم تلك الدراسات التي اطلع عليها اطلاعاً متميزاً.

(١) من الضروري أن نشير هنا إلى أن الكثير من المجلات الأدبية التي صدرت هي الأخرى في أواخر القرن الماضي، وبداية هذا القرن تحتاج إلى عناية واهتمام لكي تكتمل الصورة، وتحقق الفائدة، نذكر منها على سبيل المثال: مجلة روضة المدارس، البيان، لليازجي، الزهور لإنطوان الجميل، البيان للبرقوقي، الفجر لأحمد خيري سعيد، مصباح الشرق للمويلحي، وغيرها.

(٢) نذكر هنا ثلاثة من هذه الكتب على سبيل المثال: الوسيلة الأدبية، للمرصفي، تحقيق وتقديم الدكتور عبد العزيز الدسوقي. تاريخ آداب اللغة العربية، جورج زيدان، مراجعة وتعليق الدكتور شوقي ضيف، تاريخ علم الأدب بين الإفرنج والعرب وفكتور هيجو، روعي بك الخالدي، قدم له د. حسام الخطيب.

ولم ينل هذا الكتاب حقه من العناية، سوى شذرات قليلة سنقف عندها، ويكاد يكون مجهولا بين

عامة الدارسين، ولذلك كان تحقيق هذا الكتاب وإبرازه للنور، دافعا لتحقيق ثلاث غايات هي:

- تقديم مصدر مهم من مصادر الدراسات الأدبية بشكل عام، في العصر الحديث.
 - توضيح جانب من جوانب حركة التأليف في تاريخ الأدب العربي، ومعرفة أصول هذه الحركة، والتطور الذي أصابها من خلال عملية الموازنة بين هذه الكتب، سابقها ولاحقها. ولا يمكن أن يتم هذا الأمر بصورة منهجية بغير الإطلاع على هذه الكتب جميعها، وفحصها وتقديم أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينها.
 - كشف المؤثرات العامة التي تفاعلت في الأدب العربي الحديث، وطرائق الكتابة عنه، تاريخا ومنهجيا، ويقف المؤثر الأجنبي في مقدمتها، وخصوصا في هذا الكتاب، فمن خلال العرض والطريقة، والمادة التي تكونه نستطيع معرفة هذه المؤثرات، ومدى إفادة المؤلف، أو غيره منها، وقدرته على تطويعها لكي تتلاءم مع طبيعة الأدب العربي، وشخصيته المستقلة.
- يطمح هذا الكتاب والتعليقات التي زوده بها المحقق إلى تحقيق تلك الغايات، ولفت النظر إليها، في سبيل استكمال جوانب الصورة، ووضع الأمور في نصابها العلمي القويم.

- ٢ -

نستطيع القول باطمئنان إن حياة الأستاذ العدل كانت حياة علمية خصبة، وهب سنواتها القصيرة، اثنان وأربعون عاما، للعلم: طالبا، وقارئا، ومدرسا، ومؤلفا، ومترجما. ورغد هذا الحب للعلم بإخلاص نادر قل نظيره في طلبه، والسعي إليه وتقبل الغربة بنفس راضية في سبيله، فهو لم يشغل نفسه بأسرة تأخذ من وقته الشيء الكثير، ولم يكن ليلهو مثلما يصنع أنداده من الشباب، فقط اختط لنفسه منهجا لم يحد عنه، وهو العلم وطلبه. وظل هكذا إلى أن تخرمته يد المنون، وهو في ريعان شبابه.

ولد بمدينة الإسكندرية سنة ١٨٦٢م ميلادية^(١)، وبعد أن بلغ من العمر ما يمكنه من الدراسة أسلمه والده الأستاذ عبد الرحمن العدل إلى بعض علماء دمياط، إذ كان رئيس محكمتها، وكان الطفل حسن قد انتهى من حفظ القرآن الكريم قبل جلوسه إلى العلماء، ولا شك أنه أخذ منهم ما يأخذه الصغار في ذلك الوقت من مبادئ العربية والفقه وما إليها من العلوم الإسلامية.

وانتقل بعدها إلى القاهرة حيث الأزهر فتلقى العلوم المختلفة على يد علمائه المشهورين، وحصل على إجازته وسنه تسع عشرة سنة، وقد نقل لنا الأستاذ محمد عبد الجواد أربع إجازات علمية حصل عليها من أربعة علماء هم: الشيخ إبراهيم السقا سنة ١٢٩٧هـ والشيخ حسن العدوي سنة ١٢٩٧هـ والشيخ محمد الأنباري سنة ١٢٩٨هـ والشيخ محمد البناني الشنقيطي سنة ١٢٩٨هـ.

ولم يقف شغفه بالعلم عند حدود الأزهر، بل نراه يدرس بمدرسة الشيخ صالح ليلا، وينفق وقته في الأزهر صباحا، ويتلقى في تلك المدرسة ألوانا من العلوم ليلا، مثل: الجغرافيا، والرياضة، والتاريخ، كما كان تعلم الفرنسية إحدى أمانيه، فانكب على دراستها، والتزود منها.

وكان دخوله إلى دار العلوم منعظا مهما في حياته، إذ قرن فيها ما حصله في الأزهر من علوم بعلوم حديثة، ودرس فيها أربع سنوات، وتخرج فيها سنة ١٨٨٧م، ومن الطريف أنه كان الخريج الوحيد في ذلك العام، فهو "فرقة واحدة، حقيقة لا مجازا"^(٢)، وقد درس في دار العلوم موادا مختلفة مثل: التفسير، والفقه، والعلوم الأدبية، والتاريخ العام، والجغرافيا، والحساب، والهندسة، والكيمياء، وغيرها^(٣). وقد أطلعنا في

(١) ينظر في سيرته: تقويم دار العلوم، ص ١٧٨، وما بعدها ومجلة الكتاب، عدد يوليو سنة ١٩٤٧م، ص ١٣٧٤ وما بعدها، والأعلام، للزركلي، ٢٠٠٢، ومعجم المؤلفين، كحالة ٢١١/٣ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، سركيس، ١/٥٦٦، وهناك تفاصيل مفيدة أوردتها الأستاذ العدل في كتابه [الرحلة البرلينية] تحدث فيها عن إقامته في ألمانيا مدة خمس سنوات ونيف.

(٢) من مقال الأستاذ محمد عبد الجواد عن الأستاذ العدل، في مجلة الكتاب، ص ١٣٧٧.

(٣) ينظر تقويم دار العلوم، ص ١٩، عن مواد الدراسة فيها من سنة ١٨٧٢ إلى سنة ١٨٨٧، وهي سنة تخرجه فيها.

ذكر ما حصله في الأزهر ودار العلوم لبنين تلك الثقافة المتكاملة التي تجمعت بين يديه، قديمة وحديثة من جهة، لا تقف عند حدود العلوم الإنسانية وحدها، بل تتجاوزها إلى العلوم البحتة من جهة أخرى، وقد مده هذا بزايا من سعة الأفق، والنظرة العلمية المنطقية للأمور، والقدرة على التحليل ووضع الأشياء إلى نظائرها، مما كان له أثر كبير في كتبه التي انصرف إليها بعد هذا.

وقد اختارته [نظارته] المعارف ليكون معلما للغة العربية بالمدرسة الشرقية ببرلين، فسافر إليها وقضى هناك خمس سنوات ونيف، وأودع ذكريات تلك الرحلة والإقامة في كتابه الذي أسماه [الرحلة البرلينية] فصل فيه الحديث عن مشاهداته وتجاربه وسياحته بأسلوب سلس، مناسب يشهد له بالبراعة والتمكن من لغته. ولا شك أنه استفاد إلى جانب الفوائد الكثيرة التي جناها من تلك الرحلة، أقول استفاد علما باللغة الألمانية، وتبحرا فيها، وإطلاعا على دقائقها، مما مكنه أن يترجم قطعا من الشعر الألماني إلى اللغة العربية كما سرى بعد قليل، وبذلك أضاف لغة ثانية إلى الفرنسية التي تعلمها بمصر في أثناء دراسته بالأزهر.

ومن الضروري أن نقف هنا عند أمرين يتعلقان برحلته إلى ألمانيا وإقامته فيها، أولهما أن الأستاذ العدل لم يقف في هذه الإقامة عند حدود وظيفته من حيث كونه مدرسا، بل راح يتغلغل في المجتمع الألماني لمعرفة عاداته وتقاليده، النافع منه والضرر، ويربط هذا كله بعادات مجتمعه، وتقاليده، ويحاول التعرف كذلك على جغرافية ألمانيا، وسكانها والبلدان المجاورة لها، وكأنه وجد في هذه فائدة لنفسه، ولقومه الذين يكتب لهم، كما أنه أولى نظم التعليم والتدريس في ألمانيا عنايته، فسعى جاهدا للإطلاع عليها، والتزود منها مما كون له حصيلة طيبة أفادته كثيرا بعد عودته إلى موطنه، واشتغاله بالتدريس مرة أخرى.

أما الأمر الثاني فهو ذلك اللقاء الذي تم بينه وبين إمبراطور ألمانيا غليوم الذي دعاه لزيارته، فذهب إليه بزيه الشرقي: العمامة، والجبّة، والقفطان، وألقى بين يديه قصيدة، وحدثه عن مصر وأهلها، وكان موضع تكريم، وحفاوة من الإمبراطور إذ قلده

بعد هذا وسام التاج الملوكي، وسلمه براءته بنفسه^(١)، ويأتي هذا الاستقبال مظهرا من مظاهر المكانة العالية التي نالها الأستاذ العدل في ألمانيا بسبب جده، واجتهاده وإخلاصه، كما إنه يتفق مع "سياسة غليوم التي كانت تهدف إلى التقرب من العالم الإسلامي والعربي، يقابل ذلك أن اللغة الألمانية بدأت تأخذ مكانها في المدارس المصرية في أواخر عهد الخديوي إسماعيل، هذا إلى أن الخديوي توفيق أرسل ولديه إلى فينا للدراسة وأنهما في هذا التاريخ زارا الإمبراطور غليوم في برلين"^(٢)، فكان مكانة الأستاذ العدل، وسياسة الإمبراطور اتفقتا فكانت تلك الزيارة التاريخية النادرة، يضاف إلى هذا أن رجل السياسة الألماني المعروف بسمارك، ومستشارها المشهور سمع هو الآخر بالأستاذ العدل، فأرسل إليه أحد الوزراء يسأل عنه، ويقدم له الشكر على ما كتبه عنه من ترجمة حياته، وإشادة بجهوده في سبيل ألمانيا.

وبعد انتهاء المدة المقررة له في ألمانيا، قام بجولة في أوروبا، وخاصة إنكلترا للوقوف على طرق التعليم والتربية في المدارس الكبرى، فزار جامعات أوكسفورد، وكمبردج، وإيتون، وهارو، عاد بعدها إلى مصر ليعمل أستاذا بدار العلوم، ومفتشا ب (نظارة) المعارف.

وتشاء الصدق أن يصل الدكتور إدوارد براون الأستاذ بجامعة كمبردج مع رفيقه لوريمار وكيل مقاطعة بنجاب بالهند إلى مصر، ليحضرا دروس دار العلوم، ويبقيا سنة دراسية كاملة فيها^(٣)، فيقع اختيار الدكتور براون على الأستاذ العدل ليكون مدرسا "لتعليم فئة من طلبة المدارس الجامعة بإنكلترا اللغة العربية لتوظيفهم في الحكومة المصرية"^(٤)، فيغادر إلى إنكلترا سنة ١٩٠٣م، ويبدأ مهمته هناك على ما عهد فيه من التفاني، والإخلاص، ولم يلبث قليلا حتى يعين أستاذا للغة العربية بجامعة

(١) ينظر تقويم دار العلوم، ص ٣٦.

(٢) من مقال الأستاذ أحمد عطية الله عن الأستاذ العدل، مجلة الهلال، الجزء السادس، المجلد الحادي والستون، يونيه، سنة ١٩٥٣م.

(٣) ينظر تقويم دار العلوم، ص ٣٦.

(٤) من مقال الأستاذ محمد عبد الجواد بمجلة الكتاب، ص ١٣٧٩.

كمبريدج، أي الجمعية الآسيوية الملكية. وما هي إلا شهور قليلة حتى دهمه الموت، وهو في كامل عافيته مساء يوم الجمعة الثالث من يونيو سنة ١٩٠٤م فيحزن لفقده أصدقاؤه، وعارفو فضله، وعلمه، وينقل جثمانه إلى القاهرة حيث يشيع بموكب مهيب^(١).

ولعل ما تقدم عن سيرة الأستاذ العدل يؤكد ما أشرنا إليه في مفتتح هذه الفقرة عن حياته العلمية الصافية، وإخلاصه النادر فهي على سنيها القصيرة كانت ملأى بالجهاد والصبر وإرساء دعائم التفكير السليم. والحث على طلب العلم والسعي وراءه، فلا غرابة بعد هذا أن ينال ما ناله من تكريم في حياته، وبعد وفاته.

- ٣ -

ترك الأستاذ العدل كثيرا من المؤلفات في علوم مختلفة، بعضها ما يزال مخطوطا، والآخر طبع مرة واحدة أو اثنتين في أواخر القرن الماضي، ومطلع هذا القرن، وباتت نسخ هذا المطبوع نادرة الوجود، يصعب الحصول عليها.

وقد استطاع الباحث إحصاء الكتب الآتية مع الإشارة إلى طبعاتها^(٢):

١. منظومة في النحو. لم تطبع.
٢. منظومة في علم مصطلح الحديث، لم تطبع.
٣. منظومة في الحساب، أسماها [روضة المدارس]، قدم لها بالبيتين الآتين:
أهديكم أهل المدارس روضة غنى بها القمري بنظم حساب
إن كنتم لا تقبلون هديتي فالله يرزقني بغير حساب
٤. المقامة العدلية والمقامة العذولية، طبع بمطبعة والده عباس بعد وفاته سنة ١٩٠٧م بعشرين صفحة.
٥. الرحلة البرلينية، طبعت بمطبعة الحجر بمدرسة الصنائع من سنة ١٣٠٥-١٣٠٧هـ، ويصف الأستاذ محمد عبد الجواد هذه الطبعة بأنها نادرة

(١) هناك تفاصيل وافية عن وفاته، وموكب تشييعه في تقويم دار العلوم، ص ١٨٢، وما بعدها.

(٢) تنظر المصادر، والمراجع المتقدمة عن سيرته.

الوجود، ولم يستطع الباحث الإطلاع على هذه الطبعة، ولكنه وفق في الحصول على نسخة مصورة من مخطوطها المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٣ جغرافيا، وقد أشرنا إلى هذه الرحلة فيما سبق.

٦. البيداوجيا، أي علم هداية الأطفال، ذكر فيه طرق تهذيب الناشئة، وكيفية السلوك بهم إلى ما يحقق تصفية أنفسهم، وأخلاقهم، ونجاح عاقبتهم، وهو في جزئين طبع الأول في بولاق سنة ١٨٩١م والثاني فيها أيضا سنة ١٨٩٢م بمائة وخمس وأربعين صفحة.

٧. رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا، طبع بالمطبعة الأميرية على نفقة [نظارة] المعارف، سنة ١٨٩١م.

٨. الحركات الرياضية البدنية، طبع بالمطبعة الأميرية، سنة ١٨٩٤م.

٩. مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات، والتربية الجسمية منذ الحمل إلى سن البلوغ، طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١٥هـ باثنتين وتسعين صفحة.

١٠. أصول الكلمات العامة - الرسالة الأولى والثانية - طبع بمطبعة الترقى سنة ١٨٩٩م وطبع مرة أخرى بمطبعة والده عباس سنة ١٩٠٧م، بعد وفاة المؤلف ويقع بثمان وستين صفحة.

١١. تاريخ آداب اللغة العربية، وهو كتابنا هذا، وسنرجئ الحديث عنه.

١٢. سياسة الفحول في تثقيف العقول، رسم فيه ثلاثة أشكال: الأول على نمط قيل وقال، والثاني: حكم وأمثال شعرية، والثالث: حكم ونصائح شعرية. طبع بعد وفاته سنة ١٩١٠م بمطبعة أبي الهول.

١٣. تاريخ اليونانيين والرومانين، لم يطبع.

١٤. تاريخ ممالك أوروبا إلى سنة ١٨٩٠م لم يطبع، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن الأستاذ العدل أفرد الأجزاء: السابع والثامن والتاسع من رحلته البرلينية لسيرة بسمارك، وقف فيها تفصيلا عند حياته، وارتقائه سدة الحكم، وعلاقاته بدول أوروبا وحروبه وكيفية إدارته الحكم، وهذا

يشير إلى اطلاع واسع على تاريخ أوروبا بثه في ذلك الكتاب، وفي رحلته البرلينية.

١٥. حياة العرب قبل الإسلام. لم يطبع.

١٦. رواية ليلى بنت لكيز. لم تطبع.

١٧. وصايا الآباء للأبناء. لم يطبع.

هذا ما استطاع الباحث الوصول إليه من مؤلفات الأستاذ العدل، وهي كما يظهر من عناواناتها تشمل علوما مختلفة، وفنوننا شتى، وتمثل ثقافته الواسعة، وما كان يولييه اهتمامه من قضايا تهم وطنه، ومجتمعه وتسهم في إثراء حركة التأليف بما عاد نفعه على دار العلوم التي عمل بها أستاذاً، وعلى وطنه وأمته. ومن الضروري أن نقف هنا عند أمرين نراهما متعلقين بمؤلفاته، ونشاطه العلمي، وهما: المجلة التي أصدرها، وشعره المتناثر.

أما المجلة فقد ذكر الأستاذ محمد عبد الجواد أن شقيق الأستاذ العدل، السيد علي جمال الدين باشا أخبره أن أخاه حينما كان في ألمانيا أصدر مجلة أسماها [التوفيق المصري]، ويضيف الأستاذ عبد الجواد أنه "حاول الإطلاع على عدد منها فلم يوفق"^(١)، مع سعة استقصائه ودأبه المتواصل في دراسة سيرة الأستاذ العدل. ويظهر من عنوان هذه المجلة أنه كان يقصد بها الخديوي توفيق الذي مثل بين يديه في الإسكندرية، وهو مسافر إلى ألمانيا، وطلب منه "بذل الجهد في تحصيل العلوم التي تعود منفعتها على الوطن العزيز"^(٢)، ومنحه النيشان المجيدي من الدرجة الخامسة فكان إصدار هذه المجلة باسمه اعتراف منه بجميله عليه، ورد بعض أياديته. ولعل الأيام تسعف في المستقبل القريب بالحصول على نسخة مصورة من هذه المجلة لمعرفة الموضوعات التي كانت تنشرها والمواد التي حوتها.

وأما الأمر الثاني فهو شعره المتناثر في التراجم التي أفردت له، ونقل أغلبه الأستاذ محمد عبد الجواد في أثناء الحديث عنه. وأغلب هذا الشعر إن لم يكن كله قيل

(١) من مقالة بمجلة الكتاب، ص ١٣٧٩.

(٢) الرحلة البرلينية، للأستاذ العدل، الجزء الأول، الورقة السابعة.

في مناسبات معينة، فهو شعر مناسبات، يحمل خصائص هذا الشعر من حيث تطويعه للحادثة التي قيل فيها، ومجيؤه متفقا معها، شكلا، ومضمونا، ويغلب عليه أيضا روح الظرف، والدعابة، كما لا يخلو من نزعة تعليمية وروح تروم التوجيه، وإسداء النصح، فكأن سجية المعلم لم تكن لتفارقه حتى وهو يحاول الانطلاق في عالم الشعر، ويسبح في بحاره، ومن هنا جاء يحمل معه سمات من الضعف الفني، وضمور عنصر- التصوير، والميل إلى المباشرة، والتقرير في سبيل توصيل فكرة ما، أو توجيه نصيحة معينة. فنسمعه يقول وقد ضمن بيتيه كلمات فرنسية:

يا أديبا إذا لقيت أريبا	وظريفا، وقد علاه الوقار
قل له بالنهار: بنجور مسيو	وإذا الليل جن، قل له: بنسوار

وتظهر روح الدعابة فيهما واضحة، ويقول أيضا:

رقم الدهر سطور البشر— مذ	لاح في برلين شمسٌ وقمر
رمق الأفق سناهم فانجلى	في سرور طرفه الزاهي وقر
رق وازداد بهم— مدحي ولا	مثل ما يزدان في العين حور
روح بشراي بهم قد جليت	ولها الأحشاء قد صارت مقر

فتراه يقدم تلك الأبيات إلى نجلي الخديوي توفيق بمناسبة زيارتهما برلين، كما إنه استخدم فيها صنعة شكلية تدعى بـ [المربع] ليثير فيها الانتباه، ولعلها كانت من مظاهر التفوق في ذلك الوقت.

ونراه ينظم هذه القصيدة، ويلقيها على مسامع طلابه بمدينة كمبردج بعد أن ألقى خطبة حثهم فيها على مواصلة الدرس، والانصراف إلى طلب العلم، يقول:

ذهب الخفاء فلا تسل عما جرى	وانهض وهنيء مصر— مع إنجلترا
فالיום قد بدت الحقيقة بعدما	بالأمس كان الأمر أحلام الكرى
وتواصل (النيل) السعيدة أرضه	(بالتمس)، واستولى الوفاق وكبرا
يا أيها الشبان قبلكم مضى—	قوم يعدون التعارف منكرا
فتناكر القومان واستولى الجفا	إذ لا لسان يبين ما قد أضمر

كيف الوفاق يكون بين عشيرة
والآن قد أدركتم، وعرفتم
وعلمتم أخلاق مصر— وأنكم
إن كنتم نفرا، فإن رجاءنا
عهدي بكم أن تقشعوا سحب الجفا
خرساء لا تبدي وأخرى لا ترى
هذا اللسان العذب فأنكشف المرأ
سترون لطفًا كالنسيم إذا سرى
فيكم، وكل الصيد في جوف الفرا
عن أفق مصر، وتحكموا تلك العرى

ومعلوم أن هؤلاء الطلاب سيوظفون في مصر بعد انتهاء دراستهم، فهو يسدي لهم النصح كي يكونوا
وسائل تفاهم وتقارب، لا قطيعة وجفاء.

وينضوي تحت ما تقدم محاولة الأستاذ العدل ترجمة شيء من الشعر الغربي إلى اللغة العربية، فهو
يختار من الشعر ذي الطبيعة الحكمية، الذي يحث على العمل، والاجتهاد، من ذلك هذه الأبيات التي ترجمها
شعرا عن الألمانية، وكان الألمان يترنمون بها، ويلهجون بتلاوتها على حد قوله، وهي:

وإذا القلوب تصادقت وتآلفت
حتى نصوص بلادنا ونشيد من
فنكون أرفع في الأنعام مكانة
ما بين ماس وبلد إتش وميمل
منا، وكان جميعنا أخوانا
أركانها، ونعزز الأوطاننا
وأعز من بين الورى سلطانا
وطن، فلا زلنا به ألمانيا

ويلحق على هذه الترجمة فيقول: "والمراد بهذا البيت الأخير ذكر حدود الإمبراطورية الألمانية بأنها ما
بين نهر ماس الذي يفصلها عن حدود هولاندة وبلجيكا، ونهر ميمل الذي يفصلها عن حدود مملكة بروسيا،
ونهر اتش الفاصل لها عن حدود مملكة إيطاليا"^(١).

ولن نترك الحديث عن شعره حتى نتوقف عند قصيدة ظفرنا بها في رحلته البرلينية، قالها وهو على
ظهر السفينة يودع مصر، متوجها إلى أوروبا، أودعها كل

(١) ينظر الشعر، وتعليق الأستاذ العدل في رحلته البرلينية، الجزء الخامس، الورقة الثامنة.

معاني الحنين، والوفاء، وراح يبين همته، وقدرته على ركوب الصعاب ليصل إلى مقصده، ولم ينس أن يخص الخديوي بأبيات منها، يمدحه فيها، ويبين أثره. يقول^(١).

يا مصر— مهلا في الوداع وأجملي	فلغير وصلك عنك لم أترحل
ودعي فتى عشق الفضائل يدرع	سيفا يضارع ماضي المستقبل
أنا لا أحيـد عن الوداد وإن أكن	عنه أحيـد فلا أكون [أبا علي]
لا أرـتضي— بسوى هـواك وإن لي	يا مصر— قلبا ليس عنك بمنسلي
بك قد نشأت وفيك أسرتي الألي	بهم أتيه على الزمان وأعتلي
وأنا امرؤ لا يستميل بي الهوى	لذوي القـدود ولا ذوات المحجل
أمسي— وأصبح في العلوم ولم أقل	[يا أيها الليل الطويل ألا انجلي]

إلى أن يقول:

وإذا تكون عظمة فعزيمتي	أسمو بها فوق السماك الأعزل
ودعتني العليا لنيل وصالها	من دون ما مهر فلم أتقبل
والمرء إن أعطى المعالي مهرها	علما، جديرٌ أن يقول لها: صلي

وهي طويلة عدتها ستة وثلاثون بيتا، تنضوي تحت شعر المناسبات الذي أشرنا إليه فيما سبق، ولكن روحا سرت فيها جعلتها مختلفة عما سبقها من أبيات، فكأنه أطلق لنفسه العنان فجاءت الأبيات على سجيته، طويلة، معبرة، تحكي عن صاحبها، وتحدث عنه.

-٤-

[تاريخ آداب اللغة العربية] هو العنوان الذي اختاره الأستاذ العدل لكتابه لكي "يشخص الحياة البيانية للأمة العربية في العصور المختلفة من نشأة لغتها، وتدرجها، وما دون فيها من أنواع العلوم، والفنون"^(٢)، وللوصول إلى تلك الغاية فقد قسم كتابه حسب العصور الأدبية: الجاهلي، ابتداء الإسلام، الأموي، مع خمس مقدمات عامة بدأ

(١) الرحلة البرلينية، الجزء الأول، الورقة ١١.

(٢) ينظر ص ٢، من الكتاب.

بها الكتاب، وهي: احتياج الإنسان إلى التفاهم وإلى معرفة الموجودات - محاكاة الطبيعة في النطق - اللغة - آداب اللغة - تاريخ أدب اللغة.

هذا هو الهيكل العام الذي قام عليه الكتاب، ويبدو أن الموت عاجله قبل إتمامه إذ توقف عند العصر الثالث وهو الأموي، مع أننا نراه يعد بالحديث عن عصرين آخرين في المقدمة، وهما: العصر - الرابع: عصر الدولة العباسية والدولة الأندلسية، والعصر الخامس، عصر - الدول المتتابعة إلى هذا العهد، وهما غير موجودين في الجزء الذي بأيدينا، ولعله كان يخطط لإفراد جزء خاص بهما^(١)، ولكن الموت عاجله فلم يستطع إتمام الكتاب كما ذكرنا سابقا، غير أننا استطعنا تبين منهجه، وطريقته في العرض من خلال ما هو موجود عندنا. يذكر الأستاذ محمد عبد الجواد أن نواة هذا الكتاب كانت "مذكراته في الأدب العربي"^(٢) التي كان يلقيها على طلابه في ألمانيا، وبعد عودته إلى مصر قام بتأليف هذا الكتاب اعتمادا على تلك المذكرات، ومن هنا نستطيع تفسير تلك الروح التعليمية التي تند في الكتاب هنا وهناك، تشير إلى تلك المذكرات، وتوهم إليها، مثال ذلك أسلوب الخطاب الذي يستخدمه في كتابته كقوله: وإليك أبياتا منها، أو إليك بعض خطبه، وكأنه يخاطب مستمعين، ولا يكتب إلى جمهور قراء، ومثاله أيضا رغبته في عرض مواد كثيرة بلا تغلغل في دقائقها، فكان غايته العرض، والبسط لا التمهيص والتدقيق، وهو ما يتناسب مع طلاب بعيدين بعض الشيء عن العربية، وأدبها، فكان القصد هو التوسع في المادة على حساب التريث.

ولذلك نراه يحرص على عرض جوانب العصر الذي يقف عنده من جوانبه المختلفة: الجغرافية، والاقتصادية، واللغوية، والسكانية، والعقلية، والدينية، ثم يخص الأدب بقسميه: الشعر، والنثر بجل اهتمامه، فيتوقف عند الشعراء مترجما لهم ترجمات

(١) في آخر النسخة التي بأيدينا إشارة إلى انتهاء هذا الجزء، وهو الأول، ويليه الجزء الثاني، وأوله اللغة العربية في العصر العباسي.
(٢) من مقالة بمجلة الكتاب، ص ١٣٧٩.

قصيرة، ويورد نماذج من شعرهم، ويشير إلى دواوينهم المطبوعة، مع نقل آراء النقاد العرب القدماء في شعرهم، وتحديد مكانتهم الشعرية، ويولي النثر عنايته هو الآخر، فيقف عند نوعيه: الخطب، والرسائل، ويتحدث عن أشهر الخطباء، وكتاب الرسائل، ويسوق نماذج من خطبهم، ورسائلهم ويشير إلى ما هو مطبوع أيضا.

وربما يقال إن ما قدمه المؤلف من المباحث، والتراجم يعد قاصرا في وقتنا الحاضر، بسبب طبع كثير من كتب التراث التي صدرت بعده، وكذلك الدواوين، كما إن الدراسات الكثيرة التي ظهرت قد غيرت من مفاهيمنا حول الأدب القديم، والمسلمات التي كان يأخذ بها الدارسون قبل مائة عام مثلا، يضاف إلى ما تقدم أن الكتاب من الممكن أن يعد قاصرا أيضا بالقياس إلى الكتب التي تحمل العنوان نفسه، [تاريخ الأدب العربي]، أو [تاريخ الآداب العربية] مثل كتب: كارل بروكلمان، وجورجي زيدان، ومحمود الرافعي، وغيرها، فهي -بلا شك- أوسع مباحث، وأغزر مادة، وأعرض تاريخا، كما إن بروكلمان -كما هو معروف- قدم مصادر دراسة الترجمة، مع ذكر وأماكن وجود المخطوطات، مما جعل عمله يقف متقدما بين نظرائه من الأعمال التي ألفت في هذا المجال، وفي وقتها المبكر.

إن ما تقدم يسنده حال الكتب نفسها، من حيث أحجامها، والمادة التي قدمتها مما لا يحتاج إلى كبير جدال، ولكن للمسألة وجهها الآخر، وهو إن قيمة هذا الكتاب ومنزلته لا تنبعان من مادته حسب، وإنما من المنهج الذي عرض به مؤلفه المادة المتاحة بين يديه في زمنه، وقدرته على الإفادة من مناهج المستشرقين الذين اطلع على أعمالهم، وطرائق تأليفهم، وكيفية معالجتهم النصوص، ولعل ما قاله الأستاذ أحمد أمين يوضح الصورة قليلا، ويكفي أن ننقل تجربته الخاصة في الدراسة بمدرسة القضاء التي انضم إليها طالبا سنة ١٩٠٧م ليتبين لنا البون الشاسع بين طريقتين في عرض الأدب العربي، يقول:

"... ودرس لنا الشيخ محمد المهدي أدب اللغة العربية، وكان هذا الأدب حديث العهد في مصر.

فالناس لم يكونوا يعرفون الأدب إلا على هذا النحو الذي جاء في مثل

كتاب الأغاني، والعقد الفريد، والأُمالي، ونحو ذلك، أما تاريخ الأدب إلى عصور، وترجمة شعراء كل عصر، وخصائصه، فشيء لم يكن معروفاً، حتى أتى الأستاذ حسن توفيق العدل، وقد تعلم في ألمانيا، فأدخل العلم على هذا النمط في مدرسة دار العلوم، إذ كان أستاذاً فيها، مسترشداً بما كتبه الألمان في تدريس أدبهم، وجاء تلميذه الأستاذ محمد المهدي، فبنى عليه، وأعد لنا مذكرات واسعة فيه، وكانت ميزته الكبرى تذوقه الأدب، وتقويم جيده من رديئه، وحسن إلقائه للشعر^(١). وقد أثرت نقل النص -على طولهِ- لأنه يقدم جملة أمور ينبغي التوقف عندها، منها إن طريقة التدريس والتأليف معا كانتا تنحوان نحو القديم وحده، بكتبه، وطرقه، ووسائل إيصاله، ومنها إن الأستاذ العدل هو أول من أدخل منهجاً جديداً في التأليف، والتدريس يعتمد على القديم، والحديث معا، فهو رائد في هذا المجال، وتجربته تحتمل الأوجه كلها، وفيها محاسن المحاولة الأولى. كما إن فيها عيوبها أيضاً، ويكفيه أنه حاول، وجرب، ومن هذه الأمور أيضاً أن ما قدمه الأستاذ العدل لم يقف عنده وحده، بل تعداه إلى طلابه داخل دار العلوم، وإلى الحياة الثقافية في مصر، والبلاد العربية، فوجدنا من يتبع تلك الطريقة في التدريس، أو يتأثر بها في التأليف^(٢) مما يدل على رصانتها، وقوتها، وفوائدها الكثيرة التي تقدمها، ولعل في هذا ما يقدم أدلة مقنعة على أهمية هذا الكتاب، وضرورة النظر إليه وفق سياقه التاريخي، ومنهجه، لا مادته القليلة التي يقدمها حسب.

ولذلك نستطيع القول إن هذا الكتاب يعد حداً فاصلاً بين طريقتين، أو منهجين، طريقة ترى أن الأدب ليس سوى نقل ما هو موجود في المصادر من أشعار، وأخبار بلا ترتيب، أو تدقيق، أو تفرقة جادة بين العصور، غايتها الحفظ والتلقين، ولو أردنا

(١) حياتي، أحمد أمين، ص ١٠١.

(٢) يقول الدكتور الدسوقي: "... وهناك مؤلفون تأثروا مباشرة بمنهج حسن توفيق العدل، وألفوا كتباً على غرارهِ"، ينظر تطور النقد العربي الحديث في مصر، ص ٢٢٢. وينظر كذلك كتاب الأدب المقارن، د. الطاهر مكي حيث يقول: "... وقد سار الدارسون من بعده على نهجه في التدريس والتأليف، مع شيء من التفصيل أو التعديل"، ص ١٧٥.

تشقيق الشعرة لقلنا إن تلك الطريقة تحمل في أحشائها شيئاً من الزهد في هذا اللون من [العلم]، وتفضل عليه ما استقر من العلوم العربية مثل النحو، والصرف، والبلاغة، وما إليها من العلوم، ونقول، وبين طريقة أخرى قوامها الترتيب، والنظرة التاريخية للعصور، بغية كشف الاختلاف بينها، ووضع اليد على مكانها التطور، والتغير الذي دخل الأدب، مع نظرة مشوبة بالاحترام لهذا الصنف من [العلم] الذي يستطيع من خلاله فهم أمور كثيرة هي من صميم العصر، وليس كالأدب قوة تعين على الفهم الدقيق، والتغلغل الفاعل.

وقد أشار بعض الباحثين إلى الدور الذي قام به الأستاذ العدل في توجيه تلك الطريقة، والدعوة إليها من خلال كتابه هذا، فنرى الأستاذ عز الدين الأمين يقول: "...ولما عهد إليه بتدريس الأدب بدار العلوم سنة ١٨٩٨م بدأ يدرسه على الطريقة الحديثة، فهو بذلك أول من سن هذه الطريقة في مصر. وقد وضع كتاباً^(١) جمع فيه طائفة من الشعراء مع تراجمهم، وشيء من مختارات أشعارهم، وتوخى فيه ترتيباً خاصاً، ومنذ ذلك الحين انتقلت دراسة الأدب العربي بوجه عام لوضع جديد، غير وضعها السابق الذي يعتمد على قراءة كتاب جامع لكل فنون اللغة"^(٢)، ويقول الأستاذ عبد الحي دياب: "...والدارس لحركة التجديد في نقدنا العربي من واقع محاولات النقد يخرج بأنهم قد استفادوا من معرفتهم للأدب الأوربية ومناهج الدراسة فيها في دراسة الأدب العربي، ونقده، وآية ذلك أننا نجد ناقداً مثل حسن توفيق العدل لا يروقه أن يدرس الأدب العربي على الطريقة القديمة التي كانت تتمثل في شرح حماسة أبي تمام، وكامل المبرد، وأمالي أبي علي القالي، وغيرها من أمهات الكتب العربية، كما كان يصنع دارسو الأدب العربي قبل ذلك، لم يرقه ذلك لأنه رأى أن تاريخ آداب اللغة لأي أمة يبحث عن الحياة العقلية، والبيانية في الأمة في مختلف عصورها... وتاريخ آداب اللغة تابع في تقسيمه للتاريخ السياسي، أو الديني في كل أمة... وتأسيساً على هذا

(١) يريد به كتابه هذا الذي نحن بصده: تاريخ آداب اللغة العربية.

(٢) نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ص ٥٣.

الفهم نرى العدل يقوم بمحاولة ناجحة في دراسة الأدب العربي تسمى [تاريخ آداب اللغة العربية]، ويعنى فيها بالبحث عن الحياة العقلية، والبيانية للأمة العربية^(١).

ويجعل الدكتور عبد العزيز الدسوقي الأستاذ العدل من أوائل الذين رادوا التيار المدرسي^(٢) في دراسة الأدب، ونقده، إذ أفاد الدراسة الأدبية حين "حررها من الاقتصار على التصور البلاغي، والعناية بالنحو والصرف، وفتح أمامها أفقا أوسع، وأضاء أمامها العلاقة بين الأدب، وبين المؤثرات السياسية، والاجتماعية، والدينية"^(٣)، ويذهب إلى تأثر الأستاذ العدل بكتاب كارل بروكلمان [تاريخ الأدب العربي] الذي نشر للمرة الأولى سنة ١٨٩٢م، ويجد بينه وبين كتابنا هذا تشابها كبيرا في المنهج، "ف فكرة تقسيم الأدب إلى عصور، وفكرة تأثر الأدب بالعوامل الاجتماعية، والدينية، كل أولئك لابد أن يكون حسن توفيق العدل قد تأثر به من قراءته لبروكلمان^(٤)، فقد أجاد الألمانية إجادة تامة"^(٥)، وينتهي الدكتور الدسوقي إلى القول: "... وسيظل كتاب حسن توفيق العدل هو الكتاب الرائد في دراسة تاريخ الأدب العربي"^(٦). ويرى الدكتور الطاهر مكي

(١) عباس العقاد ناقد، ص ٤٨-٤٩.

(٢) من الضروري أن نشير هنا إلى أن وصف هذا التيار بالمدرسي لا يعني الغض منه، أو التقليل من شأنه فهو قد أدى أغراضه كاملة، وأفاد الدرس الأدبي أيا فائدة، ولكنه لم يستطع أن يطور نفسه باستخدام أدوات جديدة، وتوظيف المفاهيم النقدية المتطورة، فبقي ثابتا في مكانه، وقد أشار الدكتور الدسوقي إلى شيء من هذا تحت عنوان [تجمد الاتجاه المدرسي]، ولكننا لا نغفل هنا إطاره الزمني من جهة، والفوائد الكثيرة التي قدمها من حيث التعريف والإحصاء من جهة أخرى.

(٣) تطور النقد العربي الحديث في مصر، ص ٢٢١.

(٤) نرى من المناسب أن نلفت النظر هنا إلى أن بروكلمان حين وضع سردا بأسماء من ألف كتابا في تاريخ الأدب العربي من أهل مصر، والشام، والعراق، أغفل ذكر كتاب الأستاذ العدل مع أنه أورد أسماء كتب تتأخر عنه بوقت كافٍ مثل كتابي أحمد أمين، فجر الإسلام، سنة ١٩٢٨م، وضحي الإسلام سنة ١٩٣٥م، وكتاب محمد أمين النواوي، تاريخ الأدب العربي في مصر العهد الفاطمي إلى العهد الماضي، سنة ١٩٣٨م، وكتاب جرجس كنعان سنة ١٩٣١م، وغيرها، ولعله لم يطلع عليه، أو يسمع به. ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٣٢٢/١-٣٥.

(٥) تطور النقد العربي الحديث في مصر، ص ٢٢١.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٢٢.

أن "مصر، والعالم العربي أجمع، تدين بنشأة المناهج الحديثة في تاريخ الأدب ونقده، إلى رجل قلمما يشير إليه الدارسون"^(١) ويعني به الأستاذ العدل.

ولم ننقل تلك الإشارات عن أولئك الباحثين لكي نبرر ما يراه بعض الدارسين نقصا، أو قصورا في هذا الكتاب، وغيره، أو ما يتهمه آخرون بقلّة الفائدة، وعدم الغناء، ويريدون لهذه الكتب أن تأخذ سمتا آخر، وطريقا مغايرا، وكأن الزمن لا يقول كلمته، وكأن التطور الذي نراه في مناهج الدراسة الأدبية لا يحتاج إلى وقت كاف كي يفعل فعله، وقد كانت غايتنا من تلك الوقفة وضع الكتاب في سياقه التاريخي، وكشف الدور المهم الذي قام به في تغيير طريقة درس الأدب، وهو بالإضافة إلى هذا حلقة هامة من حلقات تاريخنا الأدبي، من الواجب أن نوليها عنايتنا كي نعرف نقاط التطور التي أصابت دراسة الأدب من جهة، ونتعرف على جذرنا القريب، والبعيد مما نأخذ به من معايير الآن، وما نستخدمه من أدوات، ولعلي لا أكون مغاليا إذا ذهبت إلى أن هذا الكتاب كان واحدا من الجسور التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه، وليس من قائل يقول إن مناهج الدراسة الأدبية الحديثة على ما فيها من اختلاف، لم تقدم خدمات جلي لدراسة الأدب، ونقده، ولعل حسن توفيق العدل كان واحدا من أولئك الذين أوقدوا الشموع، ولم يجلس ليلعن الظلام.

-0-

كان الاعتماد في تحقيق هذا الكتاب على النسخة الوحيدة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٤٦٢١] أدب، طلعت. بخط محمد فخر الدين، انتهى من نسخها في آخر الجُماديين من شهور سنة ١٣٢٢هـ، ١٩٠٤م. ويشير الناسخ إلى أنه نقلها من نسخة المؤلف بخطه وكان قد فرغ منها من المحرم سنة ١٣٢٠هـ إبريل سنة ١٩٠٢م، فهي على هذا نسخة نفيسة منقولة عن أصل المؤلف.

تقع هذه النسخة بـ [٢٢٢] صفحة، من القطع المتوسط، وفي الصفحة سبعة عشر- سطرا في المعدل، وتسع كلمات في السطر الواحد، مكتوبة بخط واضح، وهناك طمس، وبياض في مواضع قليلة أشرت إليه في أماكنه.

(١) الأدب المقارن، ص١٧٤.

ويشير الأستاذ محمد عبد الجواد إلى أن هذا الكتاب طبع بعد وفاة المؤلف بمطبعة مدرسة الفنون والصناعات الخديوية، سنة ١٩٠٦م^(١)، ومن اللافت للنظر أن يوسف إلياس سركيس في معجمه عن المطبوعات العربية والمعرّبة لم يذكر هذا الكتاب ضمن ما طبع للأستاذ العدل من كتب، مع أنه يشير إلى كتاب [المقامة العدلية]، مثلاً المطبوع سنة ١٩٠٧م أي بعد هذا الكتاب بسنة.

وتقتضي الأمانة العلمية أن أذكر أنني لم أوفق في الحصول على تلك الطبعة، مع ما بذل من جهود صادقة في سبيل ذلك، احتسبها عنده سبحانه، ولم أفد جواباً شافياً حول وجودها، أو عدمه، فهي أصعب منالاً من المخطوط نفسه، وهذا يؤكد ما أشرت إليه في مفتتح هذه المقدمة من ضرورة الاعتناء بتحقيق، وطبع أمثال هذه الكتب، وتيسيرها للباحثين والقراء بسبب هذه الندرة التي تتميز بها، ولعل وجود المخطوط نفسه، بنسخة منقولة عن نسخة المؤلف يفي بالغرض، ويؤدي المطلوب مما هو معروف في عالم التحقيق.

وقام عملي في التحقيق على ما يأتي:

١. تقديم قراءة سليمة للنص، هي ما ارتضاه المؤلف، وضبط المواضع التي تحتاج إليه، واستخدام علامات الترقيم.
٢. رد الآيات الكريمة إلى مواضعها في سورها.
٣. تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الصحاح المعروفة، وغيرها.
٤. تخريج الشعر الذي جاء المؤلف به نماذج لإنتاج الشعراء، من دواوينهم حسب فإن لم أوفق في الحصول على الديوان، خرجت من المصادر القديمة المعتبرة، ولم يتجاوز هذا الأمر ثلاث حالات تقريباً.
٥. تخريج الخطب والرسائل التي أوردتها المؤلف في سياق حديثه عن الخطباء، والكتاب من المصادر المعروفة.

(١) من مقالة بمجلة الكاتب عن الأستاذ العدل، ص ١٢٨٠، وينظر كذلك تقويم دار العلوم ص ١٨٠، والأدب المقارن، د. الطاهر مكي، ص ١٧٥.

٦. إثبات الفروق بين رواية المؤلف للشعر، ورواية الديوان، أو المصادر له، بغية التنبيه على مواطن الاختلاف، والإمعان في التوثيق.
٧. رددت النصوص التي استشهد المؤلف بها إلى مصادرها الأصلية، سواء تلك التي ذكرها صراحة، أم تلك التي اكتفى بالاقتراس منها بلا إشارة، وربما بدا الأخذ من مصدر ما بلا إشارة إليه خلا منهجيا اليوم، ولكنها ظاهرة كانت موجودة في ذلك الوقت لم يرها المؤلفون تنقص من منزلة إنتاجهم كثيرا، وقد حرصت على هذا الأمر جهد المستطاع لئلا يختلط كلام المؤلف بكلام من ينقل عنهم، ولتبدو صورة الكتاب واضحة، وأراء المؤلف بارزة.
٨. عمدت إلى وضع حواش، وتعليقات على كلام المؤلف توضح مقصده وتؤيد كلامه، أو تناقشه. كما رأيت التخفف من الإحالة إلى المصادر في تراجم الشعراء لشهرتهم، وذيوع أسمائهم، وانتشار دواوينهم، وحينذاك يكون هذا السرد للمصادر نوعا من التكرار الذي لا يغنى كثيرا.
- هذا عملي في هذا الكتاب أضعه بين أيدي الدارسين، والباحثين، وآمل أن أكون قد قدمت به شيئا مفيدا لدراسة الأدب العربي، كما أرجو أن نسمع صدى الدعوة إلى العناية بأمثال هذا الكتاب لدى الدارسين، لينفضوا الغبار عنها، ويقدموها سهلة، سائغة بين الأيدي، وهذه مهمة جسيمة لا يضطلع بها سوى نفر يقدمون الصبر والعمل، على الراحة والدعة، وما أجدر أن يقوموا بها، وهم كثير والحمد لله. وأقدم الشكر لكل من أعانني على إنجاز هذا العمل.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، رب اغفر لي، وارحمني، واجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، أرجوه في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، صدق الله العظيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

د. وليد محمود خالص

جامعة السلطان قابوس/ شتاء ٢٠٠٢

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف

حضرة الأستاذ الفاضل حسن أفندي توفيق

مدرس فن التربية والإنشاء وتاريخ آداب اللغة العربية بمدرسة المعلمين الناصرية

وأحد أعضاء المجلس الملوكي العلمي ببرطانية بأوربا

وأستاذ اللغة العربية بمدرسة كمبردج الكلية الإنجليزية

سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه آمين آمين آمين

كتبه الفقير محمد فخر الدين

١٣٣٢هـ / ١٩٠٤م

[عنوان الكتاب كما ورد في الأصل]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لك خلقت الإنسان وعلمته البيان وصلاتك وسلامك على أفصح العرب ومعدن العلم والأدب ما فوق اللسان سهم البلاغة وبلغ من مرماه بلاغة^(١) (وبعد) فلإني أزف لطالبي الأدب هذه النبذة الوجيزة مشخصة لهم الحياة البيانية للأمة العربية في العصور المختلفة من نشأة لغتها، وتدرجها، وما دون فيها من أنواع العلوم والفنون، و الله الهادي إلى أقوم طريق وبه الإعانة وحسن التوفيق.

مقدمات عامة

(١)

احتياج الإنسان إلى التفاهم وإلى معرفة أسماء الموجودات

أودع جل شأنه في النوع الإنساني قوى عقلية ونفسية صار لها التصرف في هذا الكائن الأرضي، ولهذه القوى أحوال سريعة الصدور والورود، واختلاجات مختلفة تشعر بها النفس، وتختلف عليها اختلاف البرق، وتمر عليها كلمح البصر، وهذه هي التي ندعوها بالمعاني التي ترد على الفكر وتخطر بالبال، والإنسان مندفع بالطبع إلى التعاون بأبناء جنسه لافتقاره إليهم، ولا تعاون بين الأفراد إلا بعد تفاهمهم تلك المعاني الحائمة بفكرهم المختلفة حسب اختلاف أغراضهم.

والتفاهم لا يكون إلا بدلالة خارجية، ولذلك أودع الله النطق في الإنسان للدلالة على تلك الأغراض ولم يمكن للإنسان أن يقتصر على إحدى الدلالات الأربع الباقية لأنها غير كافية لإظهار الأغراض والمعاني التي هي - كما علمنا - كثيرة الأنواع، سريعة الصدور، مختلفة الظهور، والورود، كما نشاهد ذلك ممن فقدوا خاصية النطق، فإننا نجدهم لا يكادون يدلون على أغراضهم، وبحكمة احتياج الإنسان إلى استخدام

(١) الفوق: جاء في لسان العرب، ٣١٩/١٠: "الفوق من السهم موضع الوتر، وفي حديث علي عليه السلام يصف أبا بكر رضي الله عنه: كنت أخفضهم صوتا، وأعلامهم فوقاً، أي أكثرهم حظاً ونصيباً من الدين، وهو مستعار من فوق السهم موضع الوتر فيه". واستخدمه المؤلف هنا لهذا المعنى، وبلاغه: مكانه، ومنتهاه.

الأعيان وذوات الأشياء في حاجياته وكمالياته صار في حاجة إلى التعرف بأفرادها والدلالة عليها بدال مخصوص، ونعني بذلك الأسماء، وقد من جل شأنه على النوع الإنساني بأن (علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)^(١).

(٢)

محاكاة الطبيعة في النطق

قد ذهب البعض إلى أن بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، وكان بعض من يرى هذا الرأي يقول إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فستل ما مسمى (أذغاغ) وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه ييسا شديدا وأظنه الحجر^(٢)، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على وزن (الفعلان) إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو الغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات الأمثال توالي حركات الأفعال^(٣).

وقال ابن جني^(٤): وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط، من ذلك المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: (الزغزغة) و(القلقلة) و(الصلصلة)، والفعلى تأتي للسرعة نحو: (الجمزى) و(الولقى)، ومن ذلك قولهم: (الخضم) لأكل الرطب، (القضم) لأكل اليابس، فاختاروا (الخاء) لرخاوتها للرطب، و(القاف) لصلابتها لليابس، ومنه قولهم: (القد) في الطول و(القط) في العرض. و(القبضة) أصغر من (القبضة)^(٥).

(١) سورة البقرة ٣٠-٣٢.

(٢) ينظر المزهري، للسيوطي، ٤٧/١، وصاحب هذا الرأي هو عباد بن سليمان الصيمري.

(٣) ينظر الخصائص لابن جني، ١٥٢/٢، ويختلط كلامه بكلام سيبويه، وينظر الكتاب، ٢١٨/٢، والمزهري، للسيوطي، ٤٨/١، وما بعدها.

(٤) ينظر الخصائص، ١٥٣/٢، وما بعدها بتصرف واختلاف يسيرين.

(٥) ينظر لسان العرب، ٦٨/٧ حيث جاء فيه: "القبض: التناول بالأصابع بأطرافها... وهو دون القبض"، وفيه ٢١٤/٧: "القبضة ما أخذت بجمع كفك كله، فإذا كان بأصابعك فهي القبضة بالصاد"، وينظر المزهري، للسيوطي، ٥١/١.

وكذلك (الفذ) و(الفظ) و(المد) و(المط)^(١)، ومن ذلك يقال زيادة المبني تدل على زيادة المعنى. قال الزمخشري: اجتزت يوما بساحل البحر فرأيت رجلا أعرابيا فسألته عن مركبين صغير وكبير، فسألته عن اسم الكبير، فأشار إلى الصغير، وقال: أليس هذا الشقدف؟ فقلت: بلى، قال: فهذا الشقذن، فانظر^(٢) إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملا، أو صوتا، وجعلت الحرف الأقوى، والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا، وأعظم حسا^(٣).

(٣)

اللغة

اللغة من لغا إذا تكلم، واللغا الصوت، ولغوى الطير أصواتها^(٤)، وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(٥)، وهذه الأصوات ذات مقاطع مخصوصة تشخص الألفاظ الدالة على المعاني، والأشخاص المخصوصة. واللفظ أولى الدلالات على المعاني^(٦)، وهي خمس لكن منها حلية مخالفة لحلية أختها (ثانيتهما) الإشارة بالجوارح كاليد والرأس والعين والحاجب والمنكب، وبالثوب، والسيف، والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، ولولا

(١) ينظر المزهر، للسيوطي، ٥٣/١.

(٢) هذه الفقرة إلى نهايتها من المزهر، للسيوطي، ٥٣/١.

(٣) لابن جني كلام في الخصائص حول هذا الموضوع، ينظر ١٥٧/٢، حيث يقول مثلاً: "... وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها، ويحتذونها عليها". وهو ينظر فيه إلى كلام سابق للخليل في الموضوع نفسه، ينظر مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، ص ٣٠٢، وما بعدها.

(٤) ينظر لسان العرب، ٢٥٠/١٥، وما بعدها.

(٥) الخصائص لابن جني، ٢٣/١، ولسان العرب، ٢٥١/١٥، وينظر تعليق الدكتور مراد كامل على هذا التعريف في كتاب الفلسفة اللغوية، لجورجي زيدان، ص ١٩، وينظر كذلك مناقشة الدكتور حلمي خليل لهذا التعريف في كتابه: مقدمة لدراسة اللغة، ص ٦٢.

(٦) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ٨٣-٧٦/١ إذ ينقل المؤلف هذه الفترة عنه بتصرف.

الإشارة لما تفاهم الناس معنى خاص الخاص، ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، (ثالثتها) الخط، وقد قالوا: القلم أحد اللسانين، والصوت مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، (رابعتها) العقد وهي الحساب لدلالته على معان لا يقوم بأدائها غيره، ولولاه لاختل ما جعله الله لنا قواما، ومصلحة ونظاما، (خامستها) النصبه ويعنون بها الحال الناطقة المسماة بلسان الحال، وقد قالوا: لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

هذا وليس من الممكن أن نعرف أي لغة هي أول اللغات، والإدعاء بذلك من بعض الأمم ضرب من الهذر^(١)، إلا أن للإنسان الأول لغة كان يستعملها ثم تفرقت أبنائه، وتشعبوا شعوبا اختلطت لغتهم، وتغيرت، ولا يبعد أن يكون منها كلمات موجودة الآن في أغلب اللغات، مثال ذلك ضمير الكينونة المعبر عنه في اللغات بفعل الكينونة الذي يربط المبتدأ بالخبر فنجد في اللغة الفرنسية (est) وفي اللغة الإنجليزية (is)، وفي اللغة الألمانية (ist) وفي اللغة الفارسية (است)، وفي اللغة العربية (أيس)، ولكن هذه الكلمة من جملة الكلمات التي أميتت في اللغة العربية، إلا أنها مستعملة مع النفي (بلا)، وتتركب منها كلمة (ليس) التي هي فعل ناقص لا يتصرف.

ففي لسان العرب^(٢) وجيء به من أيس وليس، أي من حيث هو وليس هو، قال الليث: أيس كلمة قد أميتت إلا أن الخليل ذكر أن العرب تقول جيء به من حيث أيس وليس، لم تستعمل أيس إلا في هذه الكلمة، ومعناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة، والوجد، وقال: لا أيس أي لا وجد. أهـ واختلف الباحثون في كمية لغات العالم فمنهم من أوصلها إلى ألفين، ومنهم إلى ألفين وستمائة^(٣).

(١) ينظر حول هذا الموضوع: مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، ص ٩٥، وما بعدها.

(٢) ينظر لسان العرب، مادة أيس، ١٩/٦، ومادة (ليس)، ٢١٢/٦.

(٣) ينظر حول هذا الموضوع: الفلسفة اللغوية، جرجي زيدان، ص ١٩، وتعليق الدكتور مراد كامل مع مراجعته.

وقد حاول البعض في هذا العصر أن يوجد لغة عامة فألفوا فيها كتباً، وقواعد، وقواميس، أقاموا لها مدارس ليلية في أكبر عواصم الممالك طلباً منهم أن ينطق العالم الإنساني بلغة واحدة للحصول على سرعة التعاون، والتعارف، ولكنهم عبثاً حاولوا لأن اتفاق أفراد العالم على أمر مثل هذا يعد من ضروب المحال^(١).

(٤)

أدب اللغة

الأدب^(٢) كل ما يادب المرء، ويدعوه إلى الفضائل، وينهاه عن الرذائل، وهو أدبان: أدب نفس، وهو معلوم، وأدب درس وهو ما ينتج عن دراسة علوم اللسان لأنها تأدب الإنسان، وتدعوه إلى تحليله بالفضائل، ولهذا سموها بعلوم الأدب لا سيما أنها تبعث في الإنسان لطف الذوق، وجمال العاطفة، وصدق الحدس. وأنت خير بأن اللفظ يؤثر في الفكر، وهذا يؤثر في الشيم، ومن هنا سموا الذي يزاوِل علوم اللسان بالأديب. قال عبد الملك بن مروان لمعلم أولاده^(٣): أدبهم برواية شعر الأعشى فإنه -قاتله الله- ما كان أعذب بحره، وأصلب صخره.

(٥)

تاريخ أدب اللغة

تاريخ أدب اللغة لأي أمة يبحث عن حالة الحياة العقلية، والبيانية للأمة في عصورها المختلفة، وعن نشأة لغتها، وتدرجها ومدوناتها. وتاريخ أدب اللغة تابع في تقسيمه للتاريخ السياسي أو الديني في كل أمة، لأن الأحوال السياسية أو الدينية تكون في العادة عامة، فأما أن تبعث الأفكار وتحرك

(١) لعل المؤلف يشير هنا إلى (الاسبرانتو)، وهي لغة تتألف من ٣٢٠٠ مادة، مقتبسة من جميع لغات أوروبا، قام بوضعها الأستاذ زامنهوف، سماها (دكتورو اسبرانتو) أي الأستاذ المؤمل، أملاً منه في انتشارها، وذيوها، ويبدو أن حالها وصل إلى ما توقعه المؤلف.

ينظر حول هذا الموضوع كتاب تاريخ آداب العرب، للرافعي، ٧١/١، وما بعدها.

(٢) ينظر لسان العرب، مادة (أدب)، ٢٠٦/١، إذ ينقل المؤلف هذا النص عنه.

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٢٠٢/١، وحلية المحاضرة، للحامّي، ٣٧٢/١.

الأميال لمزاولة المعارف، أو تكون سببا في وقوف الحركة الفكرية في الأمة بما يلحق السياسة، أو الدين من الضعف أو الوهن. ألا ترى أن ابتداء زهو اللغة العربية وقيامها بمقتضيات الملك، والسياسة إنما كان منذ ظهور الإسلام، فكان الداعي الأول الذي بعث من همم العلماء لخدمة اللغة هو الدين طلبا للوصول إلى معاني القرآن الكريم. وتعرف الشريعة السمحاء، ولم تزل الهمم منصرفة إلى خدمتها^(١)، والتدوين بها إلى أن انتاب البلاد الإسلامية ما انتابها من تفرق القائمين بها منذ العصور المتوسطة إلى هذا العهد فانطمست معالم العلم، ووقفت الحركة الفكرية وانقطع سند التعليم إلا في القليل، كما انقطع تلاحق الأفكار.

وعلى هذا رأينا أن نقسم الكلام على تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة عصور^(٢): العصر- الأول (عصر الجاهلية)، العصر الثاني (عصر ابتداء الإسلام)، العصر الثالث (عصر الدولة الأموية)، العصر الرابع (عصر- الدولة العباسية، والدولة الأندلسية)، العصر الخامس (عصر الدول المتتابعة) إلى هذا العهد، وإليك الكلام على ذلك حسب ترتيب تلك العصور فنقول:

(١) هذا مظهر من مظاهر المنهج الذي اختطه لبدايات الحركة العلمية عند المسلمين من حيث ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم، ونشأة العلوم على اختلافها في ظلال القرآن، تحاول فهمه، والتعمق في أسرارها، والوصول إلى نفائسه، وهذا يومئ إلى شخصية ناضجة لم تتأثر بما رأته عند المستشرقين، وإن أفادت من المنهج، والطريقة.

(٢) ينظر ما كتبه الأستاذ الرافعي عن هذا التقسيم حيث يقول مثلاً: "أول من ابتدع هذا التقسيم المستشرقون من علماء أوروبا، قياساً على أوضاع آدابهم... فهم الذين تنبهوا لهذا الوضع في العربية"، ينظر تاريخ آداب العرب، ٨/١. والمؤلف يستفيد من تلك المناهج بعد إطلاعه عليها، ويحاول نقلها إلى العربية وآدابها.

اللغة العربية

في عصرها الأول الجاهلي

أقسام العرب

سكن العرب أول أمرهم أرض اليمن^(١) فلما كثروا انتشروا، وأسكنوا جميع اليمن وما والاها إلى جهة الشمال من نجد، وتهامة، وبعض أرض الشام من جهة الشمال، والحيرة من جهة الشرق وما صاقبها ويسمى عراق العرب، وتنقسم العرب إلى ثلاثة أقسام عامة.

القسم الأول: العرب العاربة^(٢): وهم عاد، وحمود، وطسم، وجديس، وعمليق، وأميم، وجاسم، ولم يؤثر عنهم شيء لبعد عهدهم، وكانت أخبارهم لدى العرب -من بعدهم- تعد في عداد الأوهام والأحلام^(٣)، فمن الأمثال العربية القديمة وقولهم: (أحاديث طسم وأحلامها)، قال الميداني^(٤): يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له، إلا أن العرب كانت تلهج ألسنتهم بذكر لقمان الحكيم. قال الجاحظ^(٥): هو غير لقمان المذكور في القرآن. أه.

(١) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ٢٩٤/١، ومن المفيد أن ننقل ما كتبه حول هذا الموضوع حيث يقول: "اتفق الرواة وأهل الأخبار، أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث النسب إلى قسمين: قحطانية، منازلهم الأولى في اليمن. وعدنانية، منازلهم الأولى في الحجاز. واتفقوا أو كادوا يتفقون على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله... فهم الأصل، والعدنانية الفرع، منهم أخذوا العربية، وبلسانهم تكلم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم إلى الحجاز"، ويضيف الدكتور جواد علي أن هذا التقسيم "لا نجد له ذكرا لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينية أو السريانية، ويظهر أنه تقسيم عربي خالص"، ولا شك أن المؤلف يأخذ بما قال به المؤرخون والرواة العرب.

(٢) فضل الدكتور جواد علي الحديث عن العرب العاربة، أو البائدة في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ينظر ٢٩٨/١-٣٥٣.

(٣) يشير الدكتور جواد علي إلى أن "كثيرا من المستشرقين شك في حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة، فعدها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها مخيلة الرواة، ولكنه يعقب بقوله: "وقد اتضح أن في هذه الأحكام شيئا من التسرع...". ينظر المفصل، ٢٩٨/١ وما بعدها.

(٤) ينظر مجمع الأمثال، ٢٠٤/١.

(٥) ينظر البيان والتبيين، ١٨٤/١.

القسم الثاني: العرب المتعربة، وهم بنو قحطان الذي غلب عادا على اليمن، وكان لسانه سريانيا، وعنهم نشأت

عربية حمير. ومن هنا قيل: إن أول من تكلم باللغة العربية يعرب بن قحطان^(١).

وقد زعم أهل البحث من الحديثين أنهم وجدوا آثار اللغة الحميرية منقوشة على عدة أحجار، وعمد في حضرموت وبلاد اليمن بالخط المسند القديم، وبعد مزاوله قراءته بما يقاربه من الخطوط ثبت لهم أنها لغة قديمة جدا، ومن مشابقتها للغة العرب من جهة، وللغة الحبش من جهة أخرى جزموا بأنها لغة القبائل البائدة^(٢).

القسم الثالث: العرب المستعربة، وهم بنو إسماعيل عليه السلام^(٣)، وكان لسانه عبريا، ثم تعلم العربية من جرهم الثانية وأصلها قحطانية، وأول شعب اشتهر من ولد إسماعيل، عدنان أول النسب الصحيح للنبي صلى الله عليه وسلم ثم نزار^(٤) ثم أربعة شعوب من أولاد نزار^(٥)، وهم مضر، وربيعة الفرس، وإياد، وأهمار، وصاروا قبائل كبارا، ثم اشتهرت كنانة ثم قريش وبقيت لهم الشهرة.

وقد تنقسم العرب إلى ثلاثة أقسام أخرى من حيث العادات، والمساكن، وهم البدو، والمتحضرين، والحضر^(٦).

(١) ينظر المفصل، د. جواد علي، ٣٥٨/١-٣٥٩، ٣٦٢/١، حيث يقول: "وإلى يعرب ينسب أهل الأخبار نشوء العربية، فيزعمون أنه كان أول من أعرب في لسانه، ولهذا قيل لسانه العربية. وهذه رواية قحطانية تعارض الراويات العدنانية بالطبع".

(٢) ينظر الفصل القيم الذي كتبه الدكتور/ جواد علي عن (المسند ومشتقاته)، وفيه تأكيد لما ذهب إليه المؤلف مع ذكر المستشرقين، وعلماء الآثار الأوربيين الذي توصلوا إلى تلك النتائج، ينظر المفصل، ٢٠٢/٨-٢٣٠.

(٣) ينظر المفصل، د. جواد علي، ٣٧٥/١.

(٤) ينظر المفصل، د. جواد علي، ٣٧٥/١-٣٨٠، ٣٨١/١.

(٥) ينظر عن نزار وشعوبها ما كتبه الدكتور جواد علي في المفصل، ٣٩٤/١. وما بعدها، حيث وقف طويلا عند آراء الأخباريين، والرواة الذين ذكروا تلك الشعوب الأربعة، وناقش آراء بعض المستشرقين الذين نفوا (النزارية)، وعدوها فكرة سياسية ظهرت في العصر الأموي حسب.

(٦) ينظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، ١٢/١ وما بعدها.

فأما البدو فهم أقوام رحالة يقطنون بيوت الشعر، وفي كل واد يهيمنون ويعيشون من ماشيتهم، فيغتذون بلحومها، وألبانها، ويتخذون من أصوافها، وأوبارها متاعا لهم، وأكثر ما يسكنون السهول، ويتوغلون في القفار وينتجعون الأراضي النضرة، ويهرعون إلى مجاري المياه.

وأما المتحضرون فهم بدو غير أنهم لوفور العيش لديهم لا يجدون داعيا للرحيل، بل ينزلون على مجاري الأنهر الكبيرة، ويقيمون في بيوتهم الشعرية يزرعون ما جاورهم من الأرض. وأما الحضر فهم أهل الأمصار، والمدن، وكثير منهم من البدو، والمتحضرين حيث تدرجوا من سكنى الخيام إلى إقامة البيوت، والمنازل، ثم إلى سكنى الأمصار.

الحياة العقلية

وكانت العرب على أتم ما يكون من شهامة النفوس، وقوة الجأش، وأصالة الرأي، وأشد الناس انتقاما، وأكثرهم كرما، وإيواء للضيوف، وأفخرهم بنفسه، وأسأدهم فضلا، ومعروفا^(١). وقد أثرت فيهم أوطانهم الفسيحة الأرجاء البعيدة الآفاق، الشاسعة الأنحاء، المختلفة الأوضاع من وهاد، ونجاد، وهضاب، وجبال، ذلك إلى صفاء جوها، وبهاء سمائها الزاهية اللون، تشرق عليهم بنجومها، وكواكبها:

كحلة زرقاء قد زركشت بالذهب الإبريز أطرافها

كل أولئك قد بعث فيهم حمية النفس، وقوة الجأش، وصواب الحدس، ولطف الذوق، وصرامة العزيمة، والصبر على مزاولة الأمور الصعاب.

(١) تدور هذه المعاني في الكثير من الكتب على اختلاف مناهجها، ومادتها التي تقدمها، ينظر على سبيل المثال: البيان والتبيين للجاحظ في مواضع متفرقة، والعمدة لابن رشيقي، ٧٢/١ وما بعدها، والمزهر للسيوطي، ٣٢١/١، وكتاب الشعوبية والأدب، د. خليل جفال، ص ٣٥٧ وما بعدها، حيث أورد نصوصا كثيرة تعلي من شأن العرب وترد على خصومهم.

وكانت علومهم التي يتداولونها فيما بينهم الأنساب والتواريخ، والأديان، والاهتداء بالنجوم، والتبصر بالخيال والسلاح، وتعبير الرؤيا، والعيافة والقيافة، وتعرف الأنواء. فكانوا يصيبون بالعيافة الظن، ويصدقون في الحس كزجر الطير، والتفاؤل بأسمائها، وأصواتها، وممرها^(١). وبالقيافة يتتبعون الآثار، ويعرفونها كأن يعرفوا شبه الرجل بأخيه، وأبيه^(٢)، ومن أمثالهم: فلان يعرف في قيافته أثر الذر على الصخر، وكانوا في استطلاعهم الأنواء يضيفون إلى الساقط منها الأمطار، والرياح، والحر، والبرد.

والأنواء جمع نوء وهو النجم وهي (٢٨) نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة، يسقط كل (١٣) ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق لساعته فينسبون إليها الحوادث الطبيعية فيقولون: مطرنا بنوء كذا^(٣).

وكان القوم بعيدين عن التدوين^(٤) لاستحكام البداوة فيهم، فكانت هذه المعارف يأخذها الذراري عن الآباء عن طريق التواتر الشفهي، ومع أنهم كانوا بعيدين عن العلوم التي هي من لوازم الحضارة كان النابغ فيهم يعد في عداد كبار الأمم المتحضرة في العلم، والذكاء، وصدق الحس، وقوة الفهم، وصفاء المخيلة، وأعظم صناعة امتازت بها العرب عن الأمم هي الصناعة اللسانية من بلاغة القول، وفصاحة العبارة، وحسن الأسلوب، وسلامة التركيب.

(١) يضرب المثل بعيافة بني لهب، وهم أزجر العرب وأعيفهم، ينظر ثمار القلوب للثعالبي، ص ١٢١.
(٢) ينظر لسان العرب، ٢٩٣/٩، ويضرب المثل بقيافة بني مدلج الذين يلحقون الأسود بالأبيض، والأبيض بالأسود، والوضي بالدميم، والدميم بالوضي ... ينظر ثمار القلوب، للثعالبي، ص ١٢٠.
(٣) ينظر الأنواء في مواسم العرب، لابن قتيبة، ص ٨١٠، ١٧، وكتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية، لقطرب، ص ٩٨ وما بعدها، والمفضل، د. جواد علي، ٤٢٤/٨ وما بعدها.
(٤) فضل الدكتور جواد علي الحديث عن التدوين في العصر الجاهلي، عارضا آراء القائلين بوجوده، وآراء المنتسكين فيه، وهو يرجح وجود التدوين في ذلك العصر بالاعتماد على النصوص الجاهلية المكتشفة، أما عدم وصول نصوص شعرية مدونة فراجع إلى المواد التي استخدمت في الكتابة، وهي قابلة للتلف، لا تستطيع مقاومة الزمن. ينظر المفضل ٢٤٨/٨ وما بعدها.

الخط العربي

ولا نزال نجهل الزمن الذي ابتدئ فيه استعمال الخط في العرب، ولا نعلم بالتحقيق أول من كتب منهم، إلا أنه قيل: أول من كتب بالعربية هم أهل اليمن قوم هود، وكانوا يسمون خطهم بالمسند^(١)، وهو الخط الحميري يكتبونه حروفا منفصلا بعضها عن بعض^(٢)، وكانوا يمنعون العامة من تعلمه حتى تعمله مرامر بن مرة، وأسلم بن سدره، وعامر بن جدرة، وهم عرب طيء، فتصرفوا فيه، وسموه بخط الجزم لأنه اقتطع من خط حمير، ثم علموه أهل الأنبار، ومن الأنبار انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم أهل الحيرة، وتداولوها، ولما قدم الحيرة حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي نقل هذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز بعد أن عاد إلى مكة^(٣)، ويظن البعض أن الخط الحميري القديم مأخوذ من الخط الفينيقي^(٤).

اللغة العربية وتهذيبها

لغة العرب إحدى اللغات السامية^(٥) نسبة إلى سام بن نوح، وهي لغات

[]^(٦) وقد تشعب هذا اللسان إلى ثمان لغات: وهي اللغة العربية، والحبشية ولا

(١) ينظر المفصل، د. جواد علي مع مصادره، ١٥٤/٨.

(٢) يقول الدكتور جواد علي في المفصل، ٢١٠/٨: "... وللمسند ميزات امتاز بها عن القلم العربي، فحروفه منفصلة وهي بشكل واحد لا يتغير بتغير مكان الحرف من الكلمة".

(٣) ينظر العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ١٥٧/٤، والمزهر، للسيوطي، ٣٤٦/٢ وما بعدها، والمفصل، جواد علي، ١٥٧/٨ وما بعدها حيث ناقش تلك الأخبار، ووقف عندها طويلا.

(٤) وقف الدكتور جواد عند هذا الرأي، ولم يؤيده، ينظر المفصل، ٢١٤/٨ ومصادره.

(٥) من الواضح أن المؤلف يستفيد في هذه التسمية من المستشرقين، إذ إنَّ المستشرق شلوتسر في أواخر القرن الثامن عشر هو أول مَنْ أطلق عليها ذلك الاسم اعتمادا على جدول تقسيم الشعوب الموجود في التوراة، ذلك الجدول الذي يرجع كل الشعوب التي عمرت الأرض بعد طوفان نوح إلى أولاده الثلاثة: سام، وحام، ويافث، ينظر فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وإفي، ص ٧ وما بعدها، وفصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ص ٢٥ وما بعدها، والمفصل، د. جواد علي، ٥٢٥/٨ وما بعدها.

(٦) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات.

تزالا حيتين، والعبرانية وقد انقرضت إلا من ألسنة الحاخامين، والكلدانية، والسريانية، وقد انقرضتا إلا في بعض القرى والنباطية، والتدمرية، والآرامية، وقد ماتت، وانقرضت^(١).

اللغة العربية أغنى اللغات السامية في عدد الكلمات الأصلية أي المجردة عن المزيدات، وقد أخذت عن أخواتها كثيرا من الألفاظ لا سيما من العبرية^(٢) حتى أنه قيل، وإن كان من باب الغلو: إن الفرق بين العربية والعبرية كالفرق بين اسميهما إلا أنه يقال إن اللغة العربية تهذيب باقي اللغات. حكى صاحب المثل السائر^(٣) أنه ورد في

(١) معلوم أن ذلك التقسيم الذي أورده المؤلف للغات السامية تقسيم مبسّط، فهو أعقد من ذلك بكثير، إذ نراه يقسمون اللغات السامية أولاً إلى قسمين كبيرين هما: شرقية، وغربية، وتقسم الغربية بدورها إلى قسمين: غربية شمالية، وغربية جنوبية، والسامية الشرقية هي الأكادية بفرعيها: البابلية، والأشورية، وقد أغفلها المؤلف، أمّا السامية الغربية الشمالية فتقسم إلى اللغتين: الكنعانية والآرامية، وتقسم الكنعانية إلى شمالية وجنوبية، فالشمالية هي اللغة الأوجاريتية، والثانية تشمل اللغة العبرية، وخطابات تلّ العمارنة، واللغة المؤابية، واللغة الفينيقية، أما الآرامية فمن لهجاتها اللغة المندائية، والسريانية. هذا عن السامية الغربية الشمالية، أما القسم الغربي الجنوبي فيضمّ لغتين هما: العربية والحبشية، وتقسم العربية بدورها إلى عربية جنوبية، وعربية شمالية. ومن هنا نرى أن القضية أعقد بكثير مما أورده المؤلف، ولعلّه ذكرها هكذا بلا تقسيمات توخى للسهولة، وإبرازا للعربية التي يعتزّ بها. كما إنّ قضية بقاء لغة ما، وانقراض أخرى فيها نظر هي الأخرى، خاصة والمؤلف يكتب ما يكتب أواخر القرن الماضي، وقد حدث من الأمور، وصدر من الكتب ما هو كثير في هذا المجال، فهو ابن عصره يكتب على قدر ما هو متاح بين يديه، وله الحقّ في هذا، ينظر عن تقسيم اللغات السامية، وموت بعضها، وبقاء الآخر: فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب. ص ٢٥ وما بعدها، د. علي عبد الواحد وإفي، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) ينظر فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وإفي، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) ينظر المثل السائر لابن الأثير، ٢٠٦/١، ومن المفيد أن نثبت النص فيه اختلاف عمّا أورده المؤلف: "... وحضر- عندي في بعض الأيام رجل من اليهود، وكنت إذ ذاك بالديار المصرية، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد، لمكان علمه في دينهم وغيره، وكان لعمرى كذلك، فجري ذكر اللغات، وأنّ اللغة العربية هي سيّدة اللغات، وأنها أشرفهن مكانا، وأحسنهنّ وضعاً، فقال ذلك الرجل: كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخراً، فنفت القبيح من اللغات قبلها، وأخذت الحسن ثم إنّ واضعها تصرّف في جميع اللغات السالفة فاخصر ما اختصر، وخفّف ما خفّف، فمن ذلك اسم الجمل فإنّه عندنا في اللسان العبراني [كوميل] مُمالاً على وزن فوعيل، فجاء واضع اللغة العربية، وحذف منها الثقيل المستبشع،=

بعض سياحته مصر فالتقى رجلا من بني إسرائيل عالما، فجرى بينهما ذكر اللغة العربية بالفصاحة والملاحة، فقال الإسرائيلي: كيف لا تكون فصيحة، مليحة، وهي منتخبة من اللغات. ولا يعرف بالتحقيق عدد الذين يتكلمون بالعربية في هذا العصر إلا أن بعض الباحثين قال: إنهم يزيدون عن مائة مليون، وإن في كل (١٣) نفرا من العالم نفرا واحدا يتكلم بالعربية^(١).

وقد تهذبت اللغة العربية بقيام الشعوب الثلاثة المتقدمة، ودخل فيها الاستحسان على ثلاث مراتب: **المرتبة الأولى:** استحسان العرب العاربة، والمتعربة فكانوا يأخذون بعض الألفاظ من اللغات فيختصرونها ويغيرون من أشكالها إلى أن تصبح خفيفة عذبة.

المرتبة الثانية: استحسان إسماعيل عليه السلام وأوائل أولاده، فكانت لهم لغة عربية فصحية تنسب إليه بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سئل: مالك يا رسول الله أفصحنا، ولم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال: إن لغة إسماعيل كانت درست فجاءني بها جبريل فحفظتها، وسبب دروس لغة إسماعيل ما جرى بين أولاده من الحروب الضروس التي فني بها منهم كثيرون، وتشتت في البلاد كثير^(٢).

المرتبة الثالثة: استحسان قريش وهم سكان مكة^(٣) وما حولها فقد كانت [العرب تأتيهم]^(٤) في مواسم الحج كل سنة فيقيمون عندهم قريبا من خمسين

=وقال [جمل] فصار خفيفا حسنا، وكذلك فعل في كذا وكذا، وذكر أشياء كثيرة، ولقد صدق في الذي ذكره، وهو كلام عالم به".
(١) لا شك في أن ما تقوم به جهات معينة من إحصاء عدد السكان في الوطن العربي يقدم رقما، ولو تقريبا لعدد الذين يتكلمون بالعربية، والرقم الذي قدمه المؤلف قد تغير الآن عما كان عليه في مطلع هذا القرن.

(٢) ينظر المزهر، للسيوطي، ٣٥/١.

(٣) ينظر المزهر، للسيوطي، ٣٠٩/١، ومقدمة ابن خلدون، ص ٥٥٥.

(٤) بياض في الأصل، والزيادة يستقيم بها المعنى.

يوماً: ثلاثة أيام [بسوق ذي المجاز]^(١)، وسبعة بسوق مجنة، وثلاثين بسوق عكاظ^(٢)، والباقي في مواضع مناسك الحج^(٣)، يعرضون عليهم أشعارهم، ويتحاكمون في قضاياهم، وغير ذلك من الأمور التي تقتضي كثرة القول والحديث فكانوا يتخيرون من لغات العرب ما حلا في الذوق، وخف على السمع.

وتعد هذه الأسواق كمنشآت علمية، ومؤتمرات لغوية، دعاهم إليها ميلهم إلى وحدة اللغة بين القبائل، والشعوب العربية، فكان الشجاع يقوم بهذه الأسواق يمشي الخيلاء، والناس كلهم عيون شاخصة إليه، فينشد تارة أعماله العظيمة، ووقائع الجسيمة، وشرف قبيلته، وطورا يصف لذة الانتقام والارتياح إلى إكرام الضيوف وإلى جمال الطبيعة، ويصف الحيوانات ويتشعب بالنساء، وتارة يفتخر بحماية شرف النفس، والعرض وفدائهما بالنفس، والمال إلى غير ذلك من المشاعر التي كانت تنبعث في نفوسهم، وتحوم بمخيلتهم.

(١) بياض في الأصل، والزيادة يستقيم بها المعنى.

(٢) كتب المؤلف هامشا في هذا الموضع شرح فيه معاني الأسواق لغويا، وهو مطموس من الجهة اليمنى، واستطعت قراءة معظمه بعد جهد، وهذا نصه: "... ذو المجاز موضع يقام فيه سوق، سمي به لأن إجازة الحاج كانت فيه، وسوق عكاظ ومجنة كانت تقام على بعد أميال من مكة، قال ابن جني: يحتمل أن تكون مفعلة من الجنون لشيء يتصل بالجن، أو بالجنة أعني البستان، وإما أن تكون من فَعَلَةٍ من مَجَنَّ كَأَنَّهَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَن ضَرْباً مِنَ الْمَجُونِ كَانَ بِهَا أَهْ، وَعَكَازٌ مَأْخُوذٌ مِنْ تَعَكَّظَ الْقَوْمُ تَعَكَّظاً إِذَا تَحَبَّسُوا لِيَنْظُرُوا فِي أُمُورِهِمْ، وَتَعَاكَظَ الْقَوْمُ تَفَاخَرُوا". والمؤلف ينقل من لسان العرب، ينظر: ٣٣٠/٥، ١٠٠/١٣، و ٤٤٧/٧-٤٤٨.

(٣) من الضروري أن نشير إلى أننا وجدنا اختلافا في عدد الأيام التي كانت العرب تقيمها في تلك الأسواق الثلاثة، فنجد الأزرق في أخبار مكة، ١٨٨-١٨٧/١ يقول: "... فإذا كان الحج في الشهر = الذي يسمونه ذا الحجة، خرج الناس إلى مواسمهم فيصبحون بعكاظ... فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ... فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة فأقاموا بها عشرة، أسواقهم قائمة، فإذا رَأَوْا هلالَ ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز. فأقاموا به ثمان ليالٍ أسواقهم قائمة..."، ومن هنا يتبين لنا ذلك الاختلاف الذي أشرنا إليه، وينظر كذلك المفصل، د. جواد علي، ٣٧٠/٧.

كلام العرب

إن للعرب^(١) كلاما هو أرق من الهواء، وأعذب من الماء مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها، بكلمات مؤتلفات إن فسرت بغيرها عطلت وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت، فسهولة ألفاظهم توهمك أنها ممكنة إذا سمعت، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت. وكلام العرب نوعان: منشور، ومنظوم، ولم يصل إلينا منهما سوى الذي اشتهر، وتداولته الألسن بالتواتر وإن كان []^(٢) من كل لبعد العهد وتشاغل العرب فيما بعد عن الرواية.

وكان الكلام^(٣) كله منشورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحاتها الأجواد لتهز نفوسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم قد شعروا به، أي فطنوا له.

ولكل نوع^(٤) من المنشور، والمنظوم ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفقت الطبقتان في القد، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحدهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منشور من جنسه في معترف العادة. ألا ترى أن الدر أخو اللفظ، ونسيبه، وإليه يقاس، وبه يشبه إذا كان منظوما يكون أظهر لحسنه، وأصون، وكذلك اللفظ إذا كان منشورا تبدد في الإسماع، وتدرج في الطباع، ولم يستقر منه إلا المفرط في اللطف فإذا أخذ سلك الوزن، وعقد القافية تألفت أشتاته، وزدوجت فرائده، وأمن السركة، والغصب، وقد أجمع الناس أن المنشور في كلامهم أكثر، وأقل جيدا محفوظا، وإن الشعر أقل وأكثر جيدا محفوظا.

(١) هذه الفقرة إلى نهايتها من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٦٨٤/٣، وهي منسوبة لعتبة بن أبي سفيان.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) هذه الفقرة إلى نهايتها منقولة من العمدة، لابن رشيق، ٧٤/١.

(٤) هذه الفقرة إلى نهايتها منقولة من العمدة، لابن رشيق، ٧٤-٧٣/١ باختلاف يسير.

المنثور

ولم يؤثر عن العرب من النثر إلا ما علق بالضمير للطفه، ولا كتبه الألسن لرقته، وفصاحة لفظه، وفائدة مغزاه وإن كان قليلا، فمن ذلك الأمثال، والحكم، والخطب، ولنأت ببعضها نموذجا لكل منها فنقول:

الأمثال

المثل^(١) جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبها الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف، ومن مضارع ضرورات الشعر فيها مالا يستجيز في سائر الكلام.

والعرب أكثر الأمم أمثالا للحكمة المودعة في نفوسهم، ولفصاحة ألسنتهم، وميلهم إلى إيجاز القول، وجوامع الكلم.

وكانت الأمثال تأتيهم عفوا حسب ما تستدعيه الأحوال، والمصادر التي صدرت لأجلها، ولا تميزها عن العبارات المألوفة بإيجازها، وبلاغة لفظها، وغرابة أسلوبها، وأهمية مصادرها تداولت على ألسنتهم، وسارت في أنحائهم فكان العربي يرمي لسانه بالمثل كما يرمي بالسهم فيصيب في كل مقام يناسبه، ويؤثرون إيرادها في عرض كلامهم ليلبغوا به ما حاولوا من حاجاتهم بكناية غير تصريح لما فيه من إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة.

وأنا أوافيك بقصة تجمع لك أمثالا كثيرة لتكون نموذجا لما لم أذكره فأقول^(٢): أقبل لقمان بن عاد ذات يوم، فبينما يسير إذ أصابه عطش، فهجم على مظلة في أفنانها امرأة تداعب رجلا، فاستسقى لقمان، فقالت المرأة: اللبن تبغي أم الماء؟ فقال لقمان:

(١) هذه الفقرة إلى نهايتها منقولة من المزهر، للسيوطي، ٤٨٦/١-٤٨٧، وينسب السيوطي هذا التعريف للمرزوقي في شرح الفصيح.

(٢) ترد هذه القصة مع أمثالها في المستقصى، للزمخشري، ١/٣-٥.

(أيهما كان ولا عداء)، قالت المرأة: أما اللبن فخلفك، وأما الماء فأمامك، قال لقمان: (المنع كان أوجز)، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى صبي في البيت يبكي فلا يكثر له، ويستسقي فلا يسقى، فقال: إن لم يكن لكما في هذا الصبي حاجة دفعتموه إلي فكفلته، فقالت المرأة: ذلك إلى هائي، وهو زوجها، فقال لقمان: (وهائي من العدد)، ثم قال لها: من هذا الشاب إلى جنبك فقد علمته ليس ببعلك؟ قالت: هذا أخي. قال لقمان: (رب أخ لم تلده أمك)، ثم نظر إلى أثر زوجها في قتل الشعر فعرف من قتله شعر الخباء أنه أعسر. فقال: (ثكلت الأعرس أمه، لو يعلم العلم لطل غمه) فذعرت المرأة من كلامه، وعرضت عليه الطعام والشراب فأبى، وقال: (المبيت على الطوى خير من إتيان ما لا نهوى)، ثم مضى حتى إذا كان العشاء إذا هو برجل يسوق إبلا، وهو يرتجز، ويقول:

روحي إلى الحي فإن نفسي— رهينة فيهم بخير عرس
حسانة المقلّة ذات أنس لا يشتري اليوم لها بأمس

عُرف لقمان صوته، ولم يره فهتف به: يا هائي، قال: ما بالك؟ فقال لقمان:

يا ذا البجاد الحلّة والزوجة المشـتركة
عش رويدا إبلـكه لست لمن ليست لـكه

قال هائي: نور. قال لقمان: (علي التنوير، وعليك التغيير إن كان عندك نكير، كل امرئ في بيته أمير)، ثم قال: إني مررت وبي أوام، فدفعت إلى بيت فإذا أنا بامراتك تغازل رجلا فسألته عنه فرغمته أخاها ولو كان أخاها لجلى عن نفسه، وكفاها الكلام، فقال هائي: وكيف علمت أن المنزل منزلي، والمرأة امرأتي؟ قال: عرفت عقائق هذه النوق في البناء، وأثر يدك في الأطناب، قال: صدقتني وكذبتني نفسي فما الرأي؟ قال: هل لك علم؟ قال: نعم بشائي، قال لقمان: (كل امرئ بشأنه عليم)، قال هائي: هل تبقى بعد ذلك؟ قال لقمان: نعم، قال هائي: وكيف؟ قال: تحمي نفسك، وتحفظ عرسك، قال هائي: أفعل، قال لقمان: (من يفعل الخير يجد الخير)، ثم قال: الرأي أن تقلب الظهر بطنًا، والبطن ظهرًا حتى يستبين لك الأمر أمرا، قال هائي: أفلا أعالجها بكية توردها المنية؟ قال لقمان: (آخر الدواء الكي)، ثم انطلق الرجل حتى أتى امرأته فقص عليها القصة، وسل سيفه فلم يزل يضربها به حتى بردت. أه

فهذه الأمثال العشرة التي بين الأقواس قد أرسلها لقمان أمثالا، وهي من أحكم الأمثال، وأمثلها بالاستعمال في الموضوعات المختلفة. ومن أنواع الأمثال ما كان وزنه على أفعل، ويقصد به التفضيل مبالغة^(١)، كقولهم: أبقى من الدهر^(٢)، وأبين من فلق الصبح^(٣)، ()^(٤)، وأجود من حاتم^(٥)، ونحو ذلك.

مجموعات الأمثال

وأشهر مجموعات الأمثال المجموعة المسماة بأمثال الضبي^(٦) وهو أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبي، كان من أكابر الكوفيين، وتوفي في أوائل القرن الثالث الهجري^(٧). (٢) جمهرة الأمثال لأبي هلال حسن بن عبد الله العسكري النحوي المتوفى سنة ٣٩٥هـ^(٨). (٣) مجمع الأمثال^(٩) لأبي الفضل أحمد الميواني النيسابوري

(١) عقد الميواني في مجمع الأمثال فصولا أورد فيها الأمثال التي جاءت على وزن أفعل.

(٢) ينظر مجمع الأمثال، للميواني، ١١٨/١، والمستقصى، للزمخشري، ٢٧/١.

(٣) ينظر مجمع الأمثال، ١١٩/١، والمستقصى، للزمخشري، ٣٢/١.

(٤) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات.

(٥) ينظر مجمع الأمثال، ١٨٢/١، والمستقصى، للزمخشري، ٥٣/١، ومثال الأمثال، للعبدي، ١٢٦/١.

(٦) يشير المؤلف إلى طبعة الجوانب لأمثال الضبي سنة ١٣٠٠هـ وطبع أخرى سنة ١٩٠٩م بمصر وثالثة بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

(٧) يرجح الدكتور إحسان عباس أنه توفي سنة ١٧١هـ ويستنتج محققا المفضليات أنه توفي سنة ١٧٨هـ، ينظر حول هذا، مقدمة أمثال الضبي تحقيق الدكتور إحسان عباس ص ٢٥ وما بعدها أيضا.

(٨) يشير المؤلف إلى طبعتين قديمتين: الأولى في بمباي بالهند عام ١٣٠٧هـ والثانية بالمطبعة الخيرية على هامش مجمع الأمثال عام ١٣١٠هـ وهناك طبعة جيدة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطاشم تقع في جزأين، وفي مقدمة تحقيق هذه الطبعة وصف المحققان الطبعتين السابقتين فقالا: "وكلتا الطبعتين يشيع فيهما الخطأ والتحريف، فوق ما بهما من نقص شديد في مواضع كثيرة وصل أحيانا إلى سقوط أبواب برمتها كما في طبعة الهند"، ينظر، ١/١.

(٩) طبع مجمع الأمثال غير مرة، ولعل المؤلف يشير إلى طبعة فرايتاخ، بون سنة ١٨٣٨-١٨٤٣، كما طبع باعتناء محمد الصباغ، ومحمد قطة العدوي في بولاق سنة ١٢٨٤هـ وطبع في طهران سنة ١٢٩٠هـ وفي القاهرة بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٠هـ وغيرها. ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٢٥٩/٣، والطبعة السائدة في الوقت الحاضر طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

المتوفى سنة ٥١٨هـ، رتبته على حروف المعجم، "واشتمل على نيف، وستة آلاف مثل، وذكر في كل مثل من اللغة، والإعراب ما يفتح المغلق، ومن القصص والأسباب ما يوضح الغرض"^(١)، وقد طبعت هذه المجموعات الثلاثة. (٤) المستقصى في الأمثال^(٢) لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

منثور الحكم

كانت العرب لوفور عقولهم وصحة آرائهم ونفوذ أفكارهم، ولطف أذواقهم أحكم الأمم، وأكثرهم إيراداً للحكمة في عبارات كلها من جوامع الكلم، صادرة عن خبرة، ودراية. هذا إلى حسن أسلوبها، وجمال اتساقها، ولو أجهد المرید نفسه جهد المستطيع للتنقيب عن حكم اليونان لم يجد لأحد من حكمائهم المشهورين سوى حكم تتردد في العقد الأول من الأعداد. أما حكماء العرب فقد غصت الصحائف بما وصلنا من حكمهم، وما لم يصلنا أكثر لبعد العهد، وعدم التدوين في زمانهم.

فمن حكماء العرب الذين اشتهروا في الجاهلية: أكتثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة^(٣)، والأقرع بن حابس^(٤)، وربيعه بن

(١) ينظر مجمع الأمثال، للميداني، ٤/١.

(٢) طبع كتاب المستقصى هو الآخر، ولكن بعد وفاة المؤلف، بجزئين سنة ١٩٦٢م بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، وأعيد تصويره بدار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

(٣) حاجب بن زرارة: هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي، كان من سادة قومه، وأحد رؤسائهم يوم جيلة، وكان قبل الإسلام بأربعين سنة، وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم، وبعثه على صدقات قومه بني تميم، وهو صاحب الحادثة المشهورة مع كسرى حين رهن قوسه عنده على وعد منه أن لا يغدر قومه بأحد، وقد وفى، فضرب المثل بقوس حاجب. ينظر المعارف لابن قتيبة، ص ٥٥٥ و ٦٠٨ و ٦٢١، وسيرة ابن هشام، ٢٠٠/١ و ٥٦٠/٤، وفيها أنَّ الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب بن زرارة، والإصابة، ١٣٥٥. وثمار القلوب، ص ٦٢٥، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٣٥٤/١، وما بعدها. وبلوغ الأرب، للألوسي، ٣١١/١ وما بعدها.

(٤) الأقرع بن حابس: هو الأقرع بن حابس بن عقّال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي، من حكام تميم وعقلائهم، كان مرجعهم في المنافرات والوقائع. وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، وهو من الذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من =

مخاشن^(١)، وضمرة بن ضمرة^(٢)، وعامر بن الظرب العدواني^(٣)، وغيلان بن سلمة الثقفي^(٤).

ولنقتصر على ذكر بعض الحكم التي تنسب لأكثم بن صيفي حكيم العرب، وخطيبها^(٥)، وقد أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ومات وعمره خمس وتسعون سنة. فمن حكمه قوله: الانقباض عن الناس مكسبة العداوة، والإفراط في الأُنس مكسبة لقرناء السوء. لم

=وراء الحجرات فلم يجبه. ينظر المعارف لابن قتيبة، ص ٣٤٢ و ٥٧٩ و ٦٢١، وسيرة ابن هشام، ٤٨٩/١، ٤٩٣، ٥٦٧، ٦٢٢، والبيان والتبيين، للجاحظ، ٢٩٠/١، وفصل الألوحي الحديث عنه في بلوغ الأرب، ٣١٥/١، وما بعدها.

(١) ربيعة بن مخاشن: هو ربيعة بن مخاشن التميمي، من بني أسيد بن عمرو بن تميم، وتزعم بنو تميم أنه هو الذي أول من قرعت له العصا في المثل المشهور: [إنَّ العصا قرعت لذي الحلم]، وليس كذلك. كان من حكام تميم، عالماً بالأنساب، عارفاً مراتب العرب، فصيحاً، خطيباً. ينظر، مجمع الأمثال للميداني، ٣٩/١، والمستقصى، للزمخشري، ٢٨٠/٢، وبلوغ الأرب، للألوحي، ٣١٦/١.

(٢) ضمرة بن ضمرة: هو ضمرة بن ضمرة التميمي، من حكام العرب، وعقلائهم أيضاً، وهو صاحب القول المشهور عند النعمان بن المنذر بعد أن زرى عليه فقال: "إنَّ الرجال لا تكال بالقفران، ولا توزن بالميزان، وإمَّا المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه، إن صال صال بجنان، وإن قال قال ببيان"، كان غزير العقل، ذكياً، طلق اللسان، كريماً. ينظر عنه: البيان والتبيين للجاحظ، ١٧١/١، وأمثالي الزجاجي، ص ٢٠٠، وبلوغ الأرب، للألوحي، ٣١٦/١.

(٣) عامر بن الظرب العدواني: من حكام قيس، كانت العرب لا تعدل بفهمه فهما، ولا بحكمه حكماً، وصفه الجاحظ بقوله: "كان حكيمًا، خطيباً، رئيساً". وذكر الميداني أنه المعني بالمثل الذي أشرنا إليه فيما سبق، وهو [إنَّ العصا قرعت لذي الحلم]، ينظر عنه: المعارف لابن قتيبة، ص ٨٠ و ٥٥٣، والبيان والتبيين، للجاحظ، ٤٠١/١، ومحاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، ٣٣٢/٣، ومجمع الأمثال للميداني، ص ٣٨، وبلوغ الأرب، للألوحي، ١٣٦/١، وما بعدها.

(٤) غيلان بن سلمة الثقفي: شريف، شاعر مقل، ليس بمعروف في الفحول، حكيم من حكماء العرب، أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، مات بالشام في طاعون عمواس. ينظر عنه: الأغاني، لأبي الفرج، ٢٠٠/١٣، وما بعدها، والضائع من معجم الشعراء، ص ١١٠، وهو ينقل عن الإصابة، ١٩٢/٥.

(٥) أكثم بن صيفي: من رجال العرب المشهورين الذين تردّد أَسْمَاؤُهُم في المصادر، ولأمر قريب من هذا أفرد المؤلف له حديثاً خاصاً. ونشر إلى دراسة مستقلة عن (أكثم بن صيفي، البليغ البلاغي) بقلم الدكتور محمد بدري عبد الجليل، فصل فيها الحديث عن حياته، وأخبره، وبلاغته مما لا نجده في مصدر واحد.

يهلك امرؤ عرف قدر نفسه، من مأمنه يؤق الحذر. من لا حاك فقد عاداك. من العجز والتواني نتجت الفاقة. ويل للشجي من الخلي. إنك لا تجني من الشوك العنب. ما كل عثرة تقال وما كل فرصة تنال. قد يشهر السلاح في بعض المزاح. إذا أردت طرد الحر فسمه الهوان. رب سباب قد هاجه العتاب. المنة تهدم الصنيعة. الخرق مفسدة للعقل ومقطعة للحيلة. آفة الرأي الهوى. العادة أملك. من بر يوما بر به. قبل الرماء تملأ الكنائن. الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت.

فانظر -يا رعاك الله- إلى هذه الدرر في انتشارها تريك صور الحقائق مجسمة، وفي انتظامها تهديك عقدا كله واسطة فهي مرآة الزمان، وزينة المكان.

الخطب

كان خطباء العرب لا يتحبسون، ولا يتوقون، ولا يتنحنون، ولا يرتقبون لفظا قد استدعوه من بعد، ولا يلتمسون التخلص إلى معنى قد تعصى عليهم طلبه. وترى كلامهم سليما من التكلف، بعيدا عن الصنعة، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأويل، لم تكن ألفاظهم إلى السمع بأسرع من معناها إلى القلب، يكثرون في غير خطل، ويطيرون في غير إملال. وكانوا يخطبون بالخصر، ويعتمدون على الأرض بالقسي- ويشيرون بالعصي والقنا، قال شاعرهم:

إذا اقتسم الناس فضل الفخار أطلنا على الأرض ميل العصا^(١)

قال الجاحظ في البيان والتبيين^(٢): إنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس. فأما الهند فإنما لهم معان مدونة، وكتب مخلدة لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلى عالم موصوف، وإنما هي كتب متوارثة، وآداب على وجه الأرض سائدة مذكورة.

(١) البيت في البيان والتبيين، للجاحظ، ٣٧٢/١، ومعروف أن الجاحظ أسهب في الحديث عن الخطابة والخطباء، ونرى المؤلف ينقل كلامه فيما سيأتي، وللأوسي في بلوغ الأرب كلام قريب من كلام المؤلف، ينظر، ١٥١/٣ وما بعدها.

(٢) ينظر البيان والتبيين، ٢٩٠-٢٧/٣، باختلاف يسير.

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق^(١) نفسه بكي اللسان، غير موصوف بالبيان، مع علمه بتميز الكلام وتفصيله ومعانيه، وبخصائصه، وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس، وكل معنى لهم، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكير، ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم. وكل شيء للعرب، فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجاله فكر، ولا استعانة، وإنما أن يصرف أحدهم وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح^(٢) على رأس بئر أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة، أو عند صراع أو حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا^(٣)، وتنهال عليه الألفاظ امتثالا، ثم لا يقيده على نفسه، ولا يدرسه أحد من ولده، وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون. وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر. من أن يفتقروا إلى تحفظ، ويحتاجوا إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد، ولا تحفظ. ولا طلب، وإن هذا الذي بأيدينا جزء منه. أهـ

وخطباء العرب كثيرون، واشتهر منه في زمن النعمان بن المنذر عشرة، وهم الذين أوفدهم النعمان على كسرى^(٤)، وهم: أكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة،

(١) صاحب المنطق: يريد به الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس.

(٢) المتح: إخراج الماء من البئر.

(٣) أرسالا: أفواجا، جمع رسل.

(٤) يشير المؤلف إلى ما أورده صاحب العقد الفريد في كتابه من خبر هذه الوفادة. ينظر العقد الفريد، ٩/٢ وما بعدها، وبلوغ الأرب للألوسي، ١٤٧/١ وما بعدها، وقد توقف الدكتور جواد علي عند هذه الخطب، وشك في صحة نسبتها إلى من نسبت إليهم، ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٧٣٥/٨ وما بعدها. وينظر كذلك كتاب: فس بن ساعدة، د. أحمد الربيعي، ص ٨٢، وما بعدها. إذ أورد تلك الخطب وناقش هو الآخر آراء المشتككين فيها وهو يميل إلى صحة نسبتها إلى أصحابها.

والحارث بن ظالم^(١)، وقيس بن مسعود، وخالد بن جعفر، وعلقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن الشريد، وعمرو بن معد يكرب، والحارث بن ظالم المري، وقد ذكر خطبهم ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد^(٢).

ومن كبار خطباء العرب قس بن ساعدة بن عمرو الأيادي^(٣)، خطيب العرب، وشاعرها وحكيمها وحكمها في عصره، وهو أول من علا على شرف، وخطب عليه، وأول من قاله في كلامه: أما بعد، على قول، وأول من اتكأ عند خطبة على سيف أو عصا، وأول من كتب من فلان إلى فلان، وأول من آمن بالبعث، أدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه بسوق عكاظ، وسمع منه خطبته^(٤) الشهيرة^(٥)، وهو راكب على جمل أحمر، وهي هذه:

-
- (١) في العقد الفريد: [عباد] بدل [ظالم].
- (٢) أورد صاحب العقد الفريد خطبة لكل واحد من أولئك الخطباء، مع رد كسرى عليهم.
- (٣) ينقل المؤلف ترجمة قس من الأغاني، ٢٤٦/١٥-٢٥٠. ويذكر الجاحظ أنه من الخطباء الشعراء، ويضيف بأن من يجمع الشعر والخطابة قليل. ينظر البيان والتبيين ٤٥/١. وينظر عنه الكتاب الذي أفرده له د. أحمد الربيعي بعنوان [قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره]، وهو من أوسع ما كتب عنه.
- (٤) تنظر الخطبة في البيان والتبيين، ٣٠٩/١، والعقد الفريد، ١٢٨/٤، والأغاني ٢٧/١٥، وغيرها، ومن الملاحظ أنها تختلف في هذه الكتب زيادة ونقصا، ويقول الدكتور جواد علي: "... والنص المحفوظ لخطبة قس نص مختلف لم يتفق الرواة عليه، مما يدل على أنه لم يكن مدونا، وإنما روي بروايات مختلفة، ثم دونت فيما بعد"، المفضل، ٦/٤٦٥. وينظر حول هذه الخطبة ورواياتها المختلفة كتاب الدكتور أحمد الربيعي، قس بن ساعد الإيادي، ص ٢٦٧، وما بعدها، إذ أورد رواياتها من مصادر كثيرة، ووازن بين تلك الروايات، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد الثاني، سنة ١٩٩١م، ففيها نص مخطوط منشور تحت عنوان: حديث قس بن ساعدة الإيادي، تحقيق وشرح د. هاشم متاع، ص ١٩٩، وما بعدها.
- (٥) من الضروري أن نورد هنا نصاً للجاحظ نراه مهما يتعلق بخطبة قس هذه، يقول الجاحظ: "ولإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته، وهو الذي رآه لقريش والعرب، وهو الذي عجب من حسنه وأظهر من تصويبه. وهذا إسناد تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال. وإنما وفق الله ذلك =

أيها الناس اسمعوا، وعوا، وإذا وعيتم شيئا فانتفعوا. إن من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جمع وأشتات، وآيات بعد آيات. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، رضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا. أقسم قس قسما حقا، لا حائثا فيه ولا آثما، إن لله ديننا هو أحب من دينكم الذي أنتم عليه، ونبيا قد حان حينه، وأظلكم أوانه، وأدرككم أبانه، فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه، وويل لمن خالفه وعصاه، تبا لأرباب الغفلة، والأمم الخالية، والقرون الماضية. يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد؟ وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين من بنى وشيد، وزخرف ونجد؟ أين المال والولد؟ أين من بغى وطغى، وجمع فادعى، وقال: أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالا، وأطول منكم آجالا؟ طعنهم الثرى بكلّكله، ومرقهم بطوله، فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خاوية، عمرتها الذئاب العاوية، كلا، بل هو الله الواحد المعبود، وليس لوالد ولا مولود، ثم أنشأ يقول:

في الـ	مـ
مـ	مـ
مـ	مـ
مـ	مـ

=الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجة للتوحيد، وإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث، ولذلك كان خطيب العرب قاطبة". البيان والتبيين، ٥٢/١، والإسناد الذي يعنيه الجاحظ هو رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم لخطبة قس هذه، وهو -بلا شك- إسناد عظيم كما وصفه الجاحظ، تنقطع دونه الآمال. ولكننا نجد من جهة أخرى نصا في كتاب الإصابة يثير الشك في نسبة هذه الرواية إليه صلى الله عليه وسلم إذ ينقل عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "رحم الله قسا كآني أنظر إليه على جمل أورق، تكلم بكلام له حلاوة لا أحفظه"، الإصابة، ٢٦٥/٣، رقم ٧٣٤٣، وفي المعارف لابن قتيبة، ص ٦١: "... ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رآه يخطب بعكاظ على جمل أحمر. واقتض أبو بكر قصته، وذكر شعره"، وأفاض الدكتور جواد علي في الحديث عن هذه القضية، ينظر المفضل، ٤٦٦/٦، وما بعدها.

لا يرجع المـاضي [ولا يبقى] ^(١) من الباقيـن غابر

أيقنـت أني لا محـالـا لـة حيث صار القوم صائر

وقد تذكره النبـيـلى الله عليه وسلم بعد البعثة يوما، فقال: يرحم الله قسا إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده ^(٢). هذا وإنك أيها المطلع لو تتبعـت منشور العرب على اختلاف موضوعاته، وأغراضه لتجد أنهم قد أرسلوا العبارات إرسالـا مع سلاسة التراكيب، وحسن الأساليب لا يتقيدون بالسجع إلا بما مرق من أفواههم منه على الطبيعة بدون تكلف منهم، أو ارتقاب له، والذي دعاهم إلى السجع إنما هو قوة البيان، وفصاحة اللسان، وغنى اللغة يدلون بها على أغراضهم، فكانوا يأتون بالعبارة على هذا الشكل بين الإرسال والتسجيع لتشخص للسامع تلك المدركات القوية التي تحوم بأفكارهم، وتلك الاحساسات الصادقة التي تخطر بخواطرهم.

ولما قويت لديهم صناعة البيان، ورقـت طباعهم، وخفت أجسامهم لم يكتفوا بتوقيع العبارات على الأسجاع فارتقوا منها إلى طبقة الشعر الموزون الذي صدر عنهم بالطبيعة، ومن ذلك تعلم أن السجع كان لهم الخطوة الأولى في البيان، والسلم الأول لقول الشعر المعروف عندهم ^(٣).

(١) ما بين المعقوفين غير مقروءة في الأصل، والزيادة من البيان والتبيين، ٣٠٩/١، والعقد الفريد، ١٢٨/٤.

(٢) ينظر الأغاني، ٢٤٧/١٥.

(٣) لعننا نجد أثرا للمستشرقين في هذا الرأي الذي قال به المؤلف، جاء من إطلاعه على آرائهم في أولية الشعر العربي، إذ نجد بروكلمان يقول: "ينبغي أن يكون أقدم القوالب الفنية العربية هو السجع، أي النثر المقفى المجرد من الوزن وترقى السجع إلى بحر الرجز، المتألف من تكرار سببين ووتد ليسهل على السمع ويبلغ أثره في النفس"، تاريخ الأدب العربي، ٥١/١، ومن الواجب أن نذكر هنا أن بروكلمان يستفيد من آراء مستشرقين قبله هما: هارتمان وجولدزيهر مما يشير إلى شيوع هذا الرأي قبل بروكلمان المولود سنة ١٨٦٨م، والمتوفى سنة ١٩٥٦م، كما نرى بلاشير يقول: "كان للعرب منذ زمن قديم جدا نثر مسجوع موقع ذو صلات وثيقة بالسحر، وقد تكون هذه الطريقة التعبيرية - كما يرى بعضهم - نقطة انطلاق الشعر العروضي والنظمي"، تاريخ الأدب العربي، ص ٢٢٢، ومن هنا نلاحظ أخذ جمهرة من المستشرقين بهذا الرأي، وقد عرض الدكتور جواد علي لتلك الآراء وناقشها تفصيلا، ينظر المفضل، ٤١٥/٩، وما بعدها.

وكان كهنة العرب عند إيقاع أحكامهم لا يتكلمون إلا بالأسجاع طلباً للتأثير به على السامعين كما هو الحال الآن، فترى الدجالين ينظمون أسجاء غريبة الألفاظ يهلولون بها، وقد نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: [إياكم وسجع الكهان]^(١).

المنظوم

بينما كانت الأمم المتحضرة يدرس أفرادها لغاتهم كما ندرسها نحن الآن، فيتبينون ألفاظها، ويتلقون قواعد تركيبها، ويتعلمون أشعارها، وتقاطيع أبياتها^(٢)، كان الغلام العربي ينشأ على الطبيعة معبراً عما يختلج بضميره، ويؤثر على حسه بأفصح عبارة، وأدق دلالة، ومتى شدا بعض الشعر، ويسرح تخيله في عالم الخيال، فى مالا يخطر ببال الحضري من الخيالات التي يملها ضميره على لسانه فينبعث بالشعر الرقيق المبنى، الدقيق المعنى.

ينشأ الغلام العربي فيرسل طرفه إلى تلك الأرض المختلفة السياق، البعيدة الآفاق، وطورا يطوح ببصره نحو السماء فإذا الجو صافي الهواء تغزل فيه الغزالة^(٣) أشعتها بالنهار، وبالليل تسيل فيه سبائك الزهرة والجوزاء، وإذا التفت حواليه يجد المراعي الطبيعية ترعاها الإبل، ويسمع صهيل الأفراس أمام الخباء، ووقع سناكبها في الرمضاء فيمتلئ جنانه معاني خيالية يخترعها اختراعاً، ويفترعها افتراعاً، وتأخذه نشوة الطرب فينسب منه اللسان بالمولوزون من الكلام مشخصاً ما خالج ضميره، وخامر فؤاده. هذا هو ابن الطبيعة لا ترى عيناه إلا ما أحاط به من المراعي، والإبل في سفح

(١) ينظر لسان العرب، ١٥٠/٨، وهناك حادثة رافقت الحديث، فلترجع هناك، وينظر كذلك المثل السائر، لابن الأثير، ٢١٠/٨، وما بعدها. وينظر عن سجع الكهان كتاب قس بن ساعدة، د. أحمد الربيعي، ص ٩٦.

(٢) يقول الجاحظ: "... وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكير ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم"، البيان والتبيين، ٢٨/٣، ولعل المؤلف يريد شيئاً من هذا في حديثه السابق.

(٣) الغزالة: من أسماء الشمس.

الجبال تمرح، وفي منحدر الآكام تسرح، فلا تكتفي نفسه بالمنظر، ولا تقتنع قواه العقلية بالمخبر، فيعمد إلى مستودع الخيال، وينظم من تصوراتهِ صوراً خيالية يستعيز بها ما فات حواسه من المحسوسات الظاهرة بخلاف الحضري، فحواسه تستقل بالمحسوسات الكثيرة التي تثير البصر، وتطفئ البصيرة بما ينشأ عن الملل وعدم الميل إلى تأمل الأشياء، ونفوذ الفكر فيها^(١). وقد صاغ العرب كلامهم الموزون في قالب أعاريض مخصوصة، وهي المأثورة عنهم في بحور الشعر، قد انتظمت من حركات، وسكنات تشخص ما كانوا يميلون إليه من الألحان الموسيقية وقد أبدع الملحنون بعد الجاهلية في التوقيع عليها بكل لحن طربت إليه نفوسهم، واهتزت إليه أجسامهم، يرشدنا إلى ذلك أن الشعر كان معتبراً لدى العرب كالألات الموسيقية، أو القرع بالطبول والنفخ في القرون، فيتغنون به لا سيما في مواكبهم لدى خروجهم إلى الغزوات فيطربون ويسارعون إلى مجال الحرب^(٢).

(١) من الضروري أن نشير هنا إلى ما وجهه الدكتور محمد النويهي من نقد شديد لمثل هذه الطريقة في معالجة القضايا الأدبية، من حيث طغيان [الأسلوب الإنشائي الرديء] كما يسميه، والعجز عن دراسة شخصية الشاعر نفسه، واكتشاف جوانب مهمة في شعره، وهو يأتي بذلك النقد في سياق حديثه عن كتب تاريخ الأدب العربي، ويخص بالذكر ثلاثة كتب هي: الوسيط في الأدب العربي، وتاريخه للأستاذين أحمد الإسكندري ومصطفى العناني، وما كتبه الأستاذان السباعي بيومي ومحمد هاشم عطية في تاريخ الأدب العربي أو عصور خاصة منه، وكتاب تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد الزيات، وينتهي إلى حكم فيه من القسوة الشيء الكثير وهو أن هذه الكتب "جديرة بمثوى واحد: النار". ينظر ثقافة الناقد الأدبي، ص ١١، وما بعدها. ولن نناقش الدكتور النويهي في حكمه السالف، أو بقية أحكامه فهي نابعة من موقف شخصي، ولكننا نذكر بأمر واحد من الواجب التنبه إليه وهو ضرورة وضع هذه الكتب في سياقها التاريخي الذي ألفت فيه، واكتشاف الأدوات التي كان أولئك الرواد يستخدمونها في تأليف كتب تاريخ الأدب العربي؛ لأن إغفال الزمن المبكر للتأليف سيؤدي إلى مثل تلك الأحكام، وتحميل أولئك المؤلفين فوق طاقتهم، وهو أمر بعيد عن المنهجية، ناهيك عن تكريس النظرة الضيقة التي لا ترى الأشياء إلا من جانب واحد حسب. ويسري هذا الكلام على ما كتبه الأستاذ العدل أيضاً في بدايات هذا القرن.

(٢) يشير المؤلف إلى ارتباط الشعر عند العرب بالغناء، وهي علاقة قديمة معروفة سار ذكرها، ولم تقتصر على العرب وحدهم، "فالشعوب القديمة كالبابليين، والمصريين، واليونانيين، والعبرانيين، كانت =

وهذه الأوزان من مخترعات العرب الصرفة فلم يأخذوا وزنا منها عن غيرهم^(١)، بل أخذ عنهم كثير

من أمم أوروبا أنواعا من القافية^(٢)، وقد أجريت هذه

=تقرن شعرها بالموسيقى، وعرف هذا الشعر بالإنشاد"، المفصل، د. جواد علي، ١٢٤/٩، ويقول الدكتور جواد علي: "... ولا استبعد كون قدماء الشعراء الجاهليين كانوا يترغون في أشعارهم، أي أنهم كانوا ينشدونها إنشادا بطريقة غنائية... على نغم آلة من آلات الطرب... ونجد في الأخبار أن ملوك الحيرة والغساسنة والأثرياء كانوا يستمعون إلى الغناء وهو شعر ينشد على نغم، توقعه قينة على آلة من آلات الموسيقى، مثل الصنج، والبربط، والدف، والمزهر..."، ينظر المفصل، ١٣٦، ١٥٧/٩.

(١) يقطع المؤلف في هذه القضية ويبين رأيه فيها بجلاء من أن أوزان الشعر عربية صرفة لم ينظروا في تحديدها، وتنظيمها إلى أحد، وهو -بلا شك- يشير إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وبعض المحاولات التي سبقتها، ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن هناك من ذهب قديما وحديثا إلى تأثر العروض العربي بالعروض الهندي أو اليوناني، ولا شك أن المؤلف يرد على أولئك فيما ذهبوا إليه. ينظر حول هذا الموضوع: تحقيق ما للهند من مقولة، للبيروني، ص ١١٥، إذ يشير إلى التأثير الهندي، وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٥٢/١، إذ يرد على تكاتش في التأثير اليوناني، وينظر كذلك العروض، جلال الحنفي، ص ٢٨ وما بعدها، وفي العروض والقافية، د. يوسف حسين بكار، ص ١٣ وما بعدها، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ١٩٨/٩ وما بعدها، حيث يناقش التأثير اليوناني، ويقف عند تأثير آخر هو البابلي لا سيما أن "البابليين وغيرهم من أهل العراق كانوا قد وضعوا قواعد في نظم الأشعار، وفي تأليف أبياتها، وفي أصول نظمها..." ينظر المفصل، ٢٠٢/٩.

(٢) يشير المؤلف إلى قضية مهمة وهي أثر الشعر العربي في الشعر الأوروبي، إذ بدأ الاستغلال بها منذ زمن بعيد، فمنذ أن كتب [إيستبان آرتياكا] كتابه عن [تأثير العرب في نشوء الشعر الحديث في أوروبا] سنة ١٧٩١م، توالى الدراسات حول هذا الموضوع بين مؤيد لهذا التأثير أو رافض له، ووقفوا خصوصا عند تأثير الشعر الأندلسي بشعر [التروبادور]، لا سيما في جانب القافية منه، فإذا علمنا أن شعر التروبادور ظهر في جنوب فرنسا في أواخر القرن الحادي عشر، وانتقل بعد هذا إلى إيطاليا، وعلى امتداد نهر الراين، وإنكلترا، فإذا علمنا هذا وضح لنا قول المؤلف السابق من أخذ كثير من الأمم الأوروبية أنواعا من القافية عن العرب، وهو يشير إلى هذا التأثير في شعر تلك الأمم، واستفادتهم من القافية العربية في الموشح، وهي ذات وضع خاص كما هو معلوم، وتبين إشارة المؤلف إطلاعا كافيا على دراسات المستشرقين بوجهها المختلفة، وقوة حجته القائمة على العلم، والمنهجية، ينظر حول هذا الموضوع الفصل القيم الذي كتبه الدكتور عبد الواحد لؤلؤة عن [ملامح عربية في بواكير الشعر=

الأوزان على لسان بعض العرب فشعروا به، وفطنوا لحسنه، ولما استحسنوه واستطابوه ورأوا أن الأسماع تألفه والنفوس تقبله تتبعوه، وبنوا عليه وطلبوه، ورتبوا فيه الأعاريض التي يقع الاضطراب بوزنها، وتهش النفوس إليها، ولما وقفوا من الأوزان عند الحد المأثور عنهم، ودرجوا عليه صار العربي منهم ينحو نحو الوزن الذي يريده منها فيصوغ كلامه في قالبه كما هو الحال بنا الآن.

وقد ذكر بعضهم عن ثعلب^(١) أن العرب كانت تعلم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر كوزن (قفأ نبك من ذكرى حبيب ومنزل).

ويسمون ذلك الوضع المتير واشتقاقه من المتر، وهو الجذب والقطع، يقال مترت الحبل أي قطعت، أو جذبت، ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره^(٢) أه.

أقول أما تعليم العرب أولادها قول الشعر بوضع مخصوص فلا مشاحة فيه، كما هو الشأن في تعليم كل صناعة، وعلم، وأما القول بتسمية العرب لهذا الوضع بالمتير فلا يوثق به، وأخلق به أن يقوله واحد، وإذا صحت نسبة هذا القول -ولا تكاد تصح- إلى إمام النحويين واللغويين أبي العباس ثعلب فرما اشتبه عليه الأمر حين سمع كلمة المتر المأخوذة عن الكلمة اليونانية القديمة Metron مترون، وهي بمعنى المقياس، وكانت لديهم تشمل قياس الأوزان كالأشياء ذات الأبعاد فأراد تخريجها على اللفظ العربي، وأخذها من المتر وهو القطع^(٣).

=الأوروبي] في كتابه النفخ في الرماد، ص ١٠٣ وما بعدها، وينظر كذلك كتاب القافية والأصوات اللغوية، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص ٢٣٤ وما بعدها، فقد ناقش جانب أثر القافية العربية على الشعر الأوروبي وعرض له باستفاضة.

(١) كتب المؤلف حاشية هنا، هذا نصها: "هو أبو العباس أحمد بن يحيى، النحوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه، توفي سنة ٢٩١هـ في خلافة المكتفي ببغداد".

(٢) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني، ص ٦٣، ففيه قول ثعلب السابق.

(٣) هذا اجتهد من المؤلف في تفسير النص السابق لثعلب، أما المتر فهو الوزن الشعري عامة، واللفظة معروفة في المعاجم الأجنبية مع أصلها اليوناني الذي ذكره المؤلف، وفيها صيغة لاتينية لاحقة، اشتقت منها الصيغة الفرنسية وعنهما أتت الصيغة الإنكليزية فالأمريكية، ينظر معجم وبستر مثلاً =

وكان الشاعر العربي يقول الشعر بالبديهة لحدة خاطره، ونفاذ طبعه، وسرعة نظمه فيرتجل القول ارتجالاً، يطبعه عفواً صفواً، ولا ينافي هذا ان يعتمد القول في بعض الأحيان، ويتعلمه ويجهد خاطره فيه، فقد كان لزهير بن أبي سلمى قصائد لقبت بالحوليات، كان ينظم الواحدة منها في أربعة أشهر، ويهذبها بنفسه في أربعة مثلاً، ويعرضها على أصحابه في أربعة كذلك، فلا يشهرها حتى يأتي عليها حول^(١).

وكانت^(٢) العرب يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به، ولا ينشده أحد حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش فإن استحسنوه روي، وكان فخراً لقائله، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به. فكانت الشعراء يردون إلى سوق عكاظ فتضرب لهم قبة يتناشدون بها أشعارهم، ويحكمون فيها رؤساء قريش فما استجادوه روي، وسار في البقاع وانتشر في الأصقاع^(٣)، وكانوا لدى إنشادهم يتكئون على القسي، ويشيرون بالعصي كما هو الحال لدى الخطابة^(٤). وذكر البغدادي في كتابه خزانة الأدب أن العرب في الجاهلية كانوا إذا أرادوا الهجاء يدهنون إحدى شقي رؤوسهم، ويرخون إزارهم، وينتعلون نعلاً واحدة، وكان الشعر لديهم ديوان

=مادة Meter. ومن المفيد أن نشر هنا إلى أن أرسطو في كتابه (فن الشعر) قد تحدث عن الأوزان وعلاقتها بالموضوعات الشعرية، وخص كل موضوع بوزن معين حسب استقراره. ينظر حول هذا الموضوع: فن الشعر، لأرسطو ص ٥٢ وما بعدها، والحكمة العروضية، لابن سينا ص ٣٠ وما بعدها. فلعل لفظ (الميتر) وهو الوزن كان معروفاً في البيئة الثقافية حينذاك، واستفاد منه ثعلب وأضرابه من المتعاطين علم الشعر ونقده.

(١) ينظر باب [في المطبوع والمصنوع] في عمدة ابن رشيق، ٢٥٨/١، وما بعدها، وفيه كثير مما ذهب المؤلف إليه، وينظر كذلك البيان والتبيين، ٩/٢ و ١٢-١٣.

(٢) هذه الفقرة إلى قوله (به) ينقلها المؤلف من خزانة الأدب، للبغدادي، ١٢٥/١-١٢٦.

(٣) ينظر الأغاني، للأصفهاني، ٢٠١/٢١، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ٢٥٥/١، وما بعدها.

(٤) هذا مما عابته الشعبية على العرب، يقول الجاحظ: "... مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي، والاتكاء على أطراف القسي". البيان

والتبيين، ٦/٣، ويخص الجاحظ الخطباء وحدهم بهذا الكلام، وينظر رده عليهم في البيان والتبيين أيضاً ١١/٣ وما بعدها.

علمهم، ومنتهى حكمتهم، والمقيد لأيامهم، به يأخذون، وإليه يصيرون، ولا غرو فهو لديهم قيد الكلام^(١)، وعقل الآداب، وسور البلاغة، ومعدن البراعة، ومجال الجنان، ومسرح البيان، وذريعة المتوسل، وذمام الغريب، وعصمة الهارب، وعدة الراهب، والحاكم لهم، والشاهد عليهم، ومعظم براعة كلامهم في الشعر، ولا نجد في منشورهم ما نجد في منظومهم، فهو أفصح من الخطب، وأدق مسلكا من جميع أصناف كلامهم على بعده^(٢) عن الاستكراه، وتنزهه عن الاختلال، وصيانتها عن التكلف، وصنعه في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة.

وكان^(٣) الشاعر لديهم محترما لفرط حاجتهم إليه لكونه يقيد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عددهم، ويهابه شاعر غيرهم فراقبه. وقد كانت^(٤) القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر (جمع مزهر وهو العود الذي يضرب به) كما يصنعن في الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذبح عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة لذكورهم، وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج.

واعتبر ذلك بما ذكر من أن النابغة الجعدي أمسك عليه الشعر أربعين يوما فلم ينطق، ثم أن بني جعدة غزوا قوما فظفروا، فلما سمع فرح وطرب فاستحثه الشعر فذل

(١) هذه الفقرة إلى قوله (الراهب) ينقلها المؤلف من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٦٨٥/٣، وهي منسوبة للناشي.

(٢) من هنا إلى نهاية الفقرة أخذت من البيان والتبيين، ٨٣/١.

(٣) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها من البيان والتبيين، ٢٤١/١، وهي منسوبة إلى أبي عمرو بن العلاء باختلاف، يقول الجاحظ: "وقال أبو عمرو بن العلاء: كان الشاعر في الجاهلية يقدم علي الخطيب لفرط حاجتهم إليه..."، ويعيد الجاحظ معنى النص في موضع آخر من البيان والتبيين، ٨٣/٤.

(٤) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها باختلاف طفيف من العمدة لابن رشيق، ١٥٣/١.

له ما استصعب عليه، فقال قومه: و الله لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسر من الظفر بعدونا.

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد مازن مخارق بن شهاب حين أتاه المعكبر العنبري الشاعر، فقال: إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسع لي فيها، فقال: كيف وأنت جار وردان بن مخرمة، فلما ولى عنه حزن مخارق، وبكى حتى بل لحيته، فقالت له ابنته: ما يبكيك؟ فقال: وكيف لا أبكي واستغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أغثه، و الله لئن هجاني ليفضحني قوله، ولئن كف عني ليقتلنني شكره، ثم نهض ف [(١) في] [(٢) فردت الإبل إلى صاحبها.

وقد قال العرب الشعر منذ عهد عاد وثمود، وإنما لم تصل إلينا أشعارهم، ولا أخبارهم حتى نتعرف منها سير الشعر، وتدرجه (٣)، ولم يصل إلينا سوى أشعار العرب منذ عصر آل المنذر ملوك الحيرة قبيل القرن السادس الميلادي، وقبل الإسلام بنحو مائة سنة (٤)، ولولا عناية الإسلاميين بحفظها وروايتها واحتفاؤهم بتدوينها للحقت بقديم الشعر، واندرجت معه تحت طي الخفاء، على أنهم لم يحفظوا إلا القليل منه، كما يؤيد ذلك قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وهو: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه (٥)، فجاء الإسلام فتشأغلته عنه العرب، وتشأغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، وألقوا

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

(٣) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٦/١، وتعليق الشيخ محمود شاكر محقق الطبقات.

(٤) يقول ابن سلام: "... وقد كان عند النعمان بن المنذر من الشعر ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، صار ذلك إلى بني مروان، أو صار منه". طبقات فحول الشعراء، ٢٥/١، وينظر كذلك الخصائص لابن جني ٣٨٧/١.

(٥) إلى هنا ينتهي كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبقيّة الكلام لابن سلام صاحب الطبقات، ينظر، ٢٥-٢٤/١، وينظر كذلك

الخصائص لابن جني، ٣٨٦/١.

ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالمولوت فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه كثير أه وقال [أبو]^(١)
 عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير^(٢). أه
 ومن هنا اختلفت أقوال الرواة، فقال البعض: إن للشعر والشعراء أولا لا يوقف عليه، وبذلك أدخلوا
 عهد عاد وحمود. وقال البعض الآخر: لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما
 قصدت القصائد، وطول الشعر على العهد الأخير، وإن أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر، المهلهل^(٣)
 المتوفى سنة ٥٠٠م وقد بنوا قولهم هذا على حسب ما تلاحت روايتهم له من الشعر، وتواتر فيما بينهم. وقد
 أجمع الرواة والعلماء على أن أدب اللغة العربية قد ابتدأ منذ ذلك العصر الذي عول عليه الرواة، والعلماء، ولذا
 يحسن بنا أن نذكر الشعر والشعراء في ذلك الزمن فنقول:

إن المشاهير من شعراء العرب أكثر من أن يحاط بهم عددا، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم، وسار
 شعرهم^(٤)، وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في زمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله، وتتعصب له،
 وقلما تجتمع على واحد. وقال ابن فارس^(٥): وقد يكون شاعر أشعر، وشعر أحلى وأظرف، فأما أن تتفاوت الأشعار

(١) ساقطة في الأصل والزيادة من طبقات فحول الشعراء.

(٢) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٥/١، والخصائص، لابن جني، ٣٨٦/١.

(٣) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٦/١، والأغاني للأصفهاني، ٥٧/٥.

(٤) يقول ابن قتيبة: "والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ولو أنفد عمره في التنقيح عنهم..."، الشعر والشعراء، ٦٠/١.

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "هو أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي وكان مقيما بهمدان، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني، توفي سنة ٣٩٥هـ، والمؤلف ينقل النص من كتابه الصاحب في فقه اللغة، ص ٤٦٨.

القديمة حتى يتباعد ما بينها في الجودة فلا، وبكل يحتج وإلى كل يحتاج، وأما الاختيار الذي يراه الناس للناس فشهوات كل يستحسن شيئاً.

ومن أمعن نظره في أشعارهم يحكم باختلاف صبغتها ليس إلا وذلك حسب اختلاف أميالهم إلى الموضوعات فمنهم من يجيد في المدح دون الهجو، ومن يبرز في الهجو دون المدح، ومن يسبق في التقريظ دون التأبين، ومن يغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل أو وصف الحرب أو الروض أو الخمر أو الغزل والنسيب، وغير ذلك مما يشتمل عليه الشعر، ويتداوله الكلام، ومن ذلك الصبغة التي يأخذها الشعر من الأوساط التي يعيش فيها الشاعر كالبداوة، والحضارة، فكان شعر البدوي -على ما قيل- يدور بين جبل وجمل، وحط وترحال، ورداء وخباء ونحو ذلك من مشاهدته، وشعر الحضري بين قصور وحور، وترف وطرب، ومع ذلك لا يقصر -البدوي في الإجابة عن الحضري، بل كثيراً ما يعمل تخيله فيجعل خبائه قصراً مشيداً ويصف منه ما تقصر الحقيقة عنه.

والموضوعات التي تداولها الشعراء في أشعارهم هي: الحماسة والفخر والآداب والنسيب والمدح والهجاء والرثاء والاعتذار والوعيد والشكوى والشوق إلى المنازل وذكر الطلول ووصف جمال الطبيعة ووصف الإبل والأفراس والظباء والنعامه والبقر والوحشي والسحاب والبرق وتاريخ الوقائع وأيام الحروب.

والشعراء ليسوا أسوأ في إجابة هذه الموضوعات جميعها، بل كان الواحد منهم يجيد البعض دون البعض تبعاً لميله، واستعداده، واعتبر ذلك بما ذكر في الأغاني^(١) عن ابن الأعرابي: أنه لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دؤاد، ولا وصف أحد الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر، ولا وصف أحد نعامه إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة، ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني. أهـ

وشعراء الجاهلية كثيرون إلا أنه اشتهر منهم عدد في الجاهلية والإسلام، وقد قسمهم الإسلاميون إلى طبقات: أولى، وثانية، وثالثة، واختلفوا في نسبتهم إلى تلك

(١) ينظر الأغاني، ٣٧٥/١٦.

الطبقات، فالبعض يعد الشاعر منهم في الطبقة الأولى، بينما البعض الآخر يعده في الطبقة الثانية، وهكذا^(١).

ولم يكن لهذا الاختلاف داع إلا الشهوات^(٢) - كما تقدم -، كل يستحسن ما يميل إليه طبعه، ويستملحه ذوقه، ولذلك رأينا أن لا نتبعهم في تقسيم أولئك الشعراء إلى تلك الطبقات، بل نكل المطلع إلى ذوقه، واستحسانه، ووجدانه، وحكمه.

وكان التدبير أن نذكرهم مرتبين حسب وفياتهم، إلا أننا آثرنا أن نقدم أصحاب المعلقات السبع لإجماع الرواة على تقدمهم، واشتهارهم مجتمعين في دائرة واحدة، وستتبع ذلك التدبير فيمن بقي من الشعراء، فنقول:

شعراء المعلقات

المعلقات من أجود أشعار العرب، وأشهرها، وقد اعتنوا بها، وكتبوها بالذهب على الحرير، وعلقوها على الكعبة، وقيل: كتبوها بماء الذهب في القبايطي^(٣)، وتسمى لذلك بالمذهبات. فيقال: مذهب فلان إذا كانت أجود شعره.

ومن شدة ولوع العرب بالمعلقات كانوا يجتمعون كل ليلة بخيامهم يتناشدونها لجمعها بين محاسن الترنم، وحلاوة التوقيع بلا تكلف مع اشتغالها على السجايا العربية المثيرة للحماسة^(٤).

(١) قارن بما ورد في جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٢١٨/١.

(٢) يراد [بالشهووات] الرأي الشخصي، والذوق الفردي.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "ثياب إلى الدقة. والرقعة، والبياض، وهي من كتان كانت تعمل بمصر، منسوبة إلى القبط على غير قياس، وفي حديث عمر رضي الله عنه: لا تلبسوا نساءكم القبايطي فإنه إن لا يشف فإنه يصف. أه لسان العرب". ينظر لسان العرب، ٣٧٣/٧، مادة (قبط).

(٤) قارن بما ورد في العمدة، لابن رشيقي، ٢٠٦/١ والعقد الفريد، ٢٦٩/٥ ومعجم الأدباء لياقوت، ٢٦٦/١٠، والمزهر للسيوطي، ٢٨٠/٢، وتاريخ ابن خلدون، ١١٢٢/١، وينكر النحاس شارح القصائد التسع هذا التعليق، ينظر شرحه، ٦٨٢/٢، وينظر كذلك معلقات العرب، د. بدوي طبانة، ص ٢٣ وما بعدها، وتاريخ الأدب العربي، بلاشير، ص ١٧٤، حيث ناقش قضية التعليق وتركه مناقشة مستفيضة.

وأول^(١) من علق شعره على الكعبة امرؤ القيس، وبعده علق شعر الشعراء، وهم سبعة ثانيهم طرفة بن العبد، ثالثهم زهير بن أبي سلمى، رابعهم ليبد بن ربيعة، خامسهم عمرو بن كلثوم، سادسهم عنترة بن شداد، سابعهم الحارث بن حلزة -هذا هو المشهور، وقيل بدل عنترة والحارث أعشى قيس والنابعة الذبياني، ولنأت على ذكرهم بهذا الترتيب فنقول^(٢):

١. امرؤ القيس:

هو أبو الحارث امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، كان أبوه حجر من ملوك كندة في بني أسد، وامرؤ القيس أصغر أولاده، ولد في بلاد بني أسد، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب، والمهلhel^(٣) ومعنى امرئ القيس رجل الشدة ويكنى بأبي وهب، وأبي الحارث، وبذي القروح.

كان امرؤ القيس فصيح الألفاظ جيد السبك، مقدما على الشعراء، قال علي كرم الله وجهه: رأيت امرأ القيس أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة، ولم يقل لرغبة، ولرهبة^(٤).

ووصفه البديع الهمداني في مقاماته^(٥) بقوله: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدى والطير في وكناثها، ووصف الخيل بصفاتهما ولم يقل الشعر كاسبا، ولم يجد القول راغبا ففضل من تفتق للحيلة لسانه، وانتج للرغبة بنانه.

(١) ينقل المؤلف هذه الفقرة من خزانة الأدب، للبغدادى، ١٣٦/١.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "قال في كشف الظنون: وقد اعتنى بالمعلقات الأدياء فشرحها أبو جعفر بن النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ وأبو علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ، وأبو بكر البطليوسي المتوفى سنة ٤٩٤هـ، وأبو زكريا بن الخطيب التريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ والإمام الدميري صاحب حياة الحيوان، وشرحها القاضي أبو عبد الله الحسين الزوزني المتوفى سنة ٤٨٦هـ أه وهذا الشرح الأخير مطبوع ومتداول بالأيدى". ينظر كشف الظنون، ١٧٤٠/٢-١٧٤١.

(٣) ينظر العمدة، ١٩١/١.

(٤) ينظر العمدة، ١١٢/١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٥٤/٢٠.

(٥) ينظر شرح مقامات الهمداني، ص ١٢-١٣.

ونقل السيوطي في كتابه المزهر^(١) عن بعضهم أن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء، واتبعوه فيها لأنه أول من لطف المعاني، ومن استوقف على الطلول، ووصف النساء بالطباء^(٢) والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة، وقرب مأخذ الكلام فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه. أهـ

وأشعاره الماثورة عنه قد جمعت في ديوان يشتمل على ثلاثين قصيدة ومقطوعة، وقد شرحه الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي^(٣). ويغلب على شعره النسيب والغزل^(٤) ووصف جمال النساء، وذكر الصبابة والشوق، وحكاية ما كان بينه وبين محبوباته، وما يتبع ذلك من الفخر بجده وجدده وشجاعته وكرمه، ووصف راحلته وما يتعرض له في السير وغير ذلك مما يدل على أنه كان شديد الغرام بالنساء كثير الهيام بذكرهن ماثلاً إلى شهواته النفسية لا يكثر بذكر ما جرى مع المحبوبة ولو خدش بوجه الأدب، إلا أن جميع قصصه في ذلك جامعة لركة الوصف، وحسن اللفظ منبهة عن وجدانه الطبيعي، شارحة لما تطمح إليه الأميال البشرية الصرفة، وتطمع فيها الأدواق الطبيعية المرسلّة التي لم ترتبط بعادة أو قانون أو دين.

وأشهر قصائده معلقته التي أولها (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)، وقد ضرب بها المثل في الشهرة فقيل: (أشهر من قفا نبك)^(٥)، وسبب إنشائه لها أنه كان

(١) ينظر المزهر، للسيوطي، ٤٧٨/٢-٤٧٩، والنص في طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ٥٥/١، باختلاف، والعمدة لابن رشيقي، ٢٠٣-٢٠٢/١.

(٢) في الأصل: [والطباء]، وأثبتنا ما في المتن اعتماداً على المصادر.

(٣) كتب المؤلف هامشاً هنا، هذا نصه: "قد طبع هذا الديوان مع شرحه بالقاهرة بمطبعة محمد شاهين سنة ١٢٨٢هـ". ينظر عن هذه الطبعة: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١٠٠/١، وتاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ١٢١/١.

(٤) يفرق المؤلف بين النسيب، والغزل، ويجعلهما فنيين مختلفين، وهي تفرقة مهمة طالما أغفلها الدارسون، وتعد هذه التفرقة من الإشارات المبكرة إلى هذه القضية في العصر الحديث.

(٥) ينظر تمثال الأمثال، للعبدري الشيباني، ١٩/١، حيث يقول عن هذا المثل إنه يضرب: للأمر المتعالم المشهور.

مولعا بابنة عمه فاطمة، وتلقب بعنيزة، وقد طلبها زمانا فلم يصل إليها حتى كان يوم الغدير، يوم احتمل الحي فقدموا الرجال، وخلفوا النساء والخدم فانتهز امرؤ القيس هذه الفرصة، وتخلف عن قومه في غيابة من الأرض حتى مرت به النساء وفيهن ابنة عمه فلما وردن الغدير (دائرة جلجل)^(١) نزلن ونحبن ثيابهن واغتسلن فخرج إليهن امرؤ القيس، وأقسم أن لا يعطي لهن الثياب إلا إذا خرجن إليه، ويراهن -قاتله الله^(٢)- فكان كذلك إلى آخر القصة، وقد وصف كل ذلك في معلقته، ولما بلغ أباه حجرا هذا الخبر، وسمع القصيدة غضب عليه، وطرده.

والمعلقة من البحر الطويل، لامية الروي، تشتمل على بضعة وستين بيتا^(٣)، قال في ابتدائها^(٤):

قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ومنها يذكر بعض ما جرى له مع عنيزة يوم الغدير:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقلت: لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
ومنها يستعطفها:

أطام مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمرني القلب يفعل
فإن تك قد ساءتك مني خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل^(٥)

(١) فصل أبو بكر الأنباري في شرح القصائد السبع، الحديث عن دائرة جلجل، ينظر ص ١٣-١٥.

(٢) هذا الاعتراض غير موجود في المصادر، ولعله من المؤلف.

(٣) هي في الديوان سبعة وسبعون بيتا.

(٤) ديوانه، ص ٨ وما بعدها.

(٥) في الديوان: (وإن كنت) بدل (فإن تك).

وما ذرفت عيناك إلا [لتقذحي]^(١) بسهميك في أعشار قلب مقتل
ومنها يصف فرسه:

وقد اغتدي والطير في وكناتها
مكر مفر مقبل مدبر معا
ومن مطولات قصائده قصيدته التي أولها^(٢):

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل ينعمن إلا سعيد مخلد
وهل يعمن من كان في العصر الخالي
قليل الهموم ما يبيت بأوجال
وهي التي يقول فيها بعد ما ذكر ما وقع له مع محبوبته سلمى:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل
كفاني - ولم أطلب - قليل من المال
وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه
مدرك أطراف الخطوب ولا آلي^(٣)
ولما قتل بنو أسد أباه حجرا، وبلغه الخبر وهو يشرب خمرا، قال:

اليوم خمر، وغدا أمر، فذهبت مثلاً^(٤)، واستنجد بعض القبائل فأنجدوه، ولكنه لم يدرك ثأره، فسافر إلى
قيصر الروم يستنجده فأكرمه، فاندس رجل من بني أسد يقال له الطماح حتى أتى بلاد الروم، ثم إن قيصر ضم إلى
امريء القيس جيشا فلما سار به أتى الطماح إلى قيصر، وقال له: إن امرأ القيس غوي عاهر، وقد ذكر أنه يرأسل

(١) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٢) ديوانه، ص ٢٧ وما بعدها.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، وهذا نصه: "المؤثّل الذي له أصل، والحشاشة بقية النفس، والخطوب: الأمور العظيمة، والآلي: المقصر - يقول: إن الإنسان ما دام حيا لا يدرك كل ما يريده وإن لم يقصر في الطلب".

(٤) ينظر أمثال الضبي، ص ١٢٧ مع مصادر المحقق، ومجمع الأمثال، للميداني، ٤١٧/٢.

ابنتك، ويواصلها وهو قائل في ذلك أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها فبعث إليه -على ما يقال- حلة وشي كانت مسمومة فلبسها فأسرع إليه السم، وسقط جلده، ولذلك سمي بذئ القروح، فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى (أنقرة) احتضر بها، وقد رأى قبيل ذلك قبر امرأة من أبناء الملوك بسفح جبل يقال له عسيب فقال^(١):

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات ودفن إلى جنب قبر المرأة وذلك سنة ٥٣٨م أي سنة ٨٤ قبل الهجرة^(٢).

٢. طرفة بن العبد:

هو عمرو^(٣) بن العبد بن سفيان البكري، وطرفة لقب غلب عليه، شاعر مجيد من فحول شعراء الجاهلية، من أهل البحرين. قال ابن قتيبة^(٤): هو أجود الشعراء قصيدة، وله بعد المعلقة شعر حسن، وليس من شعره عند الرواة إلا القليل. وقد جمع له ديوان ذكره صاحب كشف الظنون، وقد طبع بألمانيا سنة ١٨١٩م^(٥)، ويطبع الآن في

(١) ديوانه، ص ٣٥٧.

(٢) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ٨٢ ق.هـ (٥٤٠م)، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١١٧/١.

(٣) ينظر خزنة الأدب، للبغدادي، ٤١٩/٢، حيث يقول: "الطرفة محركة: واحدة الطرفاء، وبها لقب طرفة بن العبد، واسمه عمرو، ولقب ببيت قاله".

(٤) ينظر الشعر والشعراء، ١٨٥/١، ولا يستخدم ابن قتيبة لفظة (المعلقة)، بل يستخدم (طويلة)، وقارن بطبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٦/١، حيث يقول: "... ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، والذي صح لهما بقدر عشر...". وينظر كذلك خزنة الأدب، للبغدادي، ٤١٩/٢.

(٥) يقول بروكلمان إن هناك "رسالة دكتوراة، من عمل فاندنهوف تشتمل على ترجمة معلقة طرفة إلى اللاتينية، برلين، ١٨٩٥"، تاريخ الأدب العربي، ٩٣/١.

باريس على هذا العهد سنة ١٣١٨ م^(١)، وذكر البغدادي في خزائن الأدب^(٢) أن لديوانه شرحين أحدهما ليعقوب بن السكيت، والثاني للأعلم الشنمري.

وقتل طرفه وهو ابن ست وعشرين سنة وقد بلغ بحدائنه سنه ما بلغ القوم في طول أعمارهم. وقد وصفه البديع في مقاماته بقوله^(٣): "هو ماء الأشعار وطينتها، وكنز القوافي ومدينتها، مات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تفتح أعلاق خزائنه". ويغلب على شعره وصف أشياء الطبيعة، والفخر والحكمة، وضرب المثل، واللهو لعنفوان شبابه، وهو القائل:

ولا أغير على الأشعار أسرقها غنيت عنها وشر الناس من سرقا
وإن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا^(٤)

ومعلقته ثمانية المعلقات في الرتبة، وهي من بحر الطويل، دالية الروي تبلغ نيفا ومائة بيت^(٥)، ابتدأها بالشوق إلى عروس القصيدة خولة، فقال:

لخولة أطلال بريقة ثممد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد^(٦)
ومنها يذكره مجده وجده، وخلاعته:

ولست بحلال التلال مخافة^(٧) ولكن متى يسترفد القوم أرقد
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تلمسني في الحوائيت تصطد

(١) يشير إلى طبعة Seligsohn للديوان بباريس، سنة ١٩٠١م، ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ١٤١/١.

(٢) تنظر خزائن الأدب، ٤١٦/٢.

(٣) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص ١٤.

(٤) ديوانه، ص ١٨٠، وفيه (عنها غنيت) بدل (غنيت عنها).

(٥) هي في الديوان مائة وثلاثة أبيات.

(٦) ديوانه، ص ٦ وما بعدها، وقد كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "خولة اسم امرأة كلبية، وبرقة مكان اختلط ترابه بالحصي والجمع الأبارق، وثهمد موضع".

(٧) في الديوان: "لبينة" بدل (مخافة).

وإن يلتق الحي جميع تلاقني
ومنها يذكر نفاذ الأشياء وانقضاء الأيام:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة^(٢)
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
وختم القصيدة بقوله لله دره:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
ويأتيك بالأخبار من لم تضرب له وقت موعد^(٤)

وقد ذكر بعضهم السبب في قتله، وهو أنه كان ينادم عمرو بن هند الملك يوما فأشرفت أخته فرأى
طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال:

ألا يا ثاني الطبي الذي يبرق شنفاه^(٥) ولولا الملك القاعد أثلمني فاه^(٦)

فحقد ذلك عليه، وكره العجلة فيه لمكان قومه، ثم أرسل إليه بعد زمن وإلى خاله المتلمس لهجوه إياه
من قبل، فلما أتياه أكرم وفادتهما، وأعطاهما الهدايا، وكتب إلى عامله بالبحرين ليقتلتهما، وقال له: قد كتبت لكما
بحباء، فسارا حتى نزلا الحيرة،

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الحلال مبالغة الحال من الحلول، والتلعة ما ارتفع من سيل الماء وانخفض عن الجبال،
والحوانيت جمع حانوت بيت الخمار".

(٢) في الديوان: (المال) بدل (العيش).

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الاعتيام الاختيار، والفاحش البخيل، والطول الحبل يطول للدابة فترعى فيه".

(٤) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "باع هنا بمعنى اشترى، والبتات كساء المسافر وأدواته".

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الشفن: القرط والجمع أشناف وشنوف".

(٦) في الديوان، ص ١٩٩، تأتي الرواية هكذا:

ألا بأي الريم الذي يبرق شنفاه ولولا الملك العالي لقبلت له فاه

فقال الملتبس: يا طرفة إنك غلام حدث السن، ولست تعرف ما أعرف، ولست آمن أن يكتب بما نكره، فتعال ننظر في كتبه، فقال طرفة: لم يكن ليقدّم بمثل هذا، وعدل الملتبس إلى غلام من أهل الحيرة فقرأ له الصحيفة فإذا فيها السوء فألقاها في النهر، وتبع طرفة ليرده فلم يدركه. وقدم طرفة على عامل البحرين، ودفع له الكتاب فكان من أمره أن عرض عليه أن يختار قتلة يقتله بها، فقال: اسقني خمرا، فسقاه حتى مات، وقبره معروف بهجر، وكان ذلك سنة ٥٥٢م أي سنة ٧٠ قبل الهجرة^(١).

٣. زهير بن أبي سلمى:

هو من قبيلة مزينة من مضر، كان سيدا كثير المال، حليما، معروفا بالورع. من أشهر شعراء الجاهلية، وكان أبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، وأشدّهم مبالغة في المدح، وأكثرهم أمثالا في شعره، وكان لا يعاقل في الكلام (لا يتكلم بالرجيع من القول)، يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحدا إلا بما فيه^(٢). وقد وصفه البديع في مقاماته بقوله^(٣): (يذيب الشعر، والشعر يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه) أهـ ولم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وابن ابنه المضرب بن كعب شاعرا. ويغلب على شعره المدح والأمثال والحكم، وغالب مدحه في هرم بن سنان أحد الأجواد المشهورين، وكان هرم حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا

(١) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه قتل سنة ٦٢ق.هـ (٥٦٠م). ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٣٦/١.

(٢) هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير، ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٦٣/١، والعمدة، لابن رشيق، ٢٠٩/١.

(٣) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص ١٤-١٣.

أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه فاستحيا زهير منه، فكان إذا رآه قال: أنعموا صباحا غير هرم، وخيركم استثنيت^(١).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض ولد هرم: إن زهيراً كان ليحسن فيكم المدح. قال: نحن - و الله - كنا لنحسن له العطية. قال: قد ذهب ما أعطيتموه، وبقي ما أعطاكم^(٢).

ولزهير تنسب الحوليات من القصائد، ينظم الواحدة منها في أربعة أشهر، ويهذبها بنفسه في أربعة كذلك، ويعرضها على أصحابه في أربعة مثلها فلا يشهرها حتى يأتي عليها حول.

ولزهير ديوان كبير، ويستفاد من كلام البغدادي في خزانة الأدب^(٣) أنه كان لديه لهذا الديوان شرحان، والذي نعهده الآن شرحه للأعلم الشنتمري المطبوع في مدينة ليدن سنة ١٨٨٩م^(٤). وقد وقع الإجماع على أن أمدح بيت قوله:

وأبيض فياض يدهاه غمامة على معتفيه ما تغب فواضله^(٥)
تراه إذا ما جئته مهتلا كأنك تعطيه الذي أنت سائله^(٦)

وعمر زهير طويلاً، ومات قبل البعثة بسنة واحدة على المشهور، ويقال إنه رأى في منامه في أواخر عمره أن سبأ تدلى من السماء إلى الأرض كأن الناس

(١) ينظر الأغاني، للأصفهاني، ٣٠٥/١٠.

(٢) ينظر الأغاني، للأصفهاني، ٣٠٤/١٠، والعمدة، لابن رشيقي، ١٨٠/١-١٨١.

(٣) تنظر خزنة الأدب، ٣٣٤/٢، يقول البغدادي: "وديوان شعر زهير كبير، عليه شرحان، وهما عندي، والحمد لله والمنة، أحدهما بخط مهلهل الشهير الخطاط صاحب الخط المنسوب".

(٤) يشير المؤلف إلى نشرة المستشرق لندبرج لشرح الأعلام للديوان، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٩٦/١، ومقدمة تحقيق شرح ديوان زهير، لثعلب، ص ٧.

(٥) شرح ديوان زهير، ص ١٣٩.

(٦) المصدر السابق، ص ١٤٢.

يمسكونه، وكلما أراد أن يمسكه تقلص عنه، فلما احتضر قص رؤياه على ولده كعب ثم قال: إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي، فإن كان فتمسكوا به، وسارعوا إليه.

ومعلقة زهير من بحر الطويل، ميمية الروي، تشتمل على أربعة وستين بيتاً^(١)، قد جمعت بين الغزل والتاريخ والحكم والأمثال، وأبياتها التي في آخرها تشبه كلام الأنبياء، وهي من أحكم حكم العرب، وما فيها إلا درة وغرة، وقد مدح في المعلقة هرم بن سنان، والحارث بن عوف لقيامهما بأمر الصلح بين عبس وذبيان، وتحملهما أعباء ديات القتلى، قال في ابتدائها^(٢):

أمن أم أوفى دمنمة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم^(٣)

ومنها يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل وميرم
تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم^(٤)
ومنها ينصح ذبيان:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

(١) هي في الديوان تسعة وخمسون بيتاً.

(٢) ينظر شرح ديوان زهير، ص ٤ وما بعدها.

(٣) كتب المؤلف هامشاً هنا، هذا نصه: "الدمنة ما اسود من آثار الديار من أثر الناس، وحومانة الدراج والمتثلم موضعان".

(٤) كتب المؤلف هامشاً هنا، هذا نصه: "المنشم اسم امرأة عطارة، اشترى قوم منها جفنة من العطر، وتحالفوا، وجعلوا أن حلفهم غمسهم الأيدي في ذلك العطر فقاتلوا العدو فقتلوا عن آخرهم فتطير العرب بعطر منشم، وسار المثل به، فقالوا: أشام من عطر منشم".

ومنها في الحكم الأمثال:

يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم^(١)
على قومه يستغن عنه ويذمم
يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم
وإن نال أسباب السماء بسلم

يفره ومن لا يتقي الشتم يشتم
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ولا يعفها يوما من الدهر يسأم
وإن خالها تخفى على الناس تعلم
زيادته أو نقصه في التكلّم
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ومن لم يصانع في أمور كثيرة
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
ومنها إلى آخر القصيدة:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
ومن يغترّب يحسب عدوا صديقه
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه
ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وكائن ترى من صامت لك معجب
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

٤. لبيد بن ربيعة العامري:

أحد المجيدين من شعراء الجاهلية المعدودين فيها، والمخضرمين الذين أدركوا الإسلام، وأقلهم لغوا في شعره، وكان جوادا شريفا، وكان في الجاهلية يقول الشعر، ويوصي بعدم إظهاره حتى قال معلقته المشهورة. وترك الشعر في الإسلام منذ قرأ القرآن الكريم، ويقال إنه لم يقل في الإسلام سوى هذا البيت^(٢):

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "المنسم للبعير بمنزلة السنبك للفرس".

(٢) ديوان، ص ٢٣٦، ويعلق المحقق بقوله: "هذا البيت نسب للبيد في كثير من المصادر، والصواب أنه لفروة بن نفاثة السلوي"، وفي الديوان: [لبست] بدل [اكتسيت].

وقد أرسل إليه المغيرة بن شعبه وهو على الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنشه ما قال من الشعر في الإسلام فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها، وقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر.

وكان أحد المعمرين: يقال إنه لم يمت حتى حرم عليه نكاح خمسمائة امرأة من بني عامر، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأقام بها حتى مات سنة ٤٢هـ رحمه الله^(١).
وأشعاره مملوءة بالأفكار الحكيمة الدالة على حسن اختياره، وكثرة اختباره، وعلى ورعه وتقواه مع حسن الأسلوب، جودة الإنشاء، وله ديوان طبع في فيينا عاصمة بلاد النمسا سنة ١٨٨٠م^(٢).

وله قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر أولها^(٣):

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى— أم ضلال وباطل
وهي التي يقول فيها:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهة تصفر منها الأنامل
وكل امريء يوما سيعلم سعيه إذا كشفت عند الآله الحصائل^(٤)

(١) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي بين سنة ٣٥ و ٣٨ هـ (٦٦٥-٦٦٩ م). ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢٣٢/١.

(٢) يشير المؤلف إلى طبعة الأستاذ يوسف ضياء الدين الخالدي الذي نشر- جزءا من ديوان لبید في فينا، ينظر: لبید بن ربیعة العامري، د. يحيى الجبوري، ص ١٩٣، وتاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ١٤٦/١.

(٣) ديوانه، ص ١٣١.

(٤) في الديوان [المحاصل] بدل [الحصائل]، وفي الهامش: "يروى: الحصائل، وهي الحسنات والسيئات معا".

ومن شعره قوله^(١):

وما الناس إلا كالديار وأهلها	بها يوم خلوها وتغدو بلاقح ^(٢)
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه	يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
أليس ورأيي إن تراخت منيتي	لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
فلا تبعدن إن المنية موعد	علينا فدان للطلوع وطالع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى	وأني كريم لم تصبه القوارع
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى—	ولا زاجرت الطير ما الله صانع ^(٣)

ومعلقاته من بحر الكامل، هائية الروي، تبلغ ثمانية وثمانين بيتا^(٤)، وموضوعها التشبيب بنوار، ووصف بعض أشياء الطبيعة والرحال وبقر الوحش والأفراس، والفخر بنفسه وبقومه الذين منهم عامر بن الطفيل، وختم المعلقة []^(٥).

قال في ابتدائها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبى غولها فرجامها^(٦)

ومنها يفتخر مخاطبا محبوبته نوار، ويذكر لهوه بها:

أو لم تكن تدري نوار بأني	وصال عقد حبال صرامها
تراك أمكنة إذا لم أرضها	أو يعتلق بعض النفوس حمامها
بل أنت لا تدريين كم من ليلة	طلق لذى لهوها وندامها

(١) ديوانه، ص ٨٨.

(٢) في الديوان: [خلوها وغدوا] بدل [خلوها وتغدو].

(٣) في الديوان: [الضوارب] بدل [الطوارق].

(٤) هي في الديوان كذلك، ثمانية وثمانون بيتا.

(٥) كلمة غير مقروءة.

(٦) ديوانه، ص ١٦٣، وما بعدها.

قد بت سامرها وغاية تاجر

وافيت إذ رجعت وعز مدامها^(١)

ومنها يفتخر بقومه مادحا عامر بن الطفيل:

إننا إذا التقت المجامع لم يزل

منالراز عزيمة جشامها

ومقسم يعطي العشيرة حقها

ومغذمر لحقوقها هضامها

فضلا وذو كرم يعين على الندى

سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آبأؤهم

ولكل قوم سنة وإمامها

لا يطبعون ولا يبور فعالهم

إذ لا يميل مع الهوى أحلامها

فاقنع بما قسم المليك فإنما

قسم الخلائق بيننا علامها

وإذا الأمانة قسمت في معشر

أوفى بأوفر حظنا قسامها^(٢)

فبنى لنا بيتا ريعا سمكه

فسما إليه كهلها وغلماها

وهم السعاة إذا العشيرة أفضعت

وهم فوارسها وهم حكامها

وهم ربيع للمجاور فيهم

والمرملات إذا تطاول عامها

وهم العشيرة أن يبطي حاسد

أو أن يميل مع العدو لئامها

٥. عمرو بن كلثوم:

هو أبو الأسود التغلبي، من أهل الجزيرة، ومن فحول شعراء الجاهلية، كان يقوم بقصائده خطيبا

بسوق عكاظ، ويغلب على شعره الفخر، وجودة الوصف، ويقال: إن معلقته كانت تزيد على ألف بيت، وأنها

في أيدي الناس غير كاملة، وقد أنشدها

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الحيائل مستعارة للعهود، الغاية: الراية يضعها الخمار ليعرف مكانه، وأراد بالتاجر الخمار، يتمدح بمسامرته لأصحابه وبجوده لأشترائه الخمر غالية لندمائه".

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "رجل لراز: يصلح الخصوم، يقول: إذا اجتمعت القبائل لم يزل يسودهم رجل منا يقمع الخصوم عند الجدل، ويتجشم عظام الخصام. التغذم: التغضب مع همهمة - الطبع: الدنس، والبوار: الفساد والفعال فعل الواحد جميلا كان أو قبيحا، وقوله: وإذا الأمانة الخ مراده أنه إذا قسمت الأمانات بين الأقوام وفر قسمنا ونصيبا، يريد أنهم أوفى الأقوام أمانة".

ارتجالا بين يدي عمرو بن هند الملك، وسبب ذلك أنه جاء أناس من بني تغلب إلى بكر ابن وائل يستسقون في سنة إصابتهم فطردهم بكر للحقد الذي كان بينهم؛ فرجعوا إلى الفلاة فمات منهم سبعون رجلا عطشا فاجتمعت بنو تغلب لحرب بكر، واستعدت لهم بكر، وقبل الالتحام خافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت قديما، فدعا بعضهم بعضا إلى الصلح فتحاكموا في ذلك إلى الملك عمرو بن هند فجمع الفريقين، وأصلح بينهم وأنشد عمرو بن كلثوم معلقته في ذلك المجلس يذكر فيها أيام بني تغلب ويفتخر بهم، ولشغف تغلب بمعلقته، قال شاعر من بني بكر بن وائل هذين البيتين^(١):

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفأخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

وعاش عمرو بن كلثوم طويلا، ومات سنة ٥٢ قبل الهجرة^(٢). وفي جمهرة أشعار العرب^(٣): قال الذين قدموا عمرو بن كلثوم على شعراء الجاهلية: إنه أعزهم نفسا، وأكثرهم امتناعا، وأجودهم واحدة، وقال البعض: لو وضعت أشعار العرب في كفة، وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة مالت بأكثرهم. أه. ومعلقته^(٤) من بحر الوافر، نونية الروي، تبلغ ١١٦ بيتا^(٥)، ابتدأها بوصف الخمر، ثم بوصف محبوبته ليلى، قدم ذلك بين يدي نجواه حتى إذا قيد أبصار الجمع

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٦/١، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٥٤/١١، وفيه: [يروونها أبدا] بدل [يفأخرون بها].

(٢) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ٤٠ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٤٢/١.

(٣) تنظر جمهرة أشعار العرب، ٢٠٨/١، ٢١٠.

(٤) من الضروري أن نشير هنا إلى أن المستشرقين فريتس كرنكو حين نشر ديوان عمرو بن كلثوم أسقط [المعلقة] منه، فلم ينشرها فيه، اعتمادا على شهرتها، وصنع كذلك في ديوان الحارث بن حلزة الذي سيقف المؤلف عنده بعد قليل، إذ نشر- الديوانين سويا في مجلة المشرق مع إسقاط [المعلقتين]. ينظر ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٢٠، وديوان بني بكر في الجاهلية، د. نبوي، ص ٧٩.

(٥) هناك اختلاف في عدد أبيات القصيدة، فهي في الجمهرة مائة وأحد عشر بيتا، وفي شرح الأنباري أربعة وتسعون بيتا، وفي شرح الزوزني مائة وثلاثة أبيات، وفي شرح التبريزي ستة وتسعون بيتا.

وأسماعهم اندفع يخاطب عمرو بن هند الملك بعزة قومه وبإبائهم، وحسن بلائهم، مفتخرا بهم
وبأعمالهم من البسالة، وأصالة الرأي وكرم المحتد حتى ختم القصيدة.

وقد صاغ تلك المعاني في رقيق الألفاظ المنسجمة التراكيب، السلسلة الأساليب، وعلى رقعتها تراها عند
إنشادها تستجيش الجأش، وتستجلب الحماسة، فلو أنشدت في جيش عرموم لازدرت بالسيوف ورضي من
دمدم^(١).

وإليك بعض نموذجات منها، قال في ابتدائها^(٢):

ألا هبني بصلحك فاصبحيناً	ولا تبقي خمور الأنديرينا
مشعشة كأن الحص فيها	إذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذى اللبانة عن هواه	إذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح إذا أمرت	عليه لماله فيها مهينا ^(٣)

ومنها يذكر ليلي محبوبته، ويصف جمال أعضائها:

أفي ليلي يعاتبني أبوها	وأخوتها وهم لي ظالمونا ^(٤)
تريك إذا دخلت على خلاء	وقد أمنت عيون الكاشحين
ذراعي عيطل أدماء بكر	تربعت الأجارع والمتونا ^(٥)
وثديا مثل حق العاج رخصا	حصانا من أكف اللامسينا

(١) دمدم: غضب، ينظر لسان العرب، ٢٠٩/١٢.

(٢) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٣٨٨/١ وما بعدها، وشرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري، ص ٣٧١ وما بعدها، وشرح المعلقة السبع للزوزني، ص ٢٩١ وما بعدها، وشرح القصائد العشر، للتبريزي، ص ٣٢٠ وما بعدها.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "هب: استيقظ، والصحن: القدح، والصبح: سقى الصبوح، والأنديرون قرى الشام، مشعشة: أي ممزوجة بالماء، والحص: الورس كالزعفران، وسخينا صفة أو فعل، تجور به أي تهمل به، واللحز: البخيل".

(٤) هذا البيت في الجمهرة وحدها، ٣٩٢/١، ولم يورده الشراح الثلاثة المتقدمون.

(٥) في الجمهرة وشرح الزوزني يروي العجز هكذا: [هجان اللون لم تقرأ جنينا].

ونحرا مثل ضوء البدر وافى
وممتني لدنة طالت ولانت
ومأكمة يضيق الباب عنها
وساريتي بلنط أو رخام
بإتمام أناسا مرحلينا^(١)
روادفها تنوء بما يلينا^(٢)
وكشحا قد جنت به جنونا
يرن خشاش حليهما رنينا^(٣)

ومنها يخاطب الملك عمرو بن هند مفتخرا بشجاعة قومه:

إذا ما الملك سام الناس خسفا
ألا لا يجهلن أحد علينا
ونعدو حيث لا يعدى علينا
ألا لا يحسب الأعداء أننا
ترانا بارزين وكل حي
كأننا والسيوف مسلمات
ملأنا البر حتى ضاق عنا
كذلك البحر فملؤه سفينا^(٤)
أبيننا أن نقر الخسف فينا
فجهل فوق جهل الجاهلينا
ونضرب بالمواسي من يلينا^(٥)
تضعضنا وأنا قد فنينا^(٦)
قد اتخذوا مخافتنا قرينا^(٧)
ولدنا الناس طرا أجمعينا^(٨)
كذلك البحر فملؤه سفينا^(٩)

(١) انفرد صاحب الجهرة وحده برواية هذا البيت، ٣٩٢/١، وفيها: [لإتمام] بدل [بإتمام] و[مدجنينا] بدل [مرحلينا].

(٢) في شرح الزوزني: [سمقت وطالت] بدل [طالت ولانت].

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، وهذا نصه: "الكاشح المضمهر العداوة، العيطل الطويلة العنق، من النوق والأدماء: البيضاء منها، والبكر: الناقة حملت بطناً، وتربعت: رعت ربيعاً، والأجارع: الأمكنة فيها الرمل، والمتون: جمع متن، طهر الأرض، رخصاً: لينا، وحصاناً: عفيفة، اللدن: اللبن، أي قامة لدنة، والنوء: النهوض في تناقل، المأكمة: رأس الورك، السارية: الإسطوانة والبلنط: العاج".
ورواه صاحب الجهرة، والزوزني وحدها، وفي الجهرة: [وسالفتي رخام أو بلنط] بدل [وساريتي بلنط أو رخام].

(٤) انفرد صاحب الجهرة بروايته.

(٥) انفرد صاحب الجهرة بروايته.

(٦) انفرد صاحب الجهرة بروايته في الهامش.

(٧) انفرد صاحب الجهرة بروايته في الهامش.

(٨) في الجهرة وشرح التبريزي: [وظهر، وشرح الأنباري] ونحن، وشرح الزوزني: [وماء] بدل [كذلك].

إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجابر ساجدنا^(١)

٦. عنتر بن شداد العبسي:

هو من أهل نجد، وينتهي نسبه إلى مضر، ويقال له عنتر الفلحاء، لتشق شفتيه، وعنتر الفوارس لشجاعته، وأمه أمة حبشية يقال لها زبيبة، وقد كان أبوه شداد نفاه مرة ثم اعترف به فألحق بنسبه، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده.

وكان عنتر أشجع أهل زمانه، وأجودهم بما ملك يده، وشهد حرب داحس والغبراء، وحمدت مشاهدته فيها، وكان من أحسن العرب شيمة، وأعلاهم همة، وأعزهم نفساً، شديد النخوة، كريماً مضيافاً، وهو مع شدة بطشه كان لبين العريكة، حليماً، سهل الأخلاق. وكان فحلاً من فحول شعراء الجاهلية، رقيق الشعر لا يأخذ مأخذ الجاهلية في ضخامة الألفاظ وخشونة المعاني، بصيراً بأساليب الشعر، حسن التصرف فيه، ومن رقيق شعره قوله في عبلة محبوبته^(٢):

يا عبـل لا أخشـى الحمـام وإمـا أخشـى عـلى عـينـك وقـت بكـاك

وعبلة هذه ابنة عمه مالك بن قراد، وكثيراً ما يذكرها في شعره، وكان أبوها يمنعها من زواجها، فهام بها، واشتد وجده ولكنه تزوجها بعد العناء الطويل، وقد أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم قول عنتر:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكـل

فقال صلى الله عليه وسلم: ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنتر^(٣).

(١) في الجمهرة: [وليد]، وشرح التبريزي والزوزني: [صبي] بدل [رضيع]، وهو في شرح الأنباري في الهامش براوية أخرى هي: إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً.....

(٢) ديوانه، ص ١٨١، وفيه: [ما أخشى] بدل [لا أخشى].

(٣) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٤٣/٨.

وعاش تسعين سنة، ومات مقتولا، قتله الأسد بن رهيص، وكان ذلك على ما يقال سنة ستمائة

ميلادية أي قبل الهجرة باثنتين وعشرين سنة^(١).

وديان شعره مشهور، طبع في بيروت سنة ١٨٨٨م^(٢). وفي لندن مع دواوين الشعراء الستة سنة

١٨٧٠م^(٣). ولم يشتهر أحد في الجاهلية والإسلام بين عامة الناطقين باللغة العربية، وخاصتهم اشتها عنترة،

فالكل يعرف شجاعته وحماسه، وذلك بسبب قصته المشهورة، وهي جامعة لما جرى له بسبب محبوبته عبله،

وما ظهر من صداقة خادمه شيبوب له، ولم يعلم واضعها إلا أنهم نسبوها إلى الأصمعي الشهير المعاصر

للمأمون لورود اسمه فيها راويا، وقد طبعت مرارا، وأحسن طبعة منها هي التي اعتنى بها محمد شاهين

بالقاهرة في ٣٢ مجلدا، وقد ترجمت إلى أغلب اللغات الإفرنجية الشهيرة^(٤).

ومعلقته من بحر الكامل، ميمية الروي، تبلغ ٧٥ بيتا، ابتدأها بذكر ديار عبله، والشتيب بها [وار]^(٥)

احتها بينما هو يقاسي شدائد الحروب فوق أدهم، وختم القصيدة يفتخر بشجاعته، وخلاعه، وكرمه، كل أولئك

مصوغ في قالب الألفاظ السهلة الممتنعة، والأساليب الجيدة المتينة - قال في ابتدائها^(٦):

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

(١) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه قتل سنة ٦١٤م أي ٨ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢٠٨/١.

(٢) يشير المؤلف إلى طبعة الخوري لديوان عنترة، بيروت، سنة ١٨٨٨م، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٩٩/١.

(٣) يشير المؤلف إلى نشرة المستشرق ألورد لدواوين الشعراء الستة من جمع الأصمعي، برواية الأعلام الشتتري. لندن سنة ١٨٧٠م، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٨٨/١.

(٤) ينظر تاريخ آداب اللغة العربية، جورج زيدان، ١١٣/١.

(٥) بياض في الأصل، والزيادة يستقيم بها المعنى.

(٦) ينظر ديوانه، ص ١٥ وما بعدها.

وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

ومنها يظهر لها حبه، ومنزلتها عنده:

مني بمنزلة المحب المكرم

ولقد نزلت فلا تظني غيره

ومنها يصف حسنهما:

عذب مقبله لذيذ المطعم

إذ تستبيك بذي غروب واضح

سبقت عوارضها إليك من الفم

وكان فأرة تاجر بقسيمة

غيث قليل الدمن ليس بمعلم^(١)

أو روضة أنفا تضمن نبتها

ومنها يذكر شجاعته، وخلاعته، وكرمه:

طب بأخذ الفارس المستلثم

إن تغدفي دوبي القناع فإني

سمح مخالفتي إذا لم أظلم

أثني علي بما علمت فإني

مر مذاقته كطعم العلقم

وإذا ظلمت فإن ظلمي باسل

ركد الهواجر بالمشوف المعلم

ولقد شربت من المدامة بعدما

قرنت بأزهر في الشمال مقدم

بزجاجة صفراء ذات أسرة

مالي، وعرضي وافر لم يكلّم

فإذا شربت فإني مستهلك

وكما علمت شمائي وتكرمي^(٢)

وإذا صحت فما أقصر عن ندي

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الاستباء: السبي، والغرب: الحد، أي بثغر ذي حدود واضح، وأراد بالغروب الأثر في الأسنان - التاجر: العطار، والفارة: فأرة المسك، والقسامة: الحسن والصباحة - بروضة أنف: لم ترع بعد، والدمن: السرجين، أي هذه الروضة ناضرة نظيفة لم تطاها الدواب".

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الأغذاف: الإرخاء، وطب: حاذق، واستلثم: لبس اللأمة وهي الدرع - المخالقة من الخلق - يقول: ولقد شربت من الخمر بعد اشتداد حر الهواجر بالدينار المجلو المنقوش - يقول شربتها بزجاجة صفراء عليها خطوط قرنتها بإبريق أبيض مشدود الرأس لاحت الخمر منه في الزجاج".

ومنها يفتخر بشجاعته:

ولقد شفى نفسي - وأذهب سقمها	قيل الفوارس: ويك عنتر أقدم
والخيل تقتحم الخبار عوابسا	من بين شيطرة وآخر شيطم
ذل ركابي حيث شئت مشايعي	لبي وأحفزه بأمر مبرم ^(١)

٧. الحارث بن حلزة اليشكري:

هو أبو عبيد الحارث البكري من أهل العراق، ومن فحول شعراء الجاهلية، ومن سادات العرب، وحكمائها، وشجعانها، شهد حرب البسوس^(٢)، وحسن فيها بلاؤه، وحمدت مشاهدته، وكان قد اعتزل الحرب حتى قتل ولده بجير، فلما بلغه ذلك ثارت فيه الحمية، ونادى في قومه بالحرب، وقال قصيدته المشهورة التي منها^(٣):

يا بجير الخيرات لا صلح حتى	ملاً اليد من رؤوس الرجال
قد تجنببت وائل لا يقيقوا	فأببت تغلب علي اعتزالي

(١) كتب المؤلف هامشاً هنا، هذا نصه: "الخبار: الأرض اللينة، والشيظم الطويل من الخيل، والخيل يصعب عليها السير في لين الأرض، وقد عبست وجوهها لما نالها من الإعياء وهي لا تخلو من فرس طويل أو طويلة - ذلل: جمع ذلول: سهلة الانقياد، والمشايع: المعاونة، والحفز: الدفع، والإبرام: الإحكام".

(٢) كتب المؤلف هامشاً هنا، هذا نصه: "هذه الحرب من أشهر حروب العرب وأيامها، وكانت بين قبيلة بكر وقبيلة تغلب، ودامت أربعين سنة، أعني من سنة ٤٩٠ إلى سنة ٥٤٠م، وسببها قتل كليب بن ربيعة كما هو واضح بكتب التاريخ".

(٣) نسب المؤلف هذين البيتين للحارث بن حلزة، وهما ليسا له، بل للحارث بن عباد البكري الذي قتل المهلهل ولده بجيرا، وهذان البيتان ضمن قصيدة عدتها مائة بيت، ترد كاملة في [ديوان بني بكر في الجاهلية]، ص ٥١١-٥٢٣.

ومن شعره قوله^(١):

عش بالجدود فما يضر — الجهل ما أوتيت جدا^(٢)

والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش كدا^(٣)

وكانت وفاته سنة ٥٧٠م، أي سنة ٥٢ قبل الهجرة^(٤).

سبب قوله المعلقة

والسبب الذي دعاه إلى قول المعلقة أن عمرو بن هند الملك لما جمع بكرًا وتغلب ابني وائل، وأصلح بينهم أخذ من الحيين رهنا، من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض، فكان أولئك الرهن يكونون معه في مسيره، يغزون معه، فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين، وسلم البكريون، فقالت تغلب لبكر: أعطونا ديات أبنائنا، فأبت بكر، فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم، وأخبروه بالقصة، فقال عمرو: بمن ترون بكرًا تعصب أمرها اليوم؟ قالوا: بمن عسى، إلا برجل من بني ثعلبة، قال عمرو: أرى أن الأمر سينجلي عن أحمر أصلع أصم من بني يشكر، فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم، فلما اجتمعوا عند الملك عمرو بن هند قال ابن كلثوم للنعمان: يا أصم، جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهو يفخرون عليك فقال النعمان: وعلى من أظلت السماء يفخرون؟! فغضب عمرو بن هند، وكان يؤثر بني تغلب على بكر، فقال: يا نعمان أيسرك أني أبوك؟

(١) ديوانه ضمن ديوان بني بكر في الجاهلية، ص ٧١١.

(٢) يرد البيت في الديوان هكذا:

فإنعم بجد لا يضر — ك النوك ما أعطيت جدا

(٣) يرد البيت في الديوان هكذا:

فالنوك خير في ظلال — ل العيش ممن عاش كدا

(٤) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي عام ٥٨٠م، ٤٢ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١/١٥٢.

قال: لا، ولكن وودت أنك أمي. فغضب عمرو بن هند غضبا شديدا حتى هم بالنعمان، فقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدته ارتجالا، وتوكل على قوسه وأنشدها، ويقال: إن طرف العنزة^(١) ارتزت في جسده وقت إنشادها وهو لا يشعر من الغضب، وكان ينشدها من وراء حجاب ليرص كان به، فلما سار فيها أعجب الملك بمنطقه فلم يزل يقول: أدنوه، أدنوه حتى أمر بطرح الستر، وأقعدده معه قريبا منه، ويقال: إن عمرو بن كلثوم أنشد معلقته في ذلك المجلس (راجع ترجمة عمرو بن كلثوم المتقدمة)^(٢)، ولما فرغ الحارث من إنشاد القصيدة حكم الملك أنه لا يلزم بكرا ديات رهائن تغلب، وتفرقوا على هذا الحال، ومن هذا الحين دبّت البغضاء بين عمرو بن كلثوم والملك إلى أن قتل هذا ذاك في خبر يطول شرحه.

ومعلقته من بحر الخفيف همزية الروي، تبلغ اثنين وعثمانين بيتا ابتدأها بذكرى فراق محبوبته أسماء، ثم أخذ يذكر عدة من أيام العرب مفتخرا بحسن بلاء قومه فيها، معبرا ببعضها بني تغلب إلى أن ختم القصيدة -وهي على رقة ألفاظها وحسن أسلوبها تريك كيف تكون الحماسة، وقوة البأس، وكيف يكون الفخر، وكان بعضهم يعجب لارتجاله تلك القصيدة في موقف واحد، ويقول: لو قالها في حول لم يلم^(٣)، وإليك بعض أبيات منها، قال في ابتدائها^(٤):

أذنتننا ببينها أسماء رب ثاوا يمل منها الثواء
بعد عهد لنا ببرقة شما ء فأدنى ديارها الخلصاء^(٥)

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "العنزة رمح في طرفه زج أي حديدة".

(٢) ما بين القوسين من كلام المؤلف.

(٣) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٤٥/١١، وصاحب هذا القول هو أبو عمرو الشيباني.

(٤) ديوانه ضمن شعر بني بكر في الجاهلية، ص ٧١٩، وما بعدها.

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "البين: الفراق، والثواء: الإقامة، يقول: أعلمتنا بالفراق، ثم قال: رب مقيم تمل إقامته ولم تكن أسماء منهم - العهد: اللقاء، وبرقة شما والخلصاء: موضعان".

ومنها يمدح عمرو بن هند:

إرمي بمثله جالت الخي	ال وتأبى لخصمها الإجلاء ^(١)
ملك مقسط أفضل من يمش	ي ومن دون ما لديه الثناء ^(٢)
ومن حكمه فيها وفخره:	
لا يقيم العزيز بالبلد السه	ل ولا ينفع الذليل النجاء
ليس ينجي الذي يواثل منا	رأس طسود وحرة رجلاء ^(٣)

وفي آخر القصيدة عدد أيام الحروب التي بلا فيها قومه بلاء حسنا.

٨. المهلهل:

هو أبو ليلى عدي بن ربيعة التغلبي، الفارس المشهور، من أهل نجد، وهو خال امرئ القيس صاحب المعلقة، وأخو كليب الذي هاج بمقتله حرب البسوس. وكان المهمل أصبح أهل زمانه، وأفصحهم لسانا، وأرقهم شعرا، وأشدهم بأسا، وكان كثير المحادثة للنساء حتى كان أخوه كليب يسميه زير النساء أي جليسهن وقال الغزل وعني بالنسيب. ويقال إنه أول من قصد القصائد^(٤)، وإنه أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر، وله أشعار كثيرة في رثاء أخيه كليب، من جملة قصيدته الشهيرة التي يقول في أولها^(٥):

جارت بنو بكر ولم يعدلوا والمراء قد يعرف قصد الطريق

(١) في الديوان: [الجن] بدل [الخي].

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "نسبة إلى إرم جدنا، أي قديم الشرف بمثله ينبغي أن تجول الخيل". وفي الديوان: [وأكمل] بدل [وأفضل].

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "النجاء: الإسراع - وأل وواءل: هرب وفزع، والحررة: أرض حجارة وسود نخرات، والرجلاء: الغليظة الشديدة. وفي الديوان: [مواثلا من حذار] بدل [يواثل منا].

(٤) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٩٧/١، وطبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٣٩/١.

(٥) تنظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٥٧٨/١، وما بعدها.

ومنها:

أي امريء ضرجتم ثوبه بعاتك من دمه كالخلاق^(١)
سيد سادات إذا ضمهم معظم أمر يوم أزل وضيق
لم يك كالسيد في قومه بل ملك دين له بالحقوق
تنفرج الظلماء عن وجهه كالليل ولي عن صديق أنيق^(٢)

وهي طويلة، وكانت العرب تسميها بالداهية^(٣)، وكانوا يتناشدونها إذا أرادوا حرباً أو محالفة، وإذا أرادوا إنشادها اغتسلوا لها.

ومن أمثاله السائرة في جوامع كلمه قوله^(٤):

لم أكن من جناتها علم الل به وإني بحرهما اليوم صالي
ومات المهلهل في سنة خمسمائة ميلادية، أي قبل الهجرة باثنتين وعشرين ومائة سنة^(٥).

٩. الشنفرى:

هو من الأزد، من أهل اليمن، وكان من العدائين، وبه ضرب المثل فقالوا: عدى من الشنفرى^(٦)، وهو وهو اسم ومعناه: العظيم الشفتين. وله الشعر الحسن في الفخر والحماسة، وأشهر أشعاره قصيدته اللامية المعروفة بلامية العرب، التي أولها^(٧):

(١) كتب المؤلف هامشاً هنا، هذا نصه: "أحمر عاتك أي شديد الحمرة- والخلوق: ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره، يغلب عليه الحمرة والصفرة". وفي الجمهرة: [إن] بدل [أي]، و[من عاتك] بدل [بعاتك].

(٢) كتب المؤلف هامشاً، هذا نصه: "الصديق: الصبح، والأنيق: الحسن".

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٥٧٧/١.

(٤) هذا البيت ليس للمهلهل، بل هو للحارث بن عباد من قصيدة طويلة، ينظر الأغاني ٥٩/٥، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٤٧٣/١، وديوان بني بكر في الجاهلية، د. نبوي، ص ٥١٢، مع مصادره.

(٥) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ٥٣٠ م، ٩٢ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١١٠/١.

(٦) ينظر مجمع الأمثال، للميداني، ٤٦/٢، والمستقصى، للزمخشري، ٢٣٨/١، وكذلك أعجب العجب، له، ص ٣٢.

أقيموا بني أُمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل^(٢)
ومنها:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل^(٤)
ومنها:

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
ومنها:

وأستف ترب الأرض كيلا يرى له
علي من الطول امرؤ متطول
ومنها:

وأعدم أحياناً وأغنى وإمناً
ينال الغنى ذو البعدة المتبذل^(٥)
مات الشنفرى سنة ٥١٠م، أي سنة ١١٢ قبل الهجرة.

١٠. أبو دواد الأيادي:

هو جارية بن الحجاج، وقيل حنظلة بن الشرقي الإيادي^(٦)، كان وصافاً للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله تصرف في غير ذلك بين مدح وفخر. قال

(١) ينظر القصائد المفردات التي لا مثل لها. لأحمد بن طيفور، ص ٦٩، وما بعدها، وأعجب العجب في شرح لامية العرب، للزمخشري، ص ٣٢، وما بعدها، ومختارات ابن الشجري، ص ١٨، وما بعدها.

(٢) في مختارات ابن الشجري: [أهل] بدل [قوم].

(٣) في الشرح: [متعزل] بدل [متحول].

(٤) في الشرح والمختارات: [ما بالأرض] بدل [ما في الأرض].

(٥) كتب المؤلف هامشاً هنا، هذا نصه: "البعدة بضم الباء، وكسرهما اسم للبعد، والتبذل الذي لا يصون نفسه".

(٦) يشير الشيخ أحمد شاكر محقق الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٧/١ إلى أن هذا قول شاذ جداً، ويخشى أن يكون غلطاً في الرواية عن الأصمعي، لأن حنظلة بن الشرقي هو أبو الطمحان القيني، ولعل المؤلف نقل الترجمة من الشعر والشعراء بلا اهتمام لهذا الخطأ.

الأصمعي: ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربههم أحد: طفيل الغنوي، وأبو دود، والنابعة الجعدي، وكان أبو داود على خيل النعمان بن المنذر^(١) []^(٢) كانت لأبي دود امرأة يقال لها: [أم]^(٣) حبر يقول فيها^(٤):

في ثلاثين زعزعتها حقوق	أصبت أم حبر تشكوني
زعمت لي بأني أفسد الما	ل وأزويه نحن قضاء ديوني
أملت أن أكون عبدا لمالي	ويهنأ بها مع المال دوني

ولها يقول، وقد عاتبته على سماحته بماله، وصرمته^(٥):

حاولت حين صرمتني	والمـرء يعجز لا محاله
والدهر يلعب بالفتى	والدهر أروغ من ثعاله
والمـرء يكسب ماله	والشح يورثه الكلاله ^(٦)
والعبد يقرع العصا	والحر تكفيه المقالـه

قيل للحطيئة من اشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

لا أعد الاقتار عدما ولكن فقد من قد رزئته الاعدام^(٧)

وهذا البيت أول قصيدة له يرثي بها كعب بن مامة الذي مات عطشا، وأثر رفيقا له بالماء، قالوا: والعرب لا تروي شعر أبي دود، وعدي بن زيد، لأن ألفاظهما

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٨/١، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٣٧٥/١٦.

(٢) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات.

(٣) بياض في الأصل، والزيادة من الشعر نفسه.

(٤) شعره المجموع، ص ٣٤٦، مع التخريج.

(٥) شعره المجموع، ص ٣٣٢-٣٣٣، مع التخريج.

(٦) في الشعر: [بالشح] بدل [والشح].

(٧) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٨/١، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٢٦/١٧.

ليست بنجدية^(١)، ومن أمثاله السائرة من شعره^(٢):

أكل أمريء تحسبين امرأً ونار تأجج بالليل نارا

وعاش أبو دواد عمرا طويلا، ومات في سنة ٥٢٠م، أي سنة ١٠٢ قبل الهجرة.

١١. المثقب العبدى:

هو محسن بن ثعلبة، والعبدى نسبة إلى عبد القيس من أهل العراق^(٣)، وكان في زمن عمرو بن هند. وله الشعر الحسن الرقيق الجامع بين الغزل والحكم، من ذلك قوله من قصيدة^(٤):

رددن تحية وكتمن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون^(٥)
ومنها:

وما أدري إذا يممت أمرا أريد الخير أيهما يليني
الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٨/١، والموشح، للمرزباني، ص ١٠٤، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٣٧٧/١٦، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٥٩١/٩.

(٢) شعره، ص ٣٥٣، مع التخريج. وفيه: [توقد] بدل [تأجج].
(٣) يعتمد المؤلف في هذه الترجمة على لويس شيخو في كتابه شعراء النصارية، إذ نرى شيخو يجعل المثقب من أهل العراق. ينظر، ٤٠٠/٣، ومعلوم أن المثقب من أهل البحرين، فابن سلام مثلا -يجعله من شعرائها مع الممرق العبدى، والمفضل النكري، ينظر طبقات فحول الشعراء، ٢٧١/١، ويقول المرزباني في معجم الشعراء، ص ٣٠٣: "وهو جاهلي من أهل البحرين". وهذا شائع مستفيض.

(٤) ينظر: ديوانه، ص ١٣٦، وما بعدها.
(٥) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "الوصاوص: البراقع الصغار، وقد سمي المثقب بقوله في هذا البيت: وثقبن الوصاوص للعيون"، وفي المفضليات يروى الصدر هكذا: [ظهرن بكلة وسدلن أخرى]، وما أثبتته المؤلف رواية معروفة.

كان أبو عمرو بن العلاء يقول^(١): لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه. أه ومن مشهور شعره قوله^(٢):

لا تقولن إذا ما لم ترد	إن تـتم الوعد في شيء نعم
حسن قول نعم من بعد لا	وقبـيح لا بعد نعم
إن لا بعد نعم فاحشة	فب [لا] فابدأ إذا خفت الندم
فإذا قلت نعم فاصبر لها	بنجاح القول إن الخلف ذم
وأعلم [إن] ^(٣) الذم نقص للفتى	ومتى لا يتقى الذم يذم
أكرم الجار وأرعى حقه	إن عرفان الفتى الحق كرم
لا تراني راتعا في مجلس	في لحوم الناس كالسبع الضرم
إن شر الناس من يكشر لي	حين يلقياني وإن غبت شتم
وكلام سيئ قد وقرت	أذني عنه وما بي من صمم
فتصبرت امتعاضا أن يرى	جاهل أني كما كان زعم
ولبعض الصفح والإعراض عن	ذي الخنا أبقي وإن كان ظلم

وعاش المثقب عمرا طويلا حتى أدرك النعمان بن المنذر، وتوفي سنة ٥٢٠م، أي سنة ١٢ قبل الهجرة^(٤).

١٢. سلامة بن جندل:

هو سلامة بن جندل السعدي التميمي، من أهل اليمن، ومن فرسان تميم المعدودين، وكان أحد نعات الخيل، وأجود شعره قصيدته التي أولها^(٥):

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣٩٥/١.

(٢) ينظر: ديوانه، ص ٢٢٧، وما بعدها.

(٣) ساقطة في الأصل، وأثبتناها من الديوان، وبها يستقيم الوزن.

(٤) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ٥٨٧م، ٣٥ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٦٠/١.

(٥) ديوانه، ص ٨٨، وما بعدها.

أودى وذلك شأو غير مطلوب
لو كان يدركه ركض اليعاقب
فيه نلذ ولا لذات للشيب^(١)

كل شهاب على الأعداء مصبوب
وكل ذي حسب في الناس محسوب^(٢)

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب
ولى حيثى وهذا الشيب يطلبه
أودى الشباب الذي مجد عواقبه
ومنها يفتخر بقومه:

إني وجدت بني سعد يفضلهم
إلى قميم، حماة الثغر نسبهم

١٣. السمؤل:

أي صموئيل، وهو بن غريز بن عادياء، من أهل الحجاز، كان من أشراف يهود يثرب، وفصحاءها المشهورين، وكان معروفا بالوفاء وكرم الأخلاق، وأحسن شعره قصيدته اللامية التي أولها^(٣):

فكل رداء يرتديه جميل
فليس إلى حسن الثناء سبيل
فقلت لها: إن الكرام قليل
شباب تسامى للعلا وكهول
عزيز وجار الأكثرين ذليل

قوول لما قال الكرام فعول
ولا ذمنما في النازلين نزيل

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
تعيرنا أنا قليل عديدنا
وما قل من كانت بقاياها مثلنا
وما ضرنا أنا قليل وجارنا

ومنها:

إذا سيد منا خلا قام سيد
وما أخدمت نار لنا دون طارق

وهي من القصائد الطنانة، وكلها نخب. مات سنة ٥٦٥م.

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "أودى أي ذهب، واضمحل، واليعاقب جمع يعقوب وهو ذكر الحجل، خصها بالذكر لسرعة سيرها".

(٢) في الديوان: [منسوب] بدل [محسوب].

(٣) ديوانه، ص ٩٠ وما بعدها.

هو علقمة بن عبدة التميمي، من أهل نجد. كان من سادات تميم وفصحائهم المشهورين، ولقب بالفحل لأنه خلف على امرأة امريء القيس لما حكمت له بأنه أشعر منه، وذلك ما حكاه الأصمعي أن امراً القيس لما هرب من المنذر بن ماء السماء، وجاور في طيء تزوج امرأة منهم يقال لها: أم جندب، ثم أن علقمة نزل عنده ضيفاً، وتذاكر الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علقمة: أنا أشعر منك، واحتكما إلى امرأته أم جندب لتحكم بينهما، فقالت: قولاً شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد، فقال امرؤ القيس:

خليلي ماري على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فنعت فرسه، والصيد حتى فرغ، وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب
فنعت فرسه، والصيد حتى فرغ، وكان في قول امريء القيس:

فللساق ألحوب وللسوط درة وللزجر منه وقع أهوج منعب
وفي قوله علقمة بن عبدة:

فأقبل يهوي ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المحتلب

فقالت أم جندب لامريء اليس: علقمة أشعر منك، لأنك ضربت فرسك بسوطك، وامتريته بساقك، وأدرك فرس علقمة طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط، ولا ساعده بساق، فغضب عليها، وطلقها، فحلف علقمة عليها فسمي علقمة الفحل^(١).

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢١٨/١-٢١٩، والموشح، للمرزباني، ص ٢٩، وما بعدها، والأغاني، ٢٠٢/٢١.

ولعلقمة ديوان طبع في مدينة ليبسك بألمانيا سنة ١٨٦٧م^(١)، وكان يجري في أغلب شعره مجرى

الأمثال الحكيمة، فمن ذلك قوله^(٢):

فإن تسألوني بالنساء فإنني	بصير بأحوال النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله	فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه	وشرح الشباب عندهن عجب

وكانت وفاته سنة ٥٦١م، أي سنة ٦١ قبل الهجرة^(٣).

١٥. عدي بن زيد:

هو عدي بن زيد بن حماد من أهل الحيرة، كان نصرانيا، وكان جوادا شريفا حسن الأدب، تعلم

الكتابة والكلام بالفارسية، واتخذة ابرويز كسرى ترجمانا له، وكتبه بالعربية، ومن محاسن شعره من قصيدة^(٤):

وعاذلة هبت بليلى تلومني	فلما غلت في اللوم قلت لها: اقصدي
أعاذل كفي اللوم في غير كنهه	على شامت من غيك المتردد ^(٥)
أعاذل إن الجهل من لذة الفتى	وإن المنايا للرجال ممرصد
أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى	وأبعده منه إذا لم يسدد

(١) يشير المؤلف إلى طبعة ألبرت سوسين لديوان علقة في لايبزج، وهناك طبعات أخرى له.

(٢) ينظر أشعار الستة الجاهليين، للأعلم الشنمري، ص ١٤٤، والمفضليات، ص ٣٩٢، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢١٩/١، والبيان والتبيين، للجاحظ، ٣٢٩/٣، وفيها جميعا: [بأدواء] بدل [بأحوال] ويرد صدر البيت الثاني في البيان والتبيين هكذا: [إذا قل مال المرء أو شاب رأسه].

(٣) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي عام ٦٢٥م، بعد الهجرة بثلاث سنوات، ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢١٤/١.

(٤) جعلها أبو زيد القرشي واحدة من المجمرات في جمهرته، ينظر، ٤٩٨/١، وما بعدها، وينظر كذلك تخريج أبياتها في الجزء الثاني، ص ١٠٣٧-١٠٣٨.

(٥) في الجمهرة: [إن] بدل [كفي].

كفى زاجرا للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي

عن المر لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي^(١)

قالوا: وليس عدي ممن يعد في الفحول، وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان: عدي بن زيد بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مجراها^(٢).

ومات عدي مقتولا، قتله النعمان في الحبس لأمر يطول شرحه، وذلك سنة ٥٨٢م، أي سنة ٤٠ قبل الهجرة^(٣).

١٦. النابغة الذبياني:

هو أبو أمامة، زياد بن معاوية الذبياني من أهل الحجاز، وأحد فحول الشعراء في الجاهلية، وعده بعضهم في الطبقة الأولى بعد امرئ القيس^(٤)، واعتبره من أصحاب المعلقات^(٥)، وأول معلقته قوله^(٦):

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار

وقد وصفه البديع الهمذاني بقوله^(٧): "يثلب إذا حنق، ويمدح إذا رغب، ويعتذر

(١) في الجمهرة [وأبصر] بدل [وسل عن]، و[فإن القرين] بدل [فكل قرين].

(٢) ينظر الموشح، للمرزباني، ص ١٠٢، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٩٧/٢.

(٣) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه قتل سنة ٦٠٤م، قبل ظهور الإسلام بست سنوات، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٨٥/١.

(٤) جعله ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء في الطبقة الأولى مع امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والأعشى. ينظر، ٥١/١ وما بعدها.

(٥) لعل المؤلف يشير إلى القرشي صاحب الجمهرة التي قرن قصيدة النابغة هذه مع سموط ستة غيره هم: امرؤ القيس، وزهير، والأعشى، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد، وهم جميعا - كما هو بين - من أصحاب (المعلقات)، ينظر جمهرة أشعار العرب، ٢٣٩/١ وما بعدها.

(٦) ينظر ديوانه، ص ١٤٥ وما بعدها.

(٧) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص ١٣.

إذا رهب، فلا يرمي إلا صائباً". وقال^(١) من يحتج له، ويقدمه إنه كان أحسن الشعراء ديباجة، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، وأوضحهم معنى، وأبعدهم غاية.

وقيل له: النابغة لطول باعه في الشعر، وكانت تضرب له قبة حمراء بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء تنشده أشعارها^(٢)، وكان مقدماً عند النعمان خاصة به. وكان من ندمائته، وأهل أنسه.

يقال إنه سحر في تشبيهه النعمان بن المنذر مرة بالليل، ومرة بالشمس حيث قال^(٣):
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
وقال^(٤):

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
ومن جوامع كلمه، قوله^(٥):
فلسـت بمـستـبـق أخـا لا تـلمـه على شـعث، أي الرجال المهذب؟
وقوله^(٦):

فإن مظنة الجهل الشباب

ومن حكمه قوله^(٧):

المـرء يأمـل أن يعـي ش، وطول عيش قد يضره
تفـنـى بشاشـته ويـب قى بعد حلو العيش مره

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٥٦/١، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ١٥٧/١.

(٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٦/١١، والموشح، للمرزباني، ٨٢، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ٢٥٥/١.

(٣) ينظر ديوانه، ص ١٨٦.

(٤) ينظر ديوانه، ص ٥٦.

(٥) ينظر ديوانه، ص ٥٦. وفيه [ولست] بدل [فلسـت].

(٦) ينظر ديوانه، ص ٥٧، وهو عجز بيت، صدره: فإن يك عامر قد قال جهلا.

(٧) ينظر ديوانه، ص ١٥٦.

هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل الأسدي، من أهل اليمامة، أحد شعراء الجاهلية المجيدين. قال الذين يقدمونه^(١): إنه أكثر الشعراء عروضاً، وأنهجهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وقد جاد هجاء وفخراً. ويقال إنه أول من سأل بشعره، وأنتجع أقاصي البلاد^(٢)، وكان يغنى في شعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب^(٣). قال أبو عمرو بن العلاء^(٤): عليكم بشعر الأعشى- فإنه أشبه []^(٥) يصطاد ما بين الكركي والعندليب (عصفور صغير) ولعمري إنه أشعر العرب، ولكن وضعته الحاجة بالسؤال. وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده^(٦): أدبهم برواية شعر الأعشى، فإنه -قاتله الله- ما كان أعذب بحره، وأصلب صخره، وهو أحد أصحاب المعلقات على قول، وأولها^(٧):

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق فراقاً أيها الرجل

قال الشعبي^(٨): إن الأعشى أغزل الناس في بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت، والكل

والكل من هذه القصيدة، أما الأول فقولهُ:

تمشي— إلى بيتها من بيت جارتها مشي— السحابة لا ريث ولا عجل

وأما الثاني فقولهُ:

قالت هريرة لما جئت زائرهما ويل عليك، وويل منك يا رجل

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٦٥/١.

(٢) ينظر العمدة، لابن رشيق، ١٨٠/١.

(٣) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ١٠٩/٩.

(٤) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ١١٠/٩، والعمدة، لابن رشيق، ٢٠٤/١.

(٥) كلمة غير مقروءة.

(٦) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٢٠٢/١، وحلية المحاضرة، للحامي، ٣٧٢/١.

(٧) ينظر ديوانه، ص ٩١ وما بعدها.

(٨) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ١١٢/٩.

وأما الثالث فقولہ:

قالوا: الطراد، فقلنا: تلك عادتنا أو تنزلون فإننا معشر — نزل

ومن أمثاله السائرة في جوامع كلمه، قوله في الخمر^(١):

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
لكي تعلم الناس أي امرؤ أتييت المسرة من بابها^(٢)

وأدرك الأعشى الإسلام، فخرج يريد النبي صلى الله عليه وسلم، وامتدحه بقصيدته التي أولها^(٣):

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

فأسلم، ولما كان في منصرفه بقرية من قرى اليمامة، رمى به بعيره فاندق عنقه فمات، وذلك سبع

هجرية أي سنة ٦٢٩ هـ^(٤).

١٩. أوس بن حجر:

هو أوس بن حجر التميمي، من أهل اليمن. قال ابن قتيبة^(٥): أوس فحل مضر حتى نشأ النابغة

وزهير فأخملاه. وكان أوس عاقلا في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق، وهو من أوصفهم للحمير والسلاح، ولا

سيما للقوس، وسبق إلى دقيق المعاني، وإلى أمثال كثيرة، وكان أوس غزلا مغرما بالنساء.

قال [أبو]^(٦) عمر بن العلاء^(٧): ليس للعرب مطلع قصيدة في مرثية أوجز لفظا، وأحسن معنى من

قوله:

(١) ينظر ديوانه، ص ٢٠٩.

(٢) في الديوان: [يعلم] بدل [تعلم]، و[المعيشة] بدل [المسرة].

(٣) ديوانه، ص ١٧١، وفيه العجز: [وعادك ما عاد السليم المسهدا].

(٤) يؤكد الدكتور عمر فروخ هذه السنة لوفاة الأعشى، ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢٢٢/١.

(٥) ينظر الشعر والشعراء، ٢٠٢/١.

(٦) ساقطة في الأصل، والزيادة من الشعر والشعراء.

(٧) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٠٧/١، حيث ينسب هذا القول للأصمعي، وعيون الأخبار، له، ١٩٢/٣، وذيل الأمالي، لأبي

علي القالي، ص ٣٤، وفيه أن القول للأصمعي أيضا.

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا
وَبَيْتَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ^(١):

الْأَلْمَعِي الَّذِي يَظُنُّ بِكَ أَل ظَنُّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
وَمِنْ مُحَاسِنِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ ^(٢):

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَذْمُكَ إِنْ وُلِيَ وَيَرْضِيكَ مَقْبِلًا
وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ أَمْنًا وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلَا
وَمِنْ كَلَامِهِ ^(٣):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ
وَعُمُرٌ طَوِيلًا، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ فِي أَوَّلِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ.

هَذَا وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ إِلَّا أَنَّا أَتَرْنَا هُنَا ذِكْرَ بَعْضِ الَّذِينَ حَازُوا تَمَامَ
الشُّهُرَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ، وَقَدْ رَأَيْتُ الْآنَ أَنَّ أَقْدَمَ لِلْمَطْلَعِ نَمُودَجًا مِنْ شَعْرِ بَعْضِ النِّسَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَقْتَصِرًا عَلَى
تَرْجُمَةِ لَيْلَى الْعَفِيفَةِ.

لَيْلَى الْعَفِيفَةِ (٤):

هِيَ لَيْلَى بِنْتُ لَكِيزَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ أَسَدَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ، نَشَأَتْ فِي حَجَرٍ وَالدَّهَاءُ، وَبَرَعَتْ وَكَانَتْ تَامَةً
الْحَسَنَ، كَثِيرَةَ الْأَدَبِ، خَطَبَهَا كَثِيرُونَ مِنْ سَرَاةِ الْعَرَبِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ ذِي صُهَيْبَانَ مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِ الْعَرَبِ بِالْيَمَنِ،
وَكَانَتْ لَيْلَى تَكْرَهُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ قَوْمِهَا، وَتَوَدُّ لَوْ أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا بِالْبَرَاقِ بْنِ رُوْحَانَ بْنِ عَمِّهَا الشَّاعِرِ الْفَارَسِ

(١) يَنْظُرُ دِيَوَانَهُ ص ٥٣، وَفِيهِ: [لَكَ] بَدَلَ [بِكَ].

(٢) دِيَوَانُهُ، ص ٩٢، وَفِيهِ: [وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَا دَمْتُ]، بَدَلَ [وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتُ].

(٣) دِيَوَانُهُ، ص ٩٩.

(٤) يَعْتَمِدُ الْمُؤَلِّفُ اعْتِمَادًا مُبَاشِرًا فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ عَلَى كِتَابِ شُعْرَاءِ النَّصْرَانِيَّةِ لِلْأَبِ لُؤَيْسِ شَيْخُو، يَنْظُرُ، ١٤٨/٢، وَمَا بَعْدَهَا وَيَنْظُرُ
كَذَلِكَ كِتَابَ [شَاعِرَاتِ الْعَرَبِ] جَمْعٌ وَتَحْقِيقُ عَبْدِ الْبَدِيعِ صَقَرٍ، ص ٣٨٠، وَمَا بَعْدَهَا. فِيهِ حَدِيثٌ طَوِيلٌ عَنْ لَيْلَى، وَمَنَاجِزٌ مِنْ شَعْرِهَا.

المشهور، إلا أنها لم تعص أمر أبيها، وصانت نفسها عن البراق تعففاً، فلقيت بالعفيفة. وفي بعض الأيام نزل بناحية قرية من بلاد الفرس من منازل إياد ومعه ابنته ليلي، فمر بهما رجل من إياد يقال له برد كان من خاصة ملك الفرس [١]، فقال له الملك: ما عسى أن نبلغ منها، والعربية تقدم القتل على أن يغشاها أعجمي؟ فقال: ترغبها بمحاسن المطاعم والمشارب والملابس [٢] وكثرة المال [٣] وتم بينهما هذا الخيال، وأرسل الملك يخطبها من أبيها، عرض عليها جميع المشتريات، وخوفها بجميع العقوبات، وبالكثير من المؤامرات ليرى وجهها فأبت، وخيرته بين أن يقتلها، أو يعيدها لأبيها، فلما يئس منها أسكنها في موضع وأجرى عليها الوظائف [٤]، واكتفى برؤية قامتها تحت ملابسها في بعض الأحيان، وبسبب ذلك نشبت الحروب بين العرب والعجم حتى قهر العرب العجم وأخذوا [٥] والذي أقام الحرب بهم هو البراق وخلصها من الأسر، [٦] ملك الفرس.

ومن كلام ليلي هذه في أثناء أسرها:

ليـت للـبراق عـينـا فـتـرى	ما ألاقـي مـن بـلاء وعـنا
يا كـليـبـا وعـقـيـلا إـخـوتـي	يا جـنـيـدا أسـعـدونـي بالبـكا ^(٧)
عـذـبـت اخـتـكـمـو يـا وـيـلـكـم	بـعـذاب النـكـر صـبـحـا ومـسـا
غـلـلـوتـي، قـيـدوتـي، ضـربـوا	مـلـمـس العـفـة مـنـي بالعـصا ^(٨)

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة.

(٢) بياض في الأصل بقدر كلمة.

(٣) بياض في الأصل بقدر كلمة.

(٤) بياض في الأصل بقدر كلمة.

(٥) بياض في الأصل بقدر كلمة.

(٦) بياض في الأصل بقدر ثلاث كلمات.

(٧) في شعراء النصرانية: [يا عقيلًا] بدل [وعقيلًا].

(٨) لم يورده صاحب شعراء النصرانية.

يَكْذِبُ الْأَعْجَمُ مَا يَقْرَبُنِي
قِيْدُونِي، غَلَلُونِي وَأَفْعَلُوا
فَأَنْنَا كَارِهَةً بَغِيكُمْو
يَا بَنِي كَهْلَان يَا أَهْل الْعَلَا
يَا إِيَاد خَسِرْت أَيِدِيكُمْو
فَاصْطَبَارَا عَزَاء حَسَنَا
أَصْبَحْتُ لَيْلِي يَغْلُلُ كَفَهَا
وَتَقِيْدُ وَتَكْبِلُ جَهْرَةً
قُلْ لِعَدْنَان هَدَيْتُمْ شَمْرُوا
وَاعْقِدُوا الرَايَات فِي أَقْطَارِهَا
يَا بَنِي تَغْلِبْ سَيَرُوا وَانْصَرُوا
وَاحْذَرُوا الْعَار عَلَى أَعْقَابِكُمْ

وَمَعِي بَعْضُ حَشَاشَاتِ الْحَيَا^(١)
كُلْ مَا شَتَّمْتَ جَمِيعًا مِنْ بَلَا
وَيَقِينُ الْمَوْتَ شَيْءٌ يَرْتَجَى^(٢)
أَتُولُون عَلَيِ الْأَعْجَمَا^(٣)
خَالِطُ الْمَنْظَرِ مِنْ بَرْدِ الْعَمَى^(٤)
كُلْ نَصْرًا بَعْدَ ضَرْبٍ يَرْتَجَى
مِثْلُ تَغْلِيلِ الْمَلُوكِ الْعِظَمَا^(٥)
وَتَطَالِبِ بَقِيحَاتِ الْعَنَّا^(٦)
لِبَنِي [الْأَعْجَام] تَشْمِيرِ الْوَحَى^(٧)
وَأَشْهَرُوا الْبَيْضَ وَسَيَرُوا فِي الضَحَى
وَذَرُوا الْغَفْلَةَ عَنْكُمْ [وَالْكَرَى]^(٨)
وَعَلَيْكُمْ مَا بَقِيَتْ فِي الدُّنَا^(٩)

ومن كلام ليلي ترد على أم الأغر أخت كليب، وكانت لامتها على جزعها يوم روجت إليها وسافرت:

أم الأغر دعي ملامك واسمعي قولاً يقينا لست عنه بمعزل

(١) في شعراء النصرانية: [حساسات] بدل [حشاشات].

(٢) في شعراء النصرانية ورد هكذا:

فَأَنْنَا كَارِهَةً بَغِيكُمْو

ومرير الموت عندي قد حلا

(٣) لم يورده صاحب شعراء النصرانية.

(٤) في شعراء النصرانية: [صفقتكم] بدل [أيدىكمو]، و[رمى] بدل [خالط].

(٥) لم يورده صاحب شعراء النصرانية.

(٦) لم يورده صاحب شعراء النصرانية.

(٧) بين القوسين بياض في الأصل، والزيادة من شعراء النصرانية.

(٨) بين القوسين بياض في الأصل، والزيادة من شعراء النصرانية.

(٩) في شعراء النصرانية: [الورى] بدل [الدنا].

بـراق سـيدنا، وفـارس خـيلنا
وعـماد هـذا الحـي في مـكروهـه
[وهو ال] مطاعن في مضيق الجحفل^(١)
ومؤمل يرجوه كل مؤمل
ماتت ليلي سنة ٤٨٣، أي سنة ١٣٩ قبل الهجرة^(٢).

هذا وانظر -يا رعاك الله- إلى هذا المنظوم، وذاك المنشور اللذين صاغهما أولئك الشعراء، والخطباء من سبائك الكلام، ونظموا درره في قلائد تلك الأشعار، والآثار، ثم ارجع البصر كرتين تجد أن لهجاتهم الكلامية متحدة على اختلاف قبائلهم، وافتراق لغاتهم، وما ذاك إلا أن هؤلاء الشعراء والخطباء كانوا بأشعارهم وخطبهم يثبون وحدة اللغة الفصيحة فيما بين القبائل المختلفة متبعين في ذلك لهجة قريش التي هي أفصح اللهجات لأنهم كانوا أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس^(٣).

وقد دعاهم إلى ذلك الحرص على تواتر أشعارهم بين كافة العرب، ولو اتبع كل منهم لهجة قومه، ولهجة قبيلته في أشعاره لوقفت عن الشهرة، ولم تروها القبائل المختلفة فكانت بذلك لغة قريش اللغة الأدبية العامة فيما بينهم، تعلم ذلك من اختصاص كثير من القبائل بلهجة لغوية تخالف لهجة الأخرى^(٤)، وهأنا ذاكر لك هنا بعض

(١) بين القوسين بياض في الأصل، والزيادة من شعراء النصرانية.

(٢) ينظر شعراء النصرانية، للويس شيخو، ١٤٨/٢.

(٣) يقول ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم: إن قريشا أفصح العرب السنة، وأصفاهم لغة... وكانت قريش إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم، وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم، وسلاقتهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"، ينظر الصاحب، ص ٣٣-٣٤، وينظر المزهر للسيوطي، ٢٠٩/١-٢١٠.

(٤) كان هذا واحدا من الأسباب التي دعت الدكتور طه حسين إلى توجيه شكه إلى الشعر الجاهلي إذ رأى أن الشعر يقال بلهجة موحدة مع أن الشعراء من قبائل مختلفة، ودعاه هذا إلى القول "بأن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل، وإنما حمل عليها حملا بعد الإسلام"، ينظر في الشعر الجاهلي، ص ٣٣، وفي كلام المؤلف توضيح لهذه المسألة يشبه في كثير من جوانبه ردود بعض الذين كتبوا=

١. عجعجة قضاة^(٢)، وهم حي باليمن ينتمون لعمر بن مالك بن حمير الملقب بقضاة، وهذه القبيلة تبدل الياء الواقعة بعد عين جيما^(٣)، فيقولون (الراعي خرج معج) أي الراعي خرج معي، و(الساعج يدعج) أنه أفضل من يعج) أي الساعي يدعي أنه أفضل من يعي.
٢. فحفحة هذيل، وهم حي من مضر، أبوهم هذيل بن مدركة بن إلياس^(٤)، يبدلون الحاء عينا فيقولون (اللعم الأعر أعسن من اللعم الأبيض)^(٥) أي اللحم الأحمر

=رادين على الدكتور طه حسين: مثل محمد الخضر حسين، ومحمود لطفي جمعة، والشيخ الخضري وغيرهم، وللتوسع ينظر العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، ص ١٢١، وما بعدها، ومصادر الشعر الجاهلي، وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، ص ٢٨٥، وما بعدها، ص ٤١٥، وما بعدها.

(١) ينظر عن اللهجات، الخصائص لابن جني، ١١/٢، حيث ينقل قولاً لثعلب هو: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن..."، ويسوق شواهد لهذه اللهجات، وينظر كذلك، الصاحبي، لابن فارس، ص ٣٥ وما بعدها في باب (اللغات المذمومة)، والمزهر، للسبوطي، ٢٢١/١، وما بعدها في (معركة الردء المذموم من اللغات)، وفصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ص ١١٦، وما بعدها، فقد فصل الحديث عن اللهجات تفصيلاً جيداً. ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن المؤلف يعتمد اعتماداً مباشراً في حديثه عن اللهجات سواء من حيث القبائل، أم الشواهد على كتاب [مميزات لغات العرب]، للأستاذ حفني ناصف المتوفى سنة ١٩١٩م، وهو معاصر للمؤلف، وقد صدر ذلك الكتاب بطبعته الأولى سنة ١٨٨٦م-١٣٠٤هـ بالمطبعة الكبرى ببلاط، مصر، ينظر معالم التطور الحديث في اللغة العربية، محمد خلف الله أحمد، ص ١٥٤.

(٢) ينظر جهمرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ٤٤٠.

(٣) يعلق الدكتور رمضان عبد التواب على كلام قريب من هذا قال به حفني ناصف بقوله: "ويقيد حفني ناصف الياء التي تبدل جيما بوقوعها بعد العين...ولست أدري من أين نقله؟ على أن هذا القيد ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية، اللهم إلا تبرير اللقب الذي وصفت به تلك الظاهرة: العجعجة"، ينظر فصول في فقه العربية، ص ١٣٤-١٣٥.

(٤) ينظر جهمرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ١٩٦ وما بعدها.

(٥) يبدي الدكتور رمضان عبد التواب استغرابه مرة أخرى من هذا الشاهد الذي يأتي به حفني ناصف، ويقول: "ولست أدري من أين نقل حفني ناصف عن هذيل أنها كانت تقول: اللعم الأعرم..."، ينظر في فقه العربية، ص ١٣٩.

أحسن من اللحم الأبيض، ويقولون (علت العياة لكل عي) أي حلت الحياة لكل حي، وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود (عتى حين) فأرسل إليه عمر رضي الله عنه: أن القرآن لم ينزل على لغة هذيل فافقرأ الناس بلغة قريش^(١).

٣. عنعنة هميم وقيس، إذ يدلون الهمزة المبدوءة بها عينا، فيقولون (عنك فاضل) أي إنك فاضل، و(عنت كريم) أي أنت، و([]^(٢) أكرمك) أي []^(٣).

٤. طمطمانيه حمير، يدلون لام التعريف مميا فيقولون (طاب أمهواء وصفا أمجو) أي طاب الهواء وصفا الجو، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يخاطب بعض الحميريين: (ليس من امبر امصيام في امسفر)^(٤).

٥. كشكشة ربيعة، يدلون كاف المؤنثة شيئا عند الوقف على []^(٥)، ومنهم من يبدل هذا الإبدال في الوصل فيقول: (منش وعليش) أي منك وعليك، وقد روي قول الشاعر يخاطب []^(٦).

فعينك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

بإبدال كافات الخطاب شينات هكذا:

فعينش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق^(٧)

(١) المحتسب، لابن جني، ٣٤٣/١، عن فصول، للدكتور رمضان عبد التواب، ص ١٣٨.

(٢) كلمتان غير مقروئتين.

(٣) كلمتان غير مقروئتين.

(٤) درة الغواص ص ١١٤، ومغني اللبيب، ٤٨/١، ورسالة الصاهل والشاحج، ص ٤٨٥، عن فصول، د. رمضان عبد التواب، ص ١٢٨.

(٥) كلمة غير مقروءة، وتعريف الشكشكة: "إبدال كاف المؤنثة في الوقت شيئا، أو إلحاقها شيئا". ينظر فصول، د. رمضان عبد التواب، ص ١٤٢.

(٦) كلمة غير مقروءة.

(٧) الشاعر هو مجنون ليلى، ينظر سر صناعة الأعراب، ٢١٦/١، ودرة الغواص، ص ١٥، وجمهرة اللغة، ٥/١، ومحاضرات الأدباء، ٦٣/١، عن فصول، د. رمضان عبد التواب، ص ١٤٣.

- وحكى بعضهم أنه سمع أعرابية تقول لجاريته (ارعي وراءش فإن مولايش يناديش)^(١) أي ورائك ومولاك يناديك، وفائدة هذا الإبدال الفرق بين خطاب المذكر، والمؤنث عند الوقف.
٦. كسكسة ربيعة ومضر^(٢)، يبدلون كاف المذكر سينا فيقولون (منس وعليس) أي منك وعليك، ويقولون (عرفتس لما أن نظرتس) أي عرفتك لما أن نظرتك، وفائدة هذا الإبدال كفاضة الكشكشة.
٧. شنشنة اليمن^(٣)، يبدلون الكاف مطلقا شيئا، وقد سمع أحدهم في عرفة يقول: (لبيش اللهم لبيش) أي لبك، وبعض سكان مديرية الشرقية بالبلاد المصرية يتبعون هذا الإبدال فيبدلون الكاف في نحو: كلب، وكشك، وكمون شيئا أو حرفا يقرب من الشين.
٨. الاستنطاء في لغة سعد بن بكر، وهذيل والأزد وقيس والأنصار^(٤)، يقولون (انطاه درهما) أي أعطاه، وقد قريء (إنا أنطيناك الكوثر)^(٥).

مجموعات الأشعار

وقد اعتنى العلماء، والرواة في تدوين الأشعار فألفوا دواوين الشعراء، ومجاميع لأشعار كثير منهم فمن ذلك:

١. جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفى سنة ١٧٠هـ^(٦).

(١) ينظر تاج العروس، مادة (كشش)، ٣٤٥/٤، عن فصول، د. رمضان عبد التواب، ص ١٤٤.

(٢) ينظر فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ص ١٤٠-١٤١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٧-١٤٨.

(٤) السابق، ص ١٢٠.

(٥) هي قراءة الحسن، وطلحة بن مصرف، ينظر تفسير القرطبي، ٢٠/٢١٦، عن فصول د. رمضان عبد التواب، ص ١٢٠.

(٦) أحصى الدكتور محمد علي الهاشمي، محقق الجمهرة سبع طبعات لها، ثلاث منها قبل وفاة المؤلف، والطبعة المعتمدة هي طبعة الدكتور محمد علي الهاشمي وتقع بجزأين.

٢. ديوان الحماسة الجامع لأشهر أشعار العرب، جمعه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٣١هـ^(١).
٣. كتاب الحماسة الثانية للبحري المتوفى سنة ٢٨٤هـ، وهذه المجموعة لم تطبع للآذ^(٢).
٤. كتاب الأغاني لأبي الفرج علي الأصفهاني، جمع فيه كثيرا من الأشعار، وتراجم ٣٩٥ شاعرا عربيا، وطبع في عشرين مجلدا في بولاق، وطبع الجزء الحادي والعشرون في مدينة ليدن^(٣).
٥. ديوان مختارات شعراء العرب لابن الشجري، المتوفى سنة ٥٤٢هـ، جمع فيه خمسين قصيدة لشعراء مختلفين، وطبع على الحجر في القاهرة، منقولا عن نسخة المؤلف^(٤).
- هذا خلا الدواوين الخاصة بكل شاعر على حدته، وقد ذكرنا بعضها عند التكلم على تراجم من تقدم من الشعراء.

(١) يشير بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ٧٨/١ إلى طبعات متعددة لحماسة أبي تمام قبل وفاة المؤلف منها طبعة فرايتاج بجزاين بمدينة بن سنة ١٨٢٨-١٨٤٧م، وطبعات مختلفة في مصر سنة ١٢٨٦ و ١٢٩٠ و ١٢٩٦، وطبعة في لكونو سنة ١٨٧٧، وغيرها.

(٢) طبعت حماسة البحري بعد وفاة المؤلف سنة ١٩١٠ في بيروت على يد لويس شيخو مع مقدمة، ونقد. ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٨١/١.

(٣) كتاب الأغاني من أشهر كتب الأدب في التراجم والأخبار، والطبعة التي يشير إليها المؤلف طبعت في بولاق وصدرت سنة ١٢٨٥هـ وصدر الجزء الحادي والعشرون بتحرير رودولف برونو بليدن سنة ١٣٠٥هـ ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٤٩٤/٢.

(٤) يشير المؤلف إلى الطبعة الحجرية التي صدرت سنة ١٣٠٦هـ بالقاهرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١٦٥/٥.

اللغة العربية

في

عصر ابتداء الإسلام

كانت لهجات العرب، ولغاتهم متشعبة قبل الإسلام، وكان السائد منها لغتين: لغة قريش، وكانت مستعملة في إقليم الحجاز أي بمكة وما جاورها، ولغة حمير، وكانت مستعملة ببلاد اليمن. ولما جاء الإسلام وأنزل جل شأنه القرآن على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بلغة قريش سادت على لغة حمير، وغلبت عليها، وعلى باقي اللغات، وصارت اللغة الدينية المتداولة في المكاتبات والأشعار.

ويعلم الفرق بين لغة قريش، وباقي اللغات مما رواه بعضهم من أن أعرابيا جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصحابه فقال: يا أمير المؤمنين أيطحن بطبي؟ فقال له: وما عليك لو قلت أبيض بطبي؟ فقال: إنها لغة بكسر اللام فكان عجب القوم من كسرهما أشد من إبدال الضاد ظاء^(١).

ومن حكاية أبي العباس أول الخلفاء العباسيين^(٢)، وكان يعجبه السمر ومنازعة الرجال، إذ حضر- عنده ذات ليلة إبراهيم بن مخرمة الكندي، وخالد بن صفوان بن الأهم. فخاضوا في الحديث، وتذاكروا مضر- واليمن، وكان خالد مضريا، وإبراهيم يمنيا، فقال خالد لإبراهيم: ألك علم بلغة قومك؟ فقال: نعم، قال: فما اسم العين، قال: الجمجمة، قال: فما اسم السن؟ قال: الميدين، قال: فما اسم الأذن؟ قال: الصنارة، قال: فما اسم الأصابع؟ قال: الشناتير، قال: فما اسم الذئب؟ قال الكتع، قال: أفعال أنت بكتاب الله عز وجل؟ قال: نعم. قال: فإن الله تعالى يقول: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا"، وقال تعالى: "بلسان عربي مبين"، فنحن العرب، والقرآن بلساننا، ألم تر أن الله تعالى قال: "والعين بالعين"، ولم يقل: الجمجمة بالجمجمة، وقال: "السن بالسن"، ولم يقل: الميدين بالميدين، وقال: "الأذن بالأذن"، ولم يقل: الصنارة بالصنارة، وقال تعالى: "يجعلون أصابعهم في آذانهم"، ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم، وقال أيضا: "فأكله الذئب". ولم يقل فأكله الكتع، فضحك أبو العباس، وأقر خالدًا، وحباهما جميعا.

(١) ينظر المزهر، للسيوطي، ٥٦٣/١. وينظر ذيل الأمالي، لأبي علي القالي، ص ١٤٢.

(٢) ينظر المحاسن والمساوئ، للبيهقي، ص ٨٩ وما بعدها.

وبعد الهجرة بثلاثين سنة انتشرت اللغة في أكثر الأقاليم التي فتحها المسلمون، وهي بلاد اليمن، وسوريا، وفلسطين، وما بين النهرين، ومصر، فتغلبت في هذه البلاد على لغات أهلها الأصلية حتى لم يبق منها إلا النزر اليسير كلغة الأقباط في كنائسهم، ولغة السريان، والنساطرة في سوريا، وبلاد الموصل، وفاضت اللغة العربية وقتئذ ببلاد فارس، وما وراء نهر جيحون، إلا أنها لم تعم الناس بل اقتصر عليها أهل الدين والعلم، والشرع، والتجارة في بعض الأماكن، وذلك حسب عدد العرب الذين حلوا تلك البلاد في زمن الفتوحات قلة وكثرة.

وقد كان الولاة في أوائل أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتبون قوائم الخراج باليونانية، والسريانية، والقبطية، والفارسية، ثم أمر أن تكتب باللغة العربية في البلاد جميعها، وجعلها اللغة الحاكمة في القضاء، والخراج والمصالح.

وقد أخذت اللغة العربية عند ظهور الإسلام وجهة دينية صرفة من القيام بالدعوة إلى الدين، والوعظ، وتبيين العقائد التوحيدية، والقواعد الإسلامية. قال السيوطي في المزهر نقلاً عن ابن فارس في فقه اللغة^(١): كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم، وآدابهم، ونسائلكهم، وقرابينهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع آخر بزيادة زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت؛ فعفى الآخر الأول، فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن، والمسلم، والكافر، والمنافق، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان، وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط، وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهره، وكان الأصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق الإفحاش في

(١) المزهر، للسيوطي، ٣٩٥/١-٣٩٦، وينظر الصاحبى، لابن فارس، ص ٧٨ وما بعدها.

الخروج عن طاعة الله تعالى، وعلى ذلك أبواب الفقه، ففيها اسمان: لغوي، وشرعي، وكذلك سائر العلوم كالنحو، والعروض، والشعر، وجميع الفنون، كل ذلك له اسمان لغوي، وصناعي. أهـ

وفي المزهري^(١): إن من الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها في الإسلام قولهم: المربع، والنشيط، والفضول (فأما المربع فكانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا، وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه، وذلك يسمى بالمربع وأما النشيط فهي ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصدوه، وأما الفضول فهي ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير، والفرس، ويأخذه الرئيس. قال الشاعر:

لـك المـربع مـنـها والـصـفـايـا وحـكـمـك والنـشـيـطـة والـفـضـول

وقد أبطل الإسلام ذلك^(٢)، وقولهم في التحية: انعم صباحا، وانعم ظلاما، وفي تحية الملوك: أبيت اللعن، وقول المملوك لمالكه: (ربي)، وكانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب. وقال في المزهري أيضا^(٣): لم يكن المحرم معروفا في الجاهلية، وإنما كان يقال له، ولصفر: الصفرين، وكان أول الصفرين من أشهر الحرم، فكانت العرب تارة تحرمه، وتارة تقاتل فيه، وتحرم صفر الثاني مكانه، فلما جاء الإسلام، [وأبطل ما]^(٤) كانوا يفعلونه من النسيء سماه النبي صلى الله عليه وسلم شهر الله المحرم.

(١) المزهري، للسيوطي، ٢٩٦/١-١٩٧، وينظر الصحابي، لابن فارس، ص ١٠٢ وما بعدها.

(٢) ما بين القوسين شروح للمؤلف لا توجد في المزهري، والقوسان مثبتان في الأصل.

(٣) المزهري، للسيوطي، ٣٠٠/١، وهو ينقل من الجمهرة، لابن دريد، ٣٥٥/٢.

(٤) الزيادة من المزهري، وبها يستقيم المعنى، وهي ساقطة في الأصل.

القرآن الكريم

آيات حفظت سياجها شوكة الإعجاز فلا يزال يتلوها لسان الدهر، وكلت أمامها أسنة الطاعنين، ولم تلمسها يد أفكار المعارضين. أدق من السحر، وأعجب من الشعر، تتيه العقول دونها، وتحار في بحرها، وتضل دون وصفها، بديعة النظم، عجيبة التأليف، متناهية في البلاغة. كلام الله وتنزيل، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم، ومعادهم مما يأتون ويذرون، لم يفرط في شيء من الآداب التي قوامها الحكمة، وأسسها العدل والإحسان، وغايتها قصد سبيل الحق، والصد عن محجة الضلالة، والخروج عن ظلمات الغواية إلى أنوار الفضيلة. أنزل الله جل شأنه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم معجزة الرسالة ببديع نظام، وعجيب تأليف، وتحديا لدى العرب الذين كانوا يتفاخرون باللسن، والذلاقة، والفصاحة، ويتنافرون في الكلام، فكان القرآن أوفق لأميالهم وأدعى لهدايتهم.

والمعجزة^(١) إما حسية أو عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لقلّة بصيرتهم، ومعجزة هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم، وكمال أفعالهم، وهذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة الباقية ليراهن ذوو البصائر، ومعجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة. قال الجاحظ: بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا أو خطيبا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها، وأدناها إلى توحيد الله، وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر، وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى، والحمية حملهم بالسيف، فنصب لهم الحرب، ونصبوا له، وقتل من عليتهم، وأعلامهم، وأعمامهم، [وبني أعمامهم]^(٢)، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحا ومساء إلى أن يعارضوه - إن كان

(١) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها، ومعها قول الجاحظ الآتي من الإقنات، للسيوطي، ٧/٢-٤، باختلاف يسير.

(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإقنات.

كاذبا- بسورة واحدة، أو آيات يسيرة، فكلما ازداد [تحديا لهم بها، وتقريعا]^(١) لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا [مخفيا]^(٢) لم يجدوا حيلة ولا حجة، قالوا: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتوها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب [ولا طمع فيه]^(٣) شاعر، ولو تكلف أحدهم، وظهر لوجد من يستجده، ويحامي عليه، ويكابر فيه، ويزعم أنه عارض، وقابل، وناقض فدل ذلك على إعجاز القرآن مع كثرة كلامهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم، لأن سورة واحدة، وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله، وافسد للأمر [وأبلغ]^(٤) في تكذيبه، وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال، والعرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع، والمزدوج، واللفظ المنثور، ومحال أن تجتمع هؤلاء كلهم في الأمر الظاهر، والخطاب المكشوف المبين، مع التقريع بالنقص، والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة. أهـ

ونظم القرآن^(٥) على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام كلام العرب، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وليس للعرب كلام يشتمل على هذه الفصاحة، والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة، وقد يضطر الشاعر المفلق، والخطيب

(١) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتيان.

(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتيان.

(٣) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتيان.

(٤) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتيان.

(٥) ينقل المؤلف هذه الفقرة من إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ٣٥ وما بعدها باختلاف.

المصقع، والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق، واللفظ المستكره، فإن انعطفت عليه جنبنا الكلام غطتا على عوره، وسترتا من شينه، وهذا لا تجده في القرآن الكريم.

والقرآن من قبيل النثر إلا أنه مباين لنوعي النثر المعهودين، قال ابن خلدون في مقدمته^(١): النثر منه السجع الذي يؤق به قطعاً، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة، ومنه المرسل، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً. ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية، ولا غيرها، أما القرآن - وإن كان من المنشور - إلا أنه خارج عن الوصفين، وليس يسمى مرسلًا مطلقاً، ولا مسجعا بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، ويثنى في غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى: "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله"^(٢) "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"^(٣)، وقال: "قد فصلنا الآيات"^(٤)، ويسمى آخر الآيات منها فواصل، إذ ليست أسجعا، ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع، ولا هي أيضا قواف، وأطلق على آيات القرآن كلها ما ذكرناه. أهـ.

فصاحة القرآن وأدابه:

والقرآن^(٥) يشتمل على ذكر قصص، ومواعظ، واحتجاج، وحكم، وأحكام، وإعذار، وإنذار، ووعد، ووعيد، وتبشير، وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة

(١) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص ٥٦٧، باختلاف يسير.

(٢) الزمر ٢٣.

(٣) النساء ٨٢.

(٤) الأنعام ٩٨.

(٥) ينقل المؤلف هذه الفقرة من إعجاز القرآن للباقلائي. ص ٣٦-٣٧ باختلاف.

وشيم رفيعة، وسير مأثورة، كل ذلك في حسن نظم، وبديع تأليف، ووصف لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، والإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف، أنظر إلى قوله تعالى: "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء"^(١)، فلو أراد أحد الأعيان الأعلام في البلاغة أن يعبر عن ذلك المعنى لم يستطع أن يأتي بهذه الألفاظ مؤدية المعنى التي يتضمنها حتى يبسط مجموعها، ويصل مقطوعها، ويظهر مستورها، فيقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة، وعهد فخفت منهم خيانة، ونقضا فأعلمهم أنك نقضت ما شرطت لهم، وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم سواء. وتأمل في بديع قوله تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة"^(٢)، "واشعل الرأس شيباً"^(٣)، "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون"^(٤)، "ولكم في القصاص حياة يا أولي الأبواب"^(٥)، فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً"^(٦)، "فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم"^(٧).

قال الشيرازي في مفتاح المفتاح عند بيان الجزل من الكلام والرقيق منه: لست أعني بالجزل أن يكون وحشياً متوعراً عليه عنجهية البدواة، بل أعني أن يكون متيناً على عذوبته في الفم، ولذاذته في السمع، وكذلك لست أعني بالرقيق الحاشية الناعم الملمس، ولهذا لا تجد في قوارع القرآن عند ذكر الصراط والحساب، والعذاب شيئاً من ذلك، وحشي الألفاظ، ولا متوعراً، وفي ذكر الرحمة والمغفرة، وملاطفات خطاب الاستعطاف شيئاً من ضعيف الألفاظ، ولا مسفسفاً، مثال الجزل قوله تعالى: "ونفخ في

(١) الأنفال ٥٨.

(٢) الإسراء ٢٤.

(٣) مريم ٤.

(٤) يس ٣٧.

(٥) البقرة ١٧٩.

(٦) يوسف ٨٠.

(٧) الأنعام ٩٦.

الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون. ووفيت كل نفس ما عملت وهم أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا: بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين، وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين^(١). إذ ليس فيها لفظة إلا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة، ومثال الرقيق قوله تعالى في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم "والضحى. والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى. ألم يجدك يتيما فأوى. ووجدك ضالا فهدى. ووجدك عائلا فأغنى. فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث"^(٢). وهكذا ترى سبيل القرآن في كلا هاتين الحالتين من الجزالة والرقعة. أهـ

والقرآن الكريم منبع الشرائع والآداب، والحكم والأمثال التي تكسب النفوس كمالا، وتوليها تهذيبا وجمالا فمن ذلك قوله تعالى: "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"^(٣)، "كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين"^(٤)، "وبالوالدين إحسانا وذو القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس

(١) الزمر ٦٨-٧٤.

(٢) الضحى.

(٣) البقرة ٤٤.

(٤) البقرة ٦٠.

حسناً" ^(١)، "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون" ^(٢)، يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين" ^(٣)، "قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى" ^(٤)، "إن تبدوا الصدقات فنعماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم" ^(٥)، "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" ^(٦)، المنكر" ^(٦)، "ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض" ^(٧)، "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا وإذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل" ^(٨)، "وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها" ^(٩)، "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم" ^(١٠)، "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" ^(١١)، "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل" ^(١٢)، "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" ^(١٣)، "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" ^(١٤)، "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا

(١) البقرة ٨٣.

(٢) البقرة ١٨٨.

(٣) البقرة ٢٠٨.

(٤) البقرة ٢٦٣.

(٥) البقرة ٢٧١.

(٦) آل عمران ١٠٤.

(٧) النساء ٣٢.

(٨) النساء ٥٨.

(٩) النساء ٨٦.

(١٠) النساء ١٤٨.

(١١) المائدة ٢.

(١٢) الأعراف ١٩٩.

(١٣) الأنفال ٤٦.

(١٤) النحل ١٢٦.

تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا"^(١)، "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا"^(٢)، "وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم"^(٣)، "ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً"^(٤)، "يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور وأقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير"^(٥)، "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم"^(٦)، إلى غير ذلك من الآداب الظاهرة، والحكم الباهرة.

وفيه مما يجري مجرى الأمثال قوله تعالى: "ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله"^(٧)، "كل نفس بما كسبت

كسبت رهينة"^(٨)، "كل يعمل على شاكلته"^(٩)، كل حزب بما لديهم

(١) الإسراء ٢٩.

(٢) الإسراء ٣٢.

(٣) الإسراء ٣٥.

(٤) الإسراء ٣٧.

(٥) لقمان ١٧-١٩.

(٦) الحجرات ١٢، ١١.

(٧) فاطر ٤٣.

(٨) المدثر ٧٨.

(٩) الإسراء ٨٤.

فرحون" ^(١)، "ولا تزر وازرة وزر أخرى" ^(٢)، "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم" ^(٣)، "لكل نأ مستقر" ^(٤).

نزل القرآن وجمعه:

قيض جل شأنه للأمام النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعثه على فترة من الرسل، فأزال الظلمات، وأثار الكائنات. ولد عليه الصلاة والسلام بمكة سنة ٥٦٩ م بعد وفاة والده عبد الله بشهرين، وقامت بتربيته أمه آمنة، وتوفيت وعمره ست سنين، وكفله جده عبد المطلب سيد قريش، ومات لثماني سنين من ولادته، وعهده إلى ابنه أبي طالب فكفله وأحسن تربيته، وشب صلى الله عليه وسلم حتى بلغ فكان أكثر الناس مروءة، وحلما، وأمانة، وأصدقهم حديثا، وأبعدهم عن الفحش حتى عرف في قومه بالأمين، وأرجحهم عقلا وأفضلهم رأيا وكان دائم البشر يكثر الذكر، ويقل اللغو، حبب إليه الخلاء فأخذ يخلو شهرا من كل سنة بغار حراء حتى نزل عليه الوحي في سنة ٦١١ م، وقد بلغ الأربعين من عمره، وأرسله الله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا. وأول ما أوحى إليه من القرآن الكريم سورة: "اقرأ باسم ربك"، وفي أواسط يوليو من سنة ٦٢٢ م هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فرحب به أهلها، ودخلت الناس في دين الله أفواجا. ومن محرم سنة الهجرة يتبدئ التاريخ الإسلامي، وفي اليوم الثاني عشر- من ربيع الأول سنة ١١ هـ توفاه الله بالمدينة، ودفن بها صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث وستون سنة.

نزل القرآن الكريم منجما في عشرين سنة على حسب مقتضيات الأحوال، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون ما نزل منه في العصب والقحاف ويستظهرون.

(١) الروم ٣٢.

(٢) الأنعام ١٦٤.

(٣) البقرة ٢١٦.

(٤) الأنعام ٦٧.

وسوره أربع عشرة ومائة تختلف طولاً وقصراً، ولا تتجاوز السور الأربعون الأخيرة خمسين آية، ولا تنقص عن ثلاث، والسور التي نزلت بمكة ست وثمانون، والتي نزلت بالمدينة ثماني وعشرون^(١).

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين جمع القرآن لأول مرة في عهد أبي بكر رضي الله عنه بأمره^(٢)، وعهد بذلك إلى زيد بن ثابت، فاتبع القرآن أجمعه من العصب والقحف، وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر إلى أن توفاه الله، ثم عند عمر حياته ثم عند [أم]^(٣) المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، وكان زيد بن ثابت لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان على أن المكتوب كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على أنه لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد من تلقاه سماعاً مع أن زيدا كان من الحفظة، وإنما كان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط، وكان جمع من الصحابة مثله يحفظون القرآن أجمعه.

ثم جمع ثانية في سنة خمس وعشرين ب هـ في عهد عثمان رضي الله عنه^(٤)، وذلك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح بعض البلاد، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى أم المؤمنين حفصة أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، فأرسلت بها إليه فأمر أربعة من الصحابة^(٥) فنسخوا المصحف في المصاحف، وأرسل إلى كل أفق مصحف مما نسخوه، وأمر بحرق المصاحف التي كانت بالبلاد.

(١) ينظر الإتيان للسيوطي، ٢٢٥/١.

(٢) ينظر الإتيان للسيوطي، ٢٠٣/١ وما بعدها.

(٣) ساقطة في الأصل.

(٤) ينظر الإتيان للسيوطي، ٢٠٨/١.

(٥) هم كما في الإتيان: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم.

والفرق بين الجمعين أن جمع أبي بكر رضي الله عنه كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف، مرتبا لآيات سورة على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع عثمان رضي الله عنه كان لما كثرت الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات؛ فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد ليجمع القراء على تلك القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ورسم مصاحف عثمان رضي الله عنه مخالف بعضه للمعهود في فن رسم الحروف، وذلك لأن الصحابة الذين كتبوا المصحف لم تكن خطوطهم مستحكمة في الإجابة. قال ابن خلدون في مقدمته^(١):

كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام، والإتقان، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة، وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسم الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجابة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيه تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخير الخلق من بعده، المتلقون لوحيه من كتاب الله، وكلامه. أهـ

وللقرآن طرق في تأدية ألفاظه، وأشهرها سبع متواترة. قال ابن خلدون^(٢): إن الصحابة رويهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوكل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجمل الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراء لا تقوى قوتها في النقل، ولم يزل القراء يتداولون هذه

(١) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص ٤١٩، باختلاف يسير.

(٢) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٧، باختلاف يسير.

القراءات، وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم، وصارت صناعة مخصوصة، وعلماً منفرداً. أهـ

وقال السيوطي في الإتيان^(١): إن القراءات أنواع:

الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، وغالب القرآن كذلك.

الثاني: المشهور، وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر، ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ، ويقرأ به.

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده وخالف الرسم والعربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يقرأ به، من ذلك ما روي عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: متكنين على رفارف خضر- وعباقري حسان.

الرابع: الشاذ، وهو ما لم يصح سنده، من ذلك قراءة: ملك يوم الدين، بصيغة الماضي.

الخامس: الموضوع، ولا خلاف أن ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً لأن هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم مما تتوفر الدواعي على نقل جملة، وتفصيله كما هي^(٢). أهـ.

ولاختلاف القراءات فوائد، أهمها التسهيل على الأمة، فاختلفت الأحكام باختلافها كما بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في (لمستم) و(لامستم) إلى غير ذلك من الأحكام المعلومة في علم الفروع.

القرآن وأدب اللغة:

القرآن الكريم أول كتاب عهدته العرب، فهو المنبع الوحيد لأدب اللغة، لأجله دونت علوم، واستنبطت فنون وصولاً إلى فهمه، واستخراج أحكام الشريعة منه، وبممارسته ذهبت الأمية عن العرب، وقويت حياتهم العقلية.

(١) ينظر الإتيان، للسيوطي، ٢٦٤-٢٦٦، باختلاف.

(٢) ذكر السيوطي قراءة سادسة هي "ما زيد في القراءات على وجه التفسير"، وساق شواهد لها، ينظر الإتيان، ٢٦٥/١.

قال السيوطي في الإتقان^(١): تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة، والتابعون من علومه، وسائر فنونه، فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه، فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه، وعددها، وعدد كلماته وآياته وسوره، وأحزابه، وأنصافه، وأرباعه، وعدد سجدياته إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة، والآيات المتماثلة فسموا القراء.

واعتنى النحاة بالمعرب منه، والمبني من الأسماء والأفعال، والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال واللازم والمتعدي، ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمة كلمة. واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد، ولفظا يدل على معنيين، ولفظا يدل على أكثر فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد احتمالات ذي المعنيين، والمعاني، وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره.

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية، والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله، ووجوده، وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به، وسموا هذا العلم بأصول الدين.

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا في التحضيض والأخبار، والنص، والظاهر، والمجمل، والمحكم، والمتشابه،

(١) ينظر الإتقان، للسيوطي، ٣١/٤-٣٣، باختلاف، ويستمر السيوطي بعد هذا النص الذي نقله المؤلف في بيان العلوم التي اقتبسها المسلمون من كتاب الله المجيد.

والأمر، والنهي، والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال، والاستقراء، وسموا هذا الفن أصول الفقه.

وأحكمت طائفة صحيح النظر، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام، وسائر الأحكام فأسسوا أصوله، وفرعوا فروعها، وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا، وسموه بعلم الفروع، وبالفقه أيضا. وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة، والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا آثارهم، ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا، وأول الأشياء، وسموا ذلك بالتاريخ، والقصص.

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال، وتكدد الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد، والتحذير والتبشير، وذكر الموت والمعاد، والنشر- والحشر- والحساب والعقاب، والجنة والنار، فصولا من المواعظ، وأصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ. ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، والنجوم، والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت.

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ، وبديع النظم، وحسن السياق، والمبادئ والمقاطع والمخالص، والتلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز، وغير ذلك، واستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع. ونظر فيه أرباب الإشارات، وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاما اصطلاحوا عليها مثل الفناء، والبقاء، والحضور، والهيبة، والخوف، والأنس، والوحشة، والقبض، والبسط، وما أشبه بذلك من الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية منه. أهـ

فشت الكتابة، وكذا الكتاب منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم للحاجة إلى تقييد ما يليقه من الدين على الصحابة رضي الله عنهم، وإلى كتابة الرسائل التي كان ينفذها إلى الأمراء، والملوك. وقد فادى بعد غزوة بدر من رأى فداءه من الأسرى، ومن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة. وكتب له صلى الله عليه وسلم عشرة من الكتاب أشهرهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم^(١).

ولما أخذت اللغة في ابتداء عصر الإسلام الوجهة الدينية قامت عما قليل بمقتضيات الملك والسياسة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢) إذ وضع ديوان الخراج، وديوان الجيش، وذلك أن أبا هريرة رضي الله عنه أتى بهال من البحرين فاستكثره، وتعبوا في قسمه، فأشار خالد بن الوليد بالديوان، وقال: رأيت ملوك الشام يدنون، فقبل منه عمر رضي الله عنه، وأشار عليه أيضا الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان، فقال له: ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم، فإن من تخلف أضل مكانه، وإنما يضبط ذلك الكتاب، فأثبت لهم ديوانا، فأمر عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من كتاب قريش، فكتبوا ديوان العساكر الإسلامية على ترتيب الأنساب، وكان ذلك في المحرم سنة عشرين هجرية.

وفي أيام علي رضي الله عنه ابتدأت الحياة العقلية في استقرار أساليب اللغة، ووضعها تحت نواميس وقواعد عامة، وتدوين ما استقر منها، فقد أمر علي أبا الأسود الدؤلي أحد وجوه التابعين، وفقهائهم أن يضع أصولا لنطق اللغة العربية بعد أن أملى عليه أن الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فنحوا أبو الأسود نحو ذلك، ورسم أصوله، وكان كتابه أول كتاب وضع في تلك الأصول، إلا أنه لم يصل إلينا،

(١) ينظر العقد الفريد، ١٦١/٤، وما بعدها، ١٦٨/٤.

(٢) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها من مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤٣-٢٤٤ باختلاف يسير.

والذي دعا إلى ذلك خوف انتشار اللحن الذي نشأ عن اختلاط العرب بغيرهم أيام الفتوحات^(١).
قال ابن خلدون^(٢): لما جاء الإسلام، وفارقت العرب الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم، والدول، وخالطوا العجم تغيرت الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعرين، والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها لجنوحها إليه باعتبار السمع. أهـ.
وكانت الرسائل في ذلك الوقت تفتتح بقولهم: من فلان إلى فلان، وقد يسبق ذلك [بسم الله الرحمن الرحيم]، ثم السلام عليك، والسلام على من اتبع الهدى، وبعد هذا أما بعد فإن الأمر... أو أما بعد فإني أحمد إليك الله، وإن الأمر... وكانت عباراتها سهلة مرسلة بعيدة عن السجع، وعن تزيين الألفاظ.
ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الملوك، قيل له: يا رسول الله إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً، فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة عليه ثلاثة أسطر: [محمد] في سطر، و[رسول] في سطر، و[الله] فوق ذلك، وصار يختم به كتبه، وقد اتخذ هذا سنة من بعده^(٣).
وأدب المتنور التي وصلت إلينا مما تدوول في ذلك العصر- بعد القرآن الكريم هي: الأحاديث النبوية، والآثار الحكمية التي صدرت عن الخلفاء الراشدين، والرسائل، والخطب، ولنأت على وشل من ذلك كي تستبين لنا وجوه أساليبها، وموضوعاتها فنقول:

(١) ينظر: مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، ص ٢٤ وما بعدها، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري ص ١٧ وما بعدها، وطبقات النحويين واللغويين، للزبيدي ص ٢٢، وفيه أن الذي دعا أبا الأسود زياد بالبصرة، ومقدمة ابن خلدون، ص ٥٤٦.
(٢) تنظر المقدمة، ص ٥٤٦، باختلاف يسير.
(٣) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص ٣٦٤، إذ ينقل المؤلف عنها باختلاف.

الأحاديث النبوية

هي الآيات البينات بعد آيات الله من حيث اللغة، والإنشاء، والحكم، والآداب، جمعت السنة النبوية، وتأسست عليها دعائم أحكام الشريعة السمحة، وظهرت بها تفاصيل مجملات الآيات القرآنية، ولم تزل منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم أشرف ما يحفظه الصحابة، والتابعون، ومن بعدهم سلفاً عن خلف بعد حفظ كتاب الله تعالى.

وكانت الصحابة تحفظها استظهاراً، ولا يكتبونها خوفاً من اختلاطها بالقرآن الكريم، ولنقتصر على إيراد بعض روائع كلامه صلى الله عليه وسلم، وجوامع كلمه السائرة مسير الأمثال والحكم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(١) إذا لم تستح فاصنع ما شئت^(٢)، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين^(٣)، جدد الحلال أنف الغيرة^(٤)، الحكمة ضالة المؤمن^(٥)، ما عال من اقتصد^(٦)، كل ميسر لما خلق له^(٧)، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً^(٨)، المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، الحياء شعبة من الإيمان^(٩)، خير الأمور أوساؤها، إياكم والظن والظن فإن الظن أكذب الحديث

(١) سنن الترمذي، ٣٢١/٩، والدارمي، ٣، ونثر الدر، للآبي، ١٦١/١، وفيض القدير، للعلامة المناوي، ٥٢٨/٣.

(٢) فتح الباري ١٣/١٣٩.

(٣) فتح الباري، ١٣/١٤٧-١٤٧، والمستقصى، للزمخشري، ٢/٢٧٦.

(٤) ينظر نثر الدر، للآبي، ١٥٥/١، ونهاية الأرب، ٤/٣، ومجمع الأمثال، للميداني، ١/١٦٣.

(٥) سنن ابن ماجه، ٣٦/١، ونثر الدر، للآبي، ١/١٦٧، ومجمع الأمثال، للميداني، ١/٢١٤.

(٦) فيض القدير، المناوي، ٥/٤٥٤، ونثر الدر، للآبي، ١/١٦٢.

(٧) صحيح مسلم، ٨/٤٧.

(٨) فتح الباري، ١٢/٥٨.

(٩) المصدر السابق، ١/٥٨.

ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً^(١)، رحم الله امرأ قال خيراً فغنم أو سكت فلم^(٢)، ما هلك امرؤ عرف قدره، احرص لدياك كأنك تعيش أبداً وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً^(٣).

وقال لأبي سفيان بن حرب: كل الصيد في جوف الفرا^(٤).

ومن روائع التشبيه والتمثيل قوله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به^(٥).
رسائله صلى الله عليه وسلم :

إن أغلب رسائله صلى الله عليه وسلم كان يوجه بها إلى الملوك، والأمراء، والقبائل يدعوهم بها إلى الإسلام، ويبلغهم رسالة ربه، ويبين لهم العهود، وبعض أحكام الشريعة من العبادات، والمعاملات، وكلها سهلة العبارات، سلسلة التراكيب كيلا تحتل التأويل أو التفسير، وإليك بعض كتبه صلى الله عليه وسلم .
١. كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى^(٦) :

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى،

(١) السابق، ٩٣-٩٢/١٣.

(٢) فيض القدير، المناوي، ٢٤/٤.

(٣) المصدر السابق، ١٢/٢ باختلاف.

(٤) الكامل للمبرد، ٢٧٥/١، ونثر الدر، للآبي ٢٠٥/١.

(٥) فتح الباري، ١٨٥/١-١٨٦.

(٦) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٠/١، ومصادره، وسنقوم بتوثيق رسائله ﷺ وخطبه وبقية الخطب والرسائل التي سترد من هذا الكتاب، وكتابه الآخر: جمهرة خطب العرب، إذ هو ينقل الرسائل، والخطب من المصادر بحروفها، ويشير إلى تلك المصادر بتفصيل وما لم نجده فيهما وثقناه من المصادر الأخرى.

وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَدْعُوكَ بِدُعَايَةِ اللَّهِ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذَرُ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ. اسلم تسلم.

٢. كتابه صلى الله عليه وسلم إلى الملقوقس صاحب مصر^(١):

من محمد رسول الله إلى الملقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، فاسلم تسلم يؤتلك الله أجرَك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط". يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".

٣. كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكتم بن صيفي^(٢):

من محمد رسول الله إلى أكتم بن صيفي، أحمد الله إليك، إن الله أمرني أن أقول لا إله إلا الله أقولها وأمر الناس بها، والخلق خلق الله، والأمر أمر الله، خلقهم وأماهم وهو ينشرهم، ولتعلمن نبأه بعد حين.

٤. كتابه صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب^(٣):

كتب مسيلمة الكذاب إليه صلى الله عليه وسلم فقال: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك أما بعد، فإنني قد اشتكت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقریش نصف الأرض، ولكن قریشا قوم يعتدون. فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم: من محمد رسول الله إلى

(١) جمهرة رسائل العرب، ٤٢/١، مع مصادره.

(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٦٩/١، ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن صاحب الجمهرة الأستاذ أحمد زكي صفوت يوثق هذه الرسالة من كتابنا هذا وحده، وكأنه لم يجدها في غيره، وهي موجودة في جمهرة الأمثال، للعسكري، ٣٣٨/٢، والإصابة لابن حجر، ١١٩/١، باختلاف.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٦٨/١، مع مصادره.

مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده،
والعاقبة للمتقين.

خطبه صلى الله عليه وسلم :

١. أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه^(١):

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، و الله لو كذبت الناس ما كذبتكم، ولو
غررت الناس ما غررتكم، و الله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقاً، وإلى الناس كافة، و الله
لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً،
وإنها للجنة أبداً، أو النار أبداً وإنكم لأول من أنذر بين يدي عذاب شديد.

٢. ومن خطبه صلى الله عليه وسلم^(٢):

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن لكم معالم فانتوها إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتوها
إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وبين أجل قد بقى لا يدري ما
الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل
الممات، فو الذي نفس محمد بيده: ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

٣. خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة^(٣):

وقف على باب الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق الله وعده، ونصر عبده،
وهزم الأحزاب وحده، إلى أن قال: يا معشر قريش: إن الله قد

(١) جمهرة خطب العرب، صفوت، ١٤٧/١، مع مصادره باختلاف يسير.

(٢) المرجع السابق، ١٥٢/١، مع مصادره باختلاف، وبعض ألفاظ هذه الخطبة مطموسة في الأصل أضفناها من الجمهرة.

(٣) المرجع السابق، صفوت، ١٥٤/١، مع مصادره باختلاف.

أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب. "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثنى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، يا أهل مكة ما ترون في فاعل بكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم، وابن أخ، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء.

٤. خطبته صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة:

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، الموهوب من عذابه، المرغوب فيما عنده، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد، ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسبا لاحقا، وأمرا مفترضا، وشج به الأرحام، وألزمه الأنام. قال تبارك اسمه وتعالى ذكره: "هو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا"، فأمر الله يجري إلى قضائه، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب"، ثم أن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، وقد زوجها إياه على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي.

آثار الخلفاء الراشدين

الخلفاء الراشدون^(١) رضي الله عنهم قد جلوا بكلامهم الأبصار العليّة، وشحدوا بمواعظهم الأذهان الكليّة، ونبهوا القلوب من رقدها، ونقلوها عن سوء عاداتها فشفوا من داء القسوة، وغبابة الغفلة، وداووا من العي الفاضح، ونهجوا لنا الطريق الواضح.

خطباء حين يقوم قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن

أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة القرشي، يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب، ولد رضي الله عنه لستين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان صاحباً له قبل النبوة. وهو الطود المنيف، والظل الممدود فتى قريش ناشئاً، وكهفها كهلاً، أول القوم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأعظمهم غنى، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . تولى الخلافة سنة إحدى عشرة من الهجرة، إلى أن توفي لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

مأثور منثور:

من مأثور منثور رضي الله عنه قوله^(٢): صنائع المعروف تقي مصارع السوء، ليست مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة، ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر، إن الله قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغباً وراهما.

ولما وجه عكرمة بن أبي جهل إلى عمان أوصاه، فقال له: سر على بركة الله تعالى، وقدم النذر بين يديك، ومهما قلت إني فاعل فافعل، ولا تجعل قولك لغوا في عفو

(١) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٨٦/١.

(٢) ينقل المؤلف هذه الأقوال من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٧١/١.

ولا في عقوبة، ولا توعدن على معصية بأكثر من عقوبتها، فإنك إن فعلت أثمت، وإن تركت كذبت، ولا تكلفن ضعيفا أكثر من طاقة نفسه والسلام.

ودخل رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة وهو مسجى بثوب، فكشف عنه الثوب وقال^(١):

بأي أنت وأمي، طبت حيا، وطبت ميتا، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة، وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء، لأنفدنا عليك ماء الشؤون، فأما ما لا نستطيع نفيه عنا، فكمد وإدناف، يتخالفان ولا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبينا عنا، واحفظه فينا. كتبه رضي الله عنه :

إن أغلب كتبه رضي الله عنه كان يوجهها إلى الذين ارتدوا عن الإسلام في ابتداء خلافته يدعوهم إلى الرجوع إليه، ولذلك آثرنا أن نقتصر منها على كتاب أصدر منه نسخا إلى كل قبيل من المرتدين وهو^(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم

من أي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة، أقام على الإسلام أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأقر بما جاء به (أما بعد):

(١) جمهرة خطب العرب، صفوت، ١٧٩/١-١٨٠، مع مصادره.
(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ١٠٩/١، وما بعدها، مع مصادره.

فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، فهدى الله للحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نفذ لأمر الله ونصح لأُمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله فقال: (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون)، وقال للمؤمنين: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين) فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له، فإن الله له بالمرصاد حي قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة، ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه بحزبه.

وإني أوصيكم بتقوى الله، وحظكم ونصيكم من الله، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم وأن تهتدوا بهداه، وأن تعصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضل، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم ينصره مخذول، فمن هداه الله كان مهتدياً، ومن أضله الله كان ضالاً، (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً)، ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله جل ثناؤه: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)، وقال جل ذكره: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير).

وإني أنفذت إليكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن

استجاب له، وأقر وكف وعمل صالحا، قبل منه وأعانه عليه، ومن أبي [أمرته] ^(١) أن يقاتله على ذلك لا يبغي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنيران، ويقتلهم كل قتلة، ويسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن آمن فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله.

وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع، والداعية الأذان، فإن أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا سألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم.

وإليك عهده بالخلافة إلى سيدنا عمر بن الخطاب ^(٢) رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذاك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدل فلا علم بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

خطبة له رضي الله عنه ^(٣):

[] ^(٤) من بيت النبي صلى الله عليه وسلم [] ^(٥) فخطب فيهم يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث،

(١) ساقطة في الأصل، وبها يستقيم المعنى.

(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ١٤٤/١، باختلاف يسير، مع مصادره.

(٣) المرجع السابق، ١٨٠/١، باختلاف يسير، مع مصادره.

(٤) بياض في الأصل بمقدار خمس كلمات.

(٥) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

وَأَنْ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ) ثُمَّ قَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِهِ، فَلَا تَدْعُوهُ جَزَعًا، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ، وَقَبْضَهُ إِلَى ثَوَابِهِ، وَخَلَفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ، وَسَنَةَ نَبِيِّهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ)، وَلَا

يَشْغَلَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ مَوْتَ نَبِيِّكُمْ، وَلَا يَفْتِنَنَّكُمْ عِنْدَ دِينِكُمْ، فَعَالِجُوهُ بِالَّذِي تَعْجُزُونَهُ، وَلَا تَسْتَظْهُرُوهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ.

وَمِنْهُ خُطْبَتُهُ حِينَ بَايَعَهُ النَّاسُ الْبَيْعَةَ الْعَامَةَ^(١):

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنُهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَأَيُّ وَلِيَّتٍ عَلَيْكُمْ، وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، وَاللَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنَ، وَسَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَّمَنَا فَعَلَّمَنَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسِ التَّقَى، وَأَنَّ أَحْمَقَ الْحَمَقِ الْفُجُورَ، وَأَنَّ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى أَخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ، وَأَنَّ أَوْعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى أَخَذَ مِنْهُ الْحَقَّ. أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا أَنَا مُتَّبَعٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنْ رَأَيْتُمُونِي عَلَى حَقٍّ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ رَأَيْتُمُونِي عَلَى بَاطِلٍ فَارْجِعُونِي.

أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتَ اللَّهَ فِيكُمْ، فَإِذَا عَصَيْتَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

وَمِنْهَا خُطْبَتُهُ وَقَدْ جَاءَهُ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ:

سَاوَى فِيهَا بَيْنَ النَّاسِ، فَغَضِبَتْ الْأَنْصَارُ^(٢).

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنُهُ عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ:

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا إِنَّا آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلَالِنَا وَشَاطِرِنَاكُمْ فِي أَمْوَالِنَا، وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، لَقَلْتُمْ، وَإِنْ لَكُمْ الْفَضْلُ مَا لَا يَحْصِيهِ الْعَدَدُ، وَإِنْ طَالَ بِهِ

(١) جمهرة خطب العرب، صفوت، ١٨٠/١-١٨١، باختلاف، مع مصادره.

(٢) المرجع السابق، ١٨٦/١، باختلاف، مع مصادره.

الأمد، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا، ولو أن أمانا تلاقي الذي يلقون منا مللت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأظلت

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته: اللهم اجعل خير زماني آخره،
وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك^(١).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

هو^(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
كعب بن لؤي، وكنيته أبو حفص، ولقبه الفاروق، كان رضي الله عنه آدم مشربا بحمرة، طويلا، حسن الخدين
والأنف والعينين، مجدول اللحم، حسن الخلق، وكان أزهد الصحابة في الدنيا، وأشدهم في أمر الله، وكان له
فضل يمنع أن يخدع، وعقل يمنعه أن ينخدع.

ولد رضي الله عنه في السنة الثالثة عشرة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولي
الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وطعنه أبو لؤلؤة لثلاث بقين
من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي الله عنه .

وهو أول من دون الدواوين، وأنشأ التاريخ الإسلامي، [فجعل التاريخ الإسلامي]^(٣) من الهجرة

النبوية، وأول من سمي بأمر المؤمنين ليكون []^(٤)

(١) العقد الفريد، ٦٦/٤.

(٢) ينظر العقد الفريد، ٣٦٩/٤.

(٣) مظموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ٧٤/١٢، وتاريخ الطبري، ٢٥٣/٢.

(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

مندوحة عن التكرار في قولهم: خليفة خليفة رسول الله.

مأثور منثور^(١):

من كثر سره كان الخيار في يده -أعقل الناس أعذرهم للناس- أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقهم -
خصال ثلاث من لم يكن فيه [لم ينفعه الإيمان]^(٢): حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجره عن المحارم، وخلق
إيداري به^(٣) الناس- أخوف ما أخاف عليكم: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه -ترك الحركة
غفلة- رب نظرة زرعت شهوة، وشهوة [أورثت حزنا]^(٤) طويلا.

وقال لابنه عبد الرحمن: يا بني انسب نفسك، وصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك،
فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترب [أدبا]^(٥).

كتبه رضي الله عنه :

إن أغلب كتب سيدنا عمر رضي الله عنه كان يوجه بها إلى قواد الجيوش المسلمين الفاتحين، وإلى
الولاة يأمرهم فيها بما ينبغي لهم أن يعملوه، ويوضح لهم طريق المعاملة لأهل البلاد التي فتحت على أيديهم،
وإليك نموذجاً منها:

(١) أغلب هذه الأقوال وردت في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، الجزء الثاني عشر، وينظر كذلك زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٧٣/١.

(٢) مظموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١١٨/١٢.

(٣) مظموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١١٨/١٢.

(٤) مظموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١١٧/١٢.

(٥) مظموسة في الأصل والزيادة من جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٥٨/١، وهو مختلف قليلا عما ورد في الجمهرة.

كتب إلى معاوية رضي الله عنه ^(١):

أما بعد فإنني لم آلك في كتابي إليك ونفسي خيرا، إياك والاحتجاب دون الناس، وأذن للضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه، وتعهد الغريب [إنك إن لم تتعهده ترك] ^(٢) حقه، وضعف قلبه، وإيما ضيع حقه حبسه، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستتب لك القضاء، وإذا أحضر الخصمان البيئات العدول، والأيمان القاطعة فامض الحكم.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ^(٣):

أما بعد: فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركني، وإياك عمياء مجهولة، وضغائن محمولة، وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة. فأقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك [أمران] ^(٤): أحدهما لله، والآخر للدنيا، فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا، فإن الدنيا تنفد، والآخرة تبقى، وكن من خشية الله على وجل، وأخف الفساق، واجعلهم يدا يدا، ورجلا رجلا، وإذا كانت بين القبائل نائرة، وتداعوا: يا لفلان، فإنما تلك نجوى الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيثوا إلى أمر الله، وتكون دعواهم إلى الله، وإلى الإسلام، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تداعوا يا لضبة، وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيرا قط، ولا منع بها من سوء قط، فإذا جاءك كتابي هذا فأنهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا، والصق بغيلان بن خرشة من بينهم، وعد مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم، وافتح بابك، وباشر أمرهم بنفسك، فإنما أنت امرؤ منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا.

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ١/١٨٥، باختلاف مع مصادره، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٩٢/١٢ أن الكتاب موجه لأبي موسى الأشعري لا لمعاوية.

(٢) مظموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، ٩٢/١٢.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ١/٢٢٢-٢٢٣، باختلاف يسير مع مصادره.

(٤) ساقطة في الأصل والزيادة من الجمهرة.

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك، ولأهل بيتك هيئة في لباسك، ومطعمك، ومركبك، ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة إلا السمن، وإمّا حتفها في السمن.

وأعلم أن للعامل مردا إلى الله، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته، وإن أشقى الناس من شقت به رعيته.

وكتب إلى عمرو بن العاص وهو عامل على مصر^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص، سلام عليك، أما بعد، فقد بلغني أنه قد فشت لك فاشية من خيل، وإبل، وبقر، وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك ولا مال لك فاكتب إلي من أين أصل هذا المال.

ولما كتب إليه عمرو بن العاص يتنصل مما بلغه عنه، كتب إليه ثانيا:

أما بعد فإني و الله ما أنا من أساطيرك التي تسطر، ونسبك [الكلام]^(٢) في غير مرجع، ولا يغني عنك أن تزكي نفسك، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة فشاطره مالك، فإنكم أيها الرهط الأمراء جلستم على عيون المال لم يفزعكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتهمدون لأنفسكم، أما إنكم تجمعون العار، وتورثون النار، والسلام.

خطبه رضي الله عنه

منها خطبته رضي الله عنه لما ولي الخلافة^(٣) سعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال:

يا أيها الناس، إني داع فأمنوا، اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك، بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك، وأهل الدعاة

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢٠١/١-٢٠٢، باختلاف يسير مع مصادره.

(٢) مظموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢١٣/١-٢١٤، باختلاف يسير مع مصادره.

والنفاق، من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداء عليهم، اللهم إني شحيح، فسخني في نوائب المعروف، قصدا من غير سرف، ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة، اللهم ارزقني خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين. اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها، بالنية الحسنة [التي لا تكون إلا]^(١) بعزتك وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى، [وذكر الهدى]^(٢) قام بين يديك، والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك [عني وال]^(٣) محاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات. اللهم [ارز]^(٤) قني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت إنك على كل شيء قدير.

ومن خطبة له رضي الله عنه ^(٥):

أيها الناس: ما الجزع مما لا بد منه، وما الطمع فيما لا يرجى، وما الحيلة فيما سيزول، وإمّا الشيء من أصله، وقد مضت قبلنا أصول، ونحن فروعها فما بقاء الفرع بعد الأصل. إمّا الناس في هذه الدنيا أغراض تنتبل المنايا فيهم وهم نصب المصائب، مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصة، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقل معمر من عمره شيئا إلا بهدم آخر من أجله، وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم، فأين الهرب مما هو كائن، وإمّا ينقلب الهارب في قدرة الطالب، فما أصغر المصيبة اليوم مع عظيم الفائدة غدا، جعلنا الله وإياكم من المتقين.

(١) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.

(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.

(٣) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.

(٤) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.

(٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١٨/١٢، باختلاف يسير.

وكان آخر كلام سيدنا عمر رضي الله عنه الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته قوله رضي

الله عنه :

اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين^(١).

عثمان بن عفان رضي الله عنه :

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص الأموي القرشي، ولد في السنة الخامسة من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وولي الخلافة لما []^(٢) المسلمون بقتل عمر رضي الله عنه ، وذلك بأغلبية الشورى في منسلخ ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، فقام بأعباء الخلافة رضي الله عنه .

وفي آخر مدته انتاب بعض المسلمين ما انتابهم من حب الدنيا، فقام عليه بعض بغاتهم فشقوا العصا، وقتلوه رضي الله عنه يوم الجمعة صبيحة عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وهو ابن أربع وثمانين.

كان رضي الله عنه^(٣) أبيض مشرباً بصفرة كأنها فضة وذهب، حسن القامة، جميل الوجه، رقيق البشرة، وكان حليماً، سخياً، محباً إلى قريش، عفيفاً، كثير الحياء، وفي أيامه جمع القرآن الكريم، وقد تقدم ذلك.

مأثور منثور:

من مأثور منثوره رضي الله عنه -ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن^(٤)- أصلح الأعمال ثلاث: خوف الله تعالى في السر-والعلانية. الحكم بالعدل في حال الرضى والغضب. الاقتصاد في الغنى والفقر^(٥).

(١) العقد الفريد، ٦٦/٤.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) ينظر العقد الفريد، ٢٨٤/٤.

(٤) ينظر زهر الآداب، للحصري، القيرواني، ٧٥/١، والعقد الفريد، ٧/١، والقول فيه منسوب إلى [الحكماء].

(٥) نسب هذا القول إلى الإمام علي ؑ، ينظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ٢٥٧/٢٠.

كتبه رضي الله عنه :

إن أغلب كتبه رضي الله عنه كان يوجه بها إلى الولاة، وأهل الأقاليم ينصحهم، ويهديهم إلى سواء السبيل، ولنقتصر على كتابه رضي الله عنه إلى علي كرم الله وجهه يستنجد به عند قيام الفتنة، وهو^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فقد بلغ السيل الزبي، وجاوز الحزام الطيبين^(٢)، وطمع في من لا يدفع عن نفسه، ولم يغلبك مثل مغلب، فاقبل إلي، علي كنت أم لي:

فإن كنت مأكولا فكن خير أكل وإلا فادركني ولما أمزق^(٣)

خطبه رضي الله عنه :

من خطبه رضي الله عنه ، خطبته حين بويع بالخلافة، وهي:

الحمد لله، أيها الناس: اتقوا الله فإن الدنيا كما أخبر الله عنها، لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر، الآية، فخير العباد فيها من عصم واستعصم بالله، وكتبته، وقد وكلت من أمركم بعظيم، ولا أرجو []^(٤) عليه []^(٥) ولا يوفق للخير إلا هو، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٣٧٦/١، باختلاف يسير، مع مصادره.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الطبي: حلقات الضرع، قال في اللسان: وفي حديث عثمان: قد بلغ السيل الزبي، وجاوز الحزام الطيبين كناية عن المبالغة في تجاوز حد الشر والأذى، لأن الحزام إذا انتهى الطيبين فقد انتهى إلى أبعد غاياته، فكيف إذا جاوز، أه"، ينظر لسان العرب، ٤/١٥.

(٣) البيت للممزق العبد في قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر، ينظر تخريجه في: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ١٤٣.

(٤) كلمتان غير مقروءتين.

(٥) كلمتان غير مقروءتين.

ومن خطبة له رضي الله عنه ^(١):

إن لكل شيء آفة، وإن لكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة، عيابون ظنانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون، طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، أحب مواردهم إليهم النازح.

لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقمتم علي، ولكن وقمكم، وقمعكم، وزجركم زجر النعام المخزمة.

و الله إني لأقرب ناصرا، وأعز نفرا، وأقمن - إن قلت هلم- أن تجاب دعوتي من عمر.

هل تفقدون من حقوقكم شيئا؟ فمالى لا أفعل في الحق ما أشاء، إذن فلم كنت إماما^(٢)؟

علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد بمكة في شعب بني هاشم في السنة الثانية والثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم .

بويع بالخلافة بعدما استشهد سيدنا عثمان رضي الله عنه عنه لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فقام بأعباء الخلافة إلا أن النيران في زمنه رضي الله عنه قد اشتد ضرامها، وامتد لهيبها إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم اللعين غدرا لسبع عشرة مضت من رمضان سنة ٤٠هـ

كان رضي الله عنه آدم شديد الأدمة، أحسن الناس وجها، كثير البشر، لطيف الجانب، بينما كان سهما صائبا في مرامي الله على عدوه، وهو باب العلم، وحكيم الإسلام، وفيلسوف الأمة، وربانيها.

(١) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٢٧٣/١-٢٧٤، باختلاف مع مصادره.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الطغام: أراذل الناس، وأوغادهم، والنازح من نزح، والبئر النازح التي نغد مأوها، ووقم: جذبك العنان، ووقم الرجل رده".

قد نسب إلى الإمام علي رضي الله عنه كثير من الحكم، والأمثال، والخطب، والرسائل، وأول^(١) من جمع تلك الحكم رشيد الدين أبو إسحاق إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط المتوفى سنة ٥٧٣هـ^(٢)، وسمّاها (مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب^(٣))، طبع في ليبسك سنة ١٨٣٧م، وفي بولاق سنة ١٢٥٥هـ مع شرح عليه، إلا أنه يغلب على الظن أن نسبة الحكم بعينها إليه رضي الله عنه لم تكن حقيقة، إذ لم يراع فيها التواتر الذي هو من شروط الرواية، وإن كانت حكمه رضي الله عنه أكثر من أن تحصى وتحصر.

وينسب له أيضا ما هو مجموع في كتاب (نهج البلاغة) الذي جمعه السيد الشريف المرتضى علي بن الطاهر الحسيني المتوفى سنة ٤٣٦هـ ببغداد، وقيل بل هو من جمع أخيه الشريف الرضي^(٤)، وقيل: إنه ليس من كلام علي رضي الله عنه، ففي كشف الظنون^(٥): قال الذهبي في ميزان الاعتدال: ومن طالع كتاب نهج البلاغة يجد أنه

-
- (١) في كلام المؤلف -رحمه الله- شيء من التجوز، وإلا فهناك من سبق الوطواط إلى هذا الجمع، الوطواط نفسه يقوم بشرح ما جمعه الجاحظ -مثلا- المتقدم عليه كما سيأتي.
- (٢) الوطواط: أديب، كاتب، شاعر، من أعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب، كان يتقن الفارسية إتقانه العربية، وينظم بها الشعر الجيد، كان كاتباً للسلطان خوارزم شاه الهندي، ينظر معجم الأدباء، ياقوت، ٢٩/١٩-٣٠، ومصادر نهج البلاغة، السيد عبد الزهراء الخطيب، ٧٢/١-٧٣.
- (٣) هذا الكتاب شرح للمائة المختارة التي جمعها الجاحظ من كلام علي بن أبي طالب ﷺ، نظم الوطواط هذا الشرح بالفارسية، وبين يدي نسخة منه طبعت في إيران، طهران، مع شرحين آخرين بالعربية للمائة كلمة للشيخ ميثم البحراني، والشيخ عبد الوهاب، وينظر حديث السيد عبد الزهراء الخطيب المفصل عن المائة كلمة المنسوبة للجاحظ في كتابه: مصادر نهج البلاغة، وأسانيده، ٦٠/١، وما بعدها.
- (٤) قدم السيد عبد الزهراء الخطيب أدلة كثيرة على أن الذي قام بالجمع هو الرضي، وليس المرتضى، واستقى هذه الأدلة من كتب الرضي نفسه الذي يشير فيها إلى صنيعه في ذلك الجمع، كما عاد إلى مصادر أخرى كثيرة، ينظر مصادر نهج البلاغة، وأسانيده، ١٠٠/١ وما بعدها.
- (٥) ينظر كشف الظنون، ١٩٩١/٢-١٩٩٢، وميزان الاعتدال ١٢٤/٣، في ترجمة المرتضى.

مكذوب على أمير المؤمنين رضي الله عنه ، فإن فيه السب الصريح، والخط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. أه أقول: وهذا لا يمنع أن يكون كله، أو جله من كلامه رضي الله عنه . وقد اعتنى كثير من العلماء بشرح هذا الكتاب^(١) لما فيه من الأدب والبلاغة، وأكبر شروحه، شرح عز الدين عبد الحميد هبة الله المدائني [الكاتب، الشاعر الشيعي، المتوفى سنة ٦٥٥هـ، وهو في عشرين مجلدا]^(٢)، وقد طبع [نهج البلاغة] في بيروت سنة ١٨٨٥م، مع شروح لحل غريبه لشيخنا العلامة الشيخ محمد عبده، مفتي الديار المصرية الآن (راجع كتاب كشف الظنون).

وإليك بعض حكمه رضي الله عنه ^(٣): قيمة كل امرئ ما يحسن -الناس من خوف الذل في الذل- الناس أعداء لما جهلوا - قلوب الجهال تستفزها الأطماع، وترتهن بالأمان، وتتعلق بالخدائع -أكبر الفخر أن لا تفخر- يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، وتكلف حمل مالا يطاق اتكالا على القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر- ذو الهمة وإن حط نفسه يأبى إلا علوا كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأتي إلا ارتفاعا- الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل كلما زاد ربا ازداد مرارة- لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم- الجزع [^(٤) من الصبر - كثرة الوفاق نفاق- أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع.

(١) أحصى السيد عبد الزهراء الخطيب واحدا ومائة شرح لنهج البلاغة، قديما وحديثا، وبلغات مختلفة مثل العربية، والفارسية، والأوردية، وغيرها، ولعله لم يستقص شروحه كلها. ينظر مصادر نهج البلاغة، ٢٠٢/١-٢٥٤، وينظر كذلك كتاب: شروح نهج البلاغة، للشيخ حسين جمعة العاملي، ففيه بسط لشروح نهج البلاغة، وتفصيل لها.

(٢) ما بين القوسين منقول من كشف الظنون، ومعلوم أن ابن أبي الحديد "كان فقيها أصوليا... اصطنع مذهب الاعتزال؛ ويعرض آراء الشيعة عرضا محايدا، مما يوحي بأنه لا يقول بقولهم، ومن المفيد أن تشير هنا إلى أن شرح ابن أبي الحديد طبع في طهران على الحجر سنة ١٢٧١هـ، وأعاد تحقيقه، وطبعه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، وصدرت هذه الطبعة بعشرين جزءا.

(٣) ترد أغلب هذه الحكم في آخر نهج البلاغة في [باب المختار من حكم أمير المؤمنين...]. ينظر ٣/٤ وما بعدها.

(٤) كلمة غير مقروءة.

كتبه رضي الله عنه :

من كتاب له رضي الله عنه إلى بعض عماله^(١) :

أما بعد: فإنك ممن أستظهر به على الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأسد به لهأة الثغر المخوف، فاستعن بالله على ما أهمك، أخلط [الشدة]^(٢) بضغت من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة، واخفض للرعية جناحك وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك، والسلام.

وكتب رضي الله عنه إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة^(٣) :

أما بعد: فإن المرء يسر بدرك ما لم يكن ليحرمه، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدمت من أجر، أو منطق، وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك، وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزعا، وما نلتها فلا تنعم به فرحا، وليكن همك لما بعد الموت.

وكتب رضي الله عنه إلى أمرائه على الجيوش^(٤) :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح^(٥)، أما بعد: فإن حقا على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله، ولا طول خص به، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عبادته، وعطفا على إخوانه. ألا وإن لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقا عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا

(١) نهج البلاغة، ٧٦-٧٥/٢، باختلاف يسير.

(٢) مظموسة في الأصل والزيادة من نهج البلاغة.

(٣) نهج البلاغة، ٢٠/٣، باختلاف.

(٤) المصدر السابق، ٨٠-٧٩/٢، باختلاف يسير.

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "في صحيفة ١٢٤، جمع مسلحة أي الثغور لأنها مواضع السلاح". ويريد بالصحيفة من كتاب نهج البلاغة بشرح الإمام محمد عبده.

عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجب لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة، وأن لا تنكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق فإن أنتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن أحد أهون علي ممن اعوج، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا من أمرائكم وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم.

خطبه رضي الله عنه :

من خطبة له رضي الله عنه قوله^(١):

أما بعد: فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أشرفت باطلاع، ألا وإن اليوم المضمار، وغدا السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه؟ ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل في أيام أملة قبل حضور أجله نفعه عمله، ولم يضره أجله، ومن قصر في أيام أملة قبل حضور أجله نفعه عمله، وضره أجله. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها^(٢)، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودلتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل.

تزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا.

ومن خطبة له رضي الله عنه^(٣):

أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس كيت، وكيت، فإذا جاء القتال قلتم

(١) نهج البلاغة، ٧٢-٧١/١، باختلاف يسير.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "السبقة: الجعل الذي يأخذه السابق".

(٣) نهج البلاغة، ٧٥-٧٣/١، باختلاف يسير.

حيدى حياء، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأزاليل، دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد. أي دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور و الله من غررتموه، ومن فاز بكم، فقد فاز و الله بالسهم الأخيـب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أصبحت و الله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم ولا أوعـد العدو بكم. ما بالكم؟ [ما دواؤكم]^(١)؟ ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم. أقولا بغير عمل، وغفلة من غير ورع. وطمعا في غير حق^(٢).

هذا []^(٣) على هذا المنثور تجد موضوعاتها ليس إلا الحث على اتباع الدين، والتمسك بالقرآن الكريم، واجتناب دواعي الهوى، والابتعاد عن زخرف الدنيا، وزينتها خوفا من استرسال الأطماع، وتوجه الأنظار إلى خيرات الأقاليم التي فتحت في ذلك العهد فتوحا لم يعهد مثله في تواريخ الأمم، فلا تجد رسالة أو خطبة وقتئذ إلا وتمثل صدق القرآن الكريم، وتحث على الفضيلة بما أشرب في قلوب القوم من حب الدين، والميل إلى اتباعه، فكانت الحياة العقلية متجهة إلى إقامة دعائمه، وتأسيس أصوله، كل أولئك مصوغ في عبارات أتت الفاظها بإزاء معانيها، بعيدة عن الأسجاع، وعن الصناعات الكلامية المتكلفة.

(١) مطموسة في الأصل، والزيادة من النهج.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، وهذا نصه: "قوله: يوهي الصم الصلاب، وهي وتخرق وانشق، وأوهاه شقه، وقوله: حيدى حياء: كلمة يقولها الهارب بمعنى المجانبة والابتعاد من الميدان، بمعنى الميل، أي تنحي عنا أيتها الحرب، وقوله: الدين المطول: وصف من المطلق في الدين، أي تأخير أدائه بلا عذر، وقوله: بأفوق ناصل: الأفوق من السهام المكسور الفوق، والفوق: موضع الوتر من السهم، والناصل: العاري عن النصل. أي من رمى بهم رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى، وإن رمى به لم يصب مقتلا، إذ لا نصل له هو من شرحه"، يريد شرح الإمام عبده.

(٣) كلمة مطموسة.

لم يزل الشعر في عصر ابتداء الإسلام على ما كان عليه في عصر الجاهلية لفظاً، وموضوعاً، ولو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقول الشعر، وكذلك الخلفاء الراشدون ممثلاً به^(١)، إلا أن ذلك لم يكن ليوقف من سير الخيال الشعري في القوم، ولم يغير من موضوعاته لاستحكام الملكة الشعرية فيهم^(٢)، وشدة ميلهم إليه حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الشعر، ويمدح به فيثيب عليه، ويقول: هذا ديوان العرب^(٣)، وقال: إن من الشعر لحكمة^(٤). وكان الشعر أعظم جند يجنده على المشركين، فقد قال لحسان: شن الغارات على بني عبد مناف، فولته لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام^(٥).

ولم يكد عمر رضي الله عنه يعرض له أمر إلا أنشد فيه شعراً^(٦)، وقال: ارووا من الشعر أعفاه، ومن الحديث أحسنه^(٧)، وقال: أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته، يستعطف بها قلب الكريم، ويستميل بها قلب اللئيم^(٨). وقالت عائشة رضي

-
- (١) أورد ابن رشيقي في العمدة، ٩٣/١، وما بعدها نماذج من أشعار الخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم، ومعلوم أن للإمام علي كرم الله وجهه ديواناً طبع غير مرة.
- (٢) نحن نعلم أن تغيراً لا يستهان به دخل على الموضوعات الشعرية في العصر الإسلامي، إذ استحدثت موضوعات جديدة، وأخذ على يد أخرى قديمة وهذب القول في أنواع ثلاثة، ولم يكن الدين الجديد ليوقف مكتوف الأيدي أمام الشعر، هذه الأداة الخطيرة في نشر الدعوة، والذب عنها، وكان من الضروري أن يقول كلمته فيه، وقد فعل.
- (٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، ١٤٦/١، ويعلق المحقق بقوله: المعروف أنه من كلام ابن عباس، أي الشعر ديوان العرب.
- (٤) ينظر جمهرة أشعار العرب، ١٤٦/١، والعقد الفريد، ٢٧٤/٥.
- (٥) ينظر العقد الفريد، ٢٧٧/٥، والأغاني، ١٤٣/٤، وفيه: من وقع النبل، وكتب المؤلف هامشاً هنا هذا نصه: "الغبش شدة الظلمة".
- (٦) ينظر بهجة المجالس، للقرطبي، ٣٧/١.
- (٧) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٥٨/١.
- (٨) ينظر العقد الفريد، ٢٧٤/٥، ومحاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، ٨٠/١.

الله عنها: روي أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم^(١)، وقد سمعها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تنشد قول زهير بن جناب:

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه يوما فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك فإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزي

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق يا عائشة، لا يشكر الله من لا يشكر الناس^(٢). وقال المفضل: لم يبق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد قال الشعر، وتمثل به^(٣). وقال أنس بن مالك خادمه صلى الله عليه وسلم: قدم علينا رسول الله، وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر. فقليل له: وأنت يا أبا حمزة؟ فقال: وأنا^(٤).

وشعراء هذا العصر قسمان: قوم أدركوا الجاهلية والإسلام، ويسمون مخضرمين، وقوم كانوا في عصر- الإسلام فقط، ويسمون إسلاميين. والخضرمية^(٥) في الأصل قطع إحدى الأذنين، وهي سمة في الجاهلية يسمون بها بها الإبل، فلما جاء الإسلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين منهم أن يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم منه أهل الجاهلية، فقليل لكل من أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم لأنه أدرك الخضرتين، واشترط الكثير من المخضرم الإسلام، ولست أرى داعيا إلى ذلك، والأولى أن تفسر الخضرمية بالخلط، كما فسرها ابن خالويه إذ قال: خضرم: خلط، ومنه المخضرم الذي أدرك الجاهلية، والإسلام. أهـ وهأننا مثبت لك تراجم أشهر شعراء الطبقتين، غير ناظر إلى هذا التقسيم، مرتبا لهم حسب شهرتهم، فأقول:

(١) ينظر العقد الفريد، ٢٧٤/٥.

(٢) ينظر المصدر السابق، ٢٧٥/٥.

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٦٢/١.

(٤) ينظر العقد الفريد، ٢٨٣/٥.

(٥) ينقل المؤلف حديثه عن المخضرم من مصادر مختلفة، ينظر العمدة، لابن رشيق، ٢٣٤/١-٢٣٥، ولسان العرب، ١٨٥/١٢، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٢٦٨/١-٢٦٩.

١. حسان بن ثابت:

هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، من أهل يثرب. شاعر من فحول الشعراء المخضرمين. كان أديباً عفيفاً، كثير الأخبار والنوادر، وكان في صباه يختلف على ملوك غسان، وملوك الحيرة، فلما سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة، وأسلم، وصار من خواص شعرائه المقربين لديه الذين هجوا أعداءه صلى الله عليه وسلم.

وعمر حسان طويلاً، وكف بصره في أواخر أيامه، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ^(١)، وقد أربى على المائة. وأجمعت العرب أنه أشعر أهل المدر^(٢)، وقد فضل الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام^(٣). وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله، ويقول: و الله لو وضعته على شعر لحلقه، أو على صخر لفلقه^(٤). وشعره على بساطته جامع للمعاني الغزيرة، وله ديوان طبع في مدينة بمباي^(٥)، وفي مدينة تونس ١٢٨١هـ^(٦). ومن أحسن شعره قوله^(٧):

وإن أماً رأيت يمي— ويصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد

-
- (١) نجد اختلافاً كبيراً في السنة التي توفي فيها حسان، فهي أربعون، أو خمسون، أو أربعة وخمسون كما ذكر المؤلف، ينظر عن هذا الموضوع: حسان بن ثابت، د. إحسان النص، ص ٩٦.
- (٢) ينظر الأغاني، ١٣٦/٤.
- (٣) المصدر السابق، ١٣٦/٤.
- (٤) ينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٣٠٥/١، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٢٢٨/١.
- (٥) يشير المؤلف إلى طبعة بومباي، سنة ١٢٨١هـ، بالمطبعة الحميدية على الحجر، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١٥٤/١، وتاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٣٣٠/١، ومقدمة تحقيق ديوان حسان: ص ٥٥.
- (٦) يشير المؤلف إلى طبعة تونس بمطبعة الدولة التونسية، ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٣٣٠/١، ومقدمة تحقيق ديوان حسان، ص ٥٤.
- (٧) ديوانه، ص ٣٥٢، وفيه: [إن] بدل [وإن]، و [أسمى وأصبح] بدل [يمي ويصبح].

ومن قصيدة له يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ^(١):

نبي أتاناً بعد يأس وفرة
فأمس سراجاً مستنيراً وهادياً
وأُنذرنا ناراً، وبشر—جنة
ومنها ^(٢):

أغر عليه للنبوّة خاتم
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
وشق له من اسمه ليجلّه
من الله من نور يلوح ويشهد
إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد
فدو العرش محمود، وهذا محمد

ومن قصيدة له يمدح بها جيلة بن الأيهم، آخر ملوك غسان ^(٣):

لله در عصاة نـادمتهم
يمشون في الحلل المضاعف نسجها
يسقون من ورد البريص عليهم
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
ومنها يفتخر بقومه ^(٤):

ولقد تقلدنا العشيرة أمرها
وتزور أبواب الملوك ركبنا
ونحاول الأمر المهم خطابه
ونسود يوم النائبات ونعتلي
ومتى نحكم في البرية نعدل
فيهم، ونفصل كل أمر معضل

(١) ديوانه، ص ٣٣٨-٣٩، وفيه [فترة] بدل [فترة].

(٢) ديوانه، ص ٣٣٨، البيت الثالث وحده في المتن، والبيتان الأول والثاني في الهامش في رواية أخرى، وفيها: [من الله مشهود يلوح ويشهد] بدل [من الله من نور يلوح ويشهد].

(٣) ديوانه، ص ١٢٢-١٢٣، والبيت الثاني في الهامش.

(٤) ديوانه، ص ١٢٥، وفيه [تعممني] بدل [تقلدنا]، و[فنتطبق أمر المعضلات] بدل [ونسود يوم النائبات]، و[العشيرة] بدل [البرية].

وله إحدى المذہبات، وقد ذكرها أبو زيد في جمهرة أشعار العرب^(١). منها يفتخر بنفسه:

وإن لمزج للمطبي على الوجي وإني لـتراك لما لم أعـود
وإني لقوال لدى البيت: مرحبا وأهلا إذا ما ريع من كل مرصد
وإني ليدعوني الندي فأجيبه وأضرب بيض العارض المتوقد

٢. كعب بن زهير:

هو ابن زهير بن أبي سلمى المزني، من أهل نجد، ومن فحول الشعراء المخضرمين، ورث ملكة الشعر

عن أبيه زهير. قال خلف الأحمر: لولا قصائد زهير ما فضلت على ابنه كعب^(٢). أه.

وكان زهير إذا أنشد شعرا قال لنفسه: أحسنت، وجاوزت غاية الإحسان. ومات في أول خلافة عثمان

بن عفان رضي الله عنه .

وكان من بعض أمره^(٣) أن بجيرا أخاه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم فسمع بإسلامه

كعب، فقال في ذلك أبياتا غضب لها النبي صلى الله عليه وسلم ، فأهدر دمه لا سيما أنه كان يؤذي المسلمين

بالتشبيب بنسائهم، فكتب إليه أخوه بجير بذلك، وأمره أن يقبل على النبي معذرا، فلما أتى المدينة دخل

المسجد، وتخطى حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له: يا رسول الله، الأمان، قال:

ومن أنت؟ قال: كعب بن زهير، فأمنه، فقام كعب، وأنشده قصيدته اللامية المشهورة التي أولها^(٤):

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول متميم إثرها لم يفد مكبول

(١) تنظر جمهرة أشعار العرب، ٦٢٣/٢-٦٢٤، وديوانه، ص ١٣، وفيه: [وإني لـتراك لما لم أعـود] بدل صدر البيت الأول، و[لذي البث] بدل [لدى البيت]، و[إذا ما جاء من غير مرصد] بدل [إذا ما ريع من كل مرصد].

(٢) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ١٥٣/٩.

(٣) ينظر الأغاني، ٨٦/١٧، وما بعدها.

(٤) ديوانه، ص ٩، وما بعدها.

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وما زال ينشد منها حتى بلغ إلى قوله:

أنبئت أن رسول الله أوعدني	والعفو عند رسول الله مأمول
وقد أتيت رسول الله معتذرا	والعفو عند رسول الله مقبول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال	قرآن فيها مواعيط وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم	أذنب، وإن كثرت في الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به	مهند من سيوف الله مسلول
في عصابة من قريش قال قائلهم	ببطن مكة لما أسلموا زولوا
شم العرانيين، أبطل، لبوسهم	من نسج داود في الهيجا سراويل

وهي طويلة في سبعة وخمسين بيتا، فلما فرغ منها، ألقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بردة

كانت عليه، فاشتراها معاوية في خلافته من آل كعب بأربعين ألف درهم، ثم توارثها الخلفاء الأمويون^(١)،

والعباسيون حتى أخذها التتر^(٢). ومما يستجاد لكعب بن زهير

(١) ينقل المؤلف حديث البردة من خزانة الأدب للبغدادى، ١٥٥/٩، وفيها أن البردة قد بيعت بأربعين ألف درهم في أيام المنصور، ويضيف قائلا: "... وبقيت في خزائن بني العباس إلى أن وصل المغول وجرى ما جرى. و الله أعلم بحقيقة الحال".

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "قد اعتنى بشرح هذه القصيدة أجلة العلماء منها شرح أبي العباس الأحول، وشرح أبي عبد الله نفطويه النحوي، وشرح أبي بكر بن الأنباري، وشرح الجلي البغدادي، وشرح ابن هشام وهما أجل الشروح، وهذا الأخير أوعى للمسائل النحوية، وتفسير الألفاظ اللغوية. أه من خزانة الأدب، للبغدادي. ويستفاد منه أن لكعب ديوانا إذ قال عند الكلام على الشاهد الرابع بعد السبعمئة: والذي يحضرني من شروحا الآن شرح أبي العباس الأحول، مع شرح جميع ديوانه، وهو عندي بخطه إلى آخره. أه وطبعت القصيدة بمصر مع شرح ابن هشام، وحاشية الشيخ إبراهيم الباجوري عليه، ولها شرح لأحمد بن محمد الأنصاري اليمني المعروف بالشرواني سماه الجوهر الوقاد، وطبع في كلكتا سنة ١٢٣١هـ". ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ١٤٦/٩، ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن هذا الكلام أوردته البغدادي عند حديثه عن الشاهد الرابع عشر- بعد السبعمئة، وليس الرابع بعد السبعمئة كما ذكر المؤلف.

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
يسعى الفتى لأمر ليس يدركها
والمرء ما عاش ممدود له أمل
ويستجاد له أيضا قوله^(٢):

مقاللة السوء إلى أهلها
ومن دعا الناس إلى ذمه
أسرع من منحدر سائل
ذموه بالحق وبالباطل

ودخل النابغة الذبياني يوما على النعمان بن المنذر^(٣)، فقال:

تخف الأرض إن تفقدك يوما
وتبقى ما بقيت بها ثقيلًا

ف نظر إليه النعمان نظر غضبان، وكان كعب بن زهير حاضرا، وكان صغيرا فقال أصح الله الملك، إن مع هذا بيتا ضل عنه، وهو:

لأنك موضع القسطاس منها
فتمنح جانبيها أن تميلًا

فضحك النعمان، وأمر لهما بجائزتين.

٣. عبد الله بن رواحة:

هو أبو عمرو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، من أهل يثرب. من الشعراء المخضرمين المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد أغلب المشاهد ومات شهيدا في غزوة مؤتة ببلاد الشام سنة ثمان من الهجرة.

(١) ديوانه، ص ٢٢٩.

(٢) لم يرد البيتان في الديوان، ويذكر الأستاذ عبد السلام هارون أنهما نسا في الأغاني، ١٠/١٢، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ، ٣٦٠، ورسائل الجاحظ، ٣٥٥/١ إلى العتاني، ووردت في الحيوان ١٥/١، وجمع الجواهر، ٤، بدون نسبة، ونسبت إلى محمد بن حازم الباهلي في زهر الآداب، ص ٤٩٧، ينظر خزائن الأدب للبغدادي، ١٥٤/٩، هامش رقم (١) وهما منسوبان في الخزائن لكعب.

(٣) ينظر الخبر في المزهري، للسيوطي، ٤٩٣/٢-٤٩٤.

وله مذهب ذكرها أبو زيد في كتابه جمهرة أشعار العرب^(١) وأولها:

تذكر بعد ما شطت نجودا وكانت تيمت قلبي وليدا
ومنها يفتخر بقومه:

متى ما تأت يثرب أو تردها تجدنا نحن أكرمها جدودا
وأغظها على الأعداء ركننا وألينها لباغي الخير عودا
وأخطبها إذا اجتمعوا لأمـر وأصدقها، وأوفاهـا عهدودا
إذا ندعى لثـار أو لـجار فنحن الأكثرون بها عديدا^(٢)

وهي ثلاثة وعشرون بيتا^(٣)، كلها فخر بقومه.

٤. النمر بن تولب العكلي:

هو ابن زهير بن قيس^(٤)، من أهل نجد، شاعر مخضرم. كان جوادا فارسا فصيح القول. وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجودة شعره، وحسنه^(٥)، ولم يمدح أحدا، ولا هجاه، وقال حماد الراوية: كان النمر بن تولب كثير البيت السائر، والبيت المتمثل به^(٦)، وعاش طويلا، ومات سنة ٢٥ هـ^(٧).

(١) تنظر جمهرة أشعار العرب، ٦٢٩/٢، وما بعدها.

(٢) في الجمهرة: [لسيب] بدل [لثأر].

(٣) في الجمهرة أربعة وعشرون بيتا، وفي شعره المجموع ستة وعشرون بيتا. ينظر شعره، ص ١١٧-١١٩.

(٤) لم يرد هذا في المصادر، وفي الأغاني، ٢٧٣/٢٢: "هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب"، وفي الجمهرة: "النمر بن تولب بن زهير بن أقيش...". وينظر كذلك خزانة الأدب للبغداد، ٣٢١/١.

(٥) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ١٦٠/١، والأغاني، ٢٧٣/٢٢. وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ١٨٢/١.

(٦) ينظر الأغاني، ٢٨١/٢٢.

(٧) ينظر في تحديد سنة وفاته مقدمة شعره المجموع، ص ١٨، وما بعدها.

ولما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، أنشده^(١) :

يا قوم، إني رجل عندي خبر لله من آياته هذا القمـر
والشمس والشعري وآيات آخر من يتسام للهدى فالخبث شر
إننا أتيناك وقد طال السفر أقود خيلا رجعا فيها ضرر
أطعمها اللحم إذا عز الشجر^(٢)

وتزوج بامرأة تسمى [دعد]، فوقعت من قلبه وشغلته، وهي التي يقول فيها:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فواحننا من ذا يهيم بها بعدي^(٣)

وله القصيدة الميمية التي ذكرها هبة الله بن علي في كتاب مختارات شعراء العرب، وهي التي يقول فيها^(٤):

وإن المنية من يخشها فسوف تصادفه أينما
وإن يتخطاك أسبابها فإن قصارك أن تهرم^(٥)
وأحب جيبك حبا رويدا لئلا يعولك أن تصرما
وأبغض بغضك بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما

(١) شعره، ص ٦٩، باختلاف في ترتيب الأشرطة.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "أي أسقيها اللبن، والعرب تقول: اللبن أحد اللحمين".

(٣) يتنازع نسبة هذا البيت لثلاثة شعراء: النمر، عمر بن أبي ربيعة، نصيب، وهو لنصيب، ذكرت ذلك مصادر كثيرة. ينظر حول النسبة وتأكيدا لنصيب: شرح شواهد المغني للسيوطي، ١٨٢/١-١٨٣، هامش رقم (٤)، وينظر كذلك شعر النمر بن توبل، ص ١٣٣.

(٤) شعره ص ١٠١-١٠٢، وينظر مختارات ابن الشجري، ص ١٦-١٧، وهو الكتاب الذي يحيل المؤلف إليه.

(٥) في المختارات: [تخطاك] بدل [يتخطاك].

وله المجمهرة التي ذكرها أبو زيد في جمهرة أشعار العرب^(١)، وأولها^(٢):

تأبّد من أطلال عمرة مأسل وقد أقفرت منها شراء، فيذبّل^(٣)
وهي التي يقول فيها:

يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف يرى طول السلامة يفعل
دعائي الغواني عمهن وخلتني لي اسم أدعى به وهو أول

ومما يستحسن له في وصف الجود، والحث على المبادأة به، وتعريف حمد العاقبة فيه، قوله^(٤):

عاذل إن يصبح صداي بقفرة بعيدا نآني صاحبي وقريبي
تري أن ما أبقيت لم أك ربه وأن الذي أنفقت كان نصيبي
وذئ إبلى يسعى ويحسبها له أخي نصب في رعيها، ودؤوب^(٥)
غدت، وغدا رب سواه يقودها وبدل أحجارا وحال قليل^(٦)
ومن كلامه يصف النخل^(٧):

ضربن العرق في ينبوع عين طلبن معينه حتى روين^(٨)
بنات الدهر لا يخشين محلا إذا لم تبسق سائمة يقينا
كان فروعهن بكل ريح عذارى بالذوائب ينتضينا^(٩)

(١) تنظر جمهرة أشعار العرب للقرشي، ٥٣١/١، وما بعدها.

(٢) شعره، ص ٨١، وما بعدها.

(٣) في شعره: [جمرة] بدل [عمرة].

(٤) شعره، ص ٣٩.

(٥) شعره، ص ١٣١-١٣٢، باختلاف في ترتيب الأبيات، وألفاظها.

(٦) في شعره: [سقيها] بدل [رعيها].

(٧) في شعره: [سقيها] بدل [يقودها].

(٨) في الشعر يروى الصدر هكذا: [خرقن الأرض عن أمواج بحر].

(٩) في الشعر: [رؤوسهن] بدل [فروعهن]، و[ضرائر] بدل [عذارى].

٥. أبو ذؤيب الهذلي:

هو خويلد بن خالد الهذلي، من أهل الحجاز، شاعر فحل مخضرم، كثير الغريب، متمكن في الشعر، وهو أشعر هذيل.

وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يلحقه إذ كان في مرض موته صلى الله عليه وسلم ورآه مسجى، وصلى عليه، وشهد دفنه صلى الله عليه وسلم، ومات في زمن عثمان رضي الله عنه في طريق مصر سنة ست وعشرين هجرية.

وكان من بعض أمره أن مات له بنون خمسة في عام واحد، أصابهم الطاعون، وكانوا هاجروا إلى مصر، وله فيهم المراثية العينية الشهيرة، التي قيل إنه بها فضل جميع شعراء هذيل، أولها^(١):

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
ومنها:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع^(٢)
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميم لا تنفع
والعين بعدهم كأن جفونها سملت بشوك فهي عور تدمع^(٣)
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضع
حتى كأني للحوادث مروة بصفا المشقر^(٤) كل يوم تقرر^(١)

(١) ينظر شرح أشعار الهذليين، للسكري، ٤/١، وما بعدها، وجمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٦٨٣/٢، وما بعدها.

(٢) في الشرح: [فإذا] بدل [وإذا].

(٣) في الشرح: [فالعين] بدل [والعين].

(٤) في الشرح: [المشقر] بدل [المشقر].

ومنها لله دره:

والنفس راغبـة إذا رغبتهـا وإذا تـرد إلى قليل تقنـع

وهي طويلة في نحو سبعين بيتاً^(٢)، مذكورة كلها في باب المراثي من كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي

زيد.

وكان قبل الإسلام يهوى امرأة كان يرسل إليها خالد بن زهير، فخان فيها، فلما علم أبو ذؤيب بما

فعل خالد صرمها، فأرسلت تترضاه، فلم يفعل وقال فيها^(٣):

تريدين كيما تجمعيـني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
أخالد ما راعيت من ذي قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي
دعاك إليـها مقلتها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد
وكنـت كرقراق السراب إذا بدا لقوم وقد بات المطي بهم يخدي^(٤)
فأليـت لا أنفك أحـذو قصيدة تكون وإياها مثلاً بعدي^(٥)

ومن قصيدته التي وعد بها قوله^(٦):

وما أنفس الفتيان إلا قرائن تبين وبيـقى هامها وقبورها
فنفـسك فاحفظها ولا تفشيـ للعدى من السر ما يطوى عليه ض ما يطوى عليه
وما يحفظ المكتوم من سر أهله ض الأسرار ضاع كبيرها^(٧)
من القوم إلا ذو عفاف يعينه على ذاك منه صدق نفس وخيرها

(١) كتب المؤلف هامشاً هنا، هذا نصه: "المروة واحدة المرو، وهي حجارة بيض براق، وبها سميت المروة بمكة، والصفاء جمع صفاء وهي الحجارة العرض الملمس، والمشقر: حصن بالبحرين، بناه كسرى".

(٢) هي في الجمهرة سبعة وستون بيتاً، وفي الشرح ثلاثة وستون بيتاً.

(٣) ينظر شرح أشعار الهذليين، ٢١٩/١.

(٤) في الأصل: [الشراب] بدل [السراب]، وأثبتنا ما في الشرح لتلاؤمه مع السياق.

(٥) في الشرح: [فأقسمت] بدل [فأليت].

(٦) شرح أشعار الهذليين، ٢١٠/١.

(٧) في الشرح: [أمره] بدل [أهله].

هو أبو الهيثم العباس بن مرداس السلمي، من أهل نجد، وأمه الخنساء الشاعرة على قول بعض النسابين.

كان فارساً صاحب وقائع كثيرة، سيداً من سادات بني سلمة، شاعراً مخضرمًا، شديد العارضة والبيان، أسلم قبل فتح مكة بقليل.

ويغلب على شعره الحماسة، وذكر بلائه الحسن في المواقع، وكان ينزل البادية، ثم قدم دمشق، وابتنى بها داراً، وكانت وفاته سنة ست عشرة للهجرة.

وكان لعباس بن مرداس في الجاهلية صنم يسمى [ضماراً]، فلما علم بالنبي رضي الله عنه وفد مسلماً بعدما أحرق الصنم^(١)، وقال قصيدته المشهورة التي أولها^(٢):

لعمري إني يوم أجعل جاهداً	ضماراً لرب العالمين مشاركا
وتركي رسول الله والأوس حوله	أولئك أنصار له، ما أولئك؟
كتارك سهل الأرض والحزن يبتغي	ليسلك في غيب الأمور المسالك
فأمنت بالله الذي أنا عبده	وخالفت من أمسى يريد الممالك
ومنها يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :	

تلافي عرى الإسلام بعد انفصامها	فأحكمها حتى أقام المناسكا
رأيتك يا خير البرية كلها	توسطت في القرى من المجد مالكا
سبقتهم بالمجد والجود والعللا	وبالغاية القصوى تفوق السناكبا

ومن محاسن شعره قوله من قصيدة يذكر بها يوم حنين، وكان قد شهد، وقاتل فيه^(٣):

دع ما تقدم في عهد الشباب فقد	ولى الشباب وشاب الشيب والزعر ^(٤)
------------------------------	---

(١) ينظر سيرة ابن هشام، ٤٣٧/٢.

(٢) الأغاني، ٣٠٤/١٤، وما بعدها.

(٣) سيرة ابن هشام، ٤٦٧-٤٦٢.

(٤) كتب المؤلف هامشاً هنا هذا نصه: "الزعر في شعر الرأس قلة، ورقة، وتفرق". وفي السيرة: [من] بدل [بفي]، و[وزار] بدل [وشاب].

وأذكر بلاء سليم في مواطنها
قوم هم نصرُوا الرحمن فاتبعوا
الضاربون جيوش الشرك ناحية
ونحن يوم حنين كان مشهدنا
وقد شرعنا بأوطاس أسنتنا
وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
دين الرسول وأمر الناس مشجر
ببطن مكة والأرواح تبتدر^(١)
للدين عزا وعند الله مدخر
لله نصر — من شئنا وننتصر^(٢)

٧. النابغة الجعدي:

هو أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله، وقيل له النابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه. وهو شاعر مجيد مخضرم، وكان في الجاهلية يتذكر دين إبراهيم، ويصوم، ويستغفر، وقال شعرا فيه من دلائل التوحيد، والإقرار بالبعث، والجزاء، والجنة، والنار^(٣). من ذلك قوله^(٤):

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

المـولج اللـيل في النهار وفي اللـيل نهـارا يـفـرج الظلما

الخافض الرافع السماء على الـ أرض ولم يـبن تحتها دـعـما

الخالق البارئ المصـور في الـ أرحام ماء حتى يصير دما

ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنشده قصيدته الشهيرة التي أولها^(٥):

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

ولا تجزعا إن الحياة ذميمة فخفا لروعات الحياة أو قرا

(١) في السيرة: [ضاحية] بدل [ناحية].

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "أوطاس: اسم لموضع"، وفي السيرة: [صبرنا] بدل [شرعنا].

(٣) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ١٧٢/٣.

(٤) شعره، ص ١٣٢-١٣٣.

(٥) شعره، ص ٦٠، وما بعدها.

وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه
فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم ترياً أن السلامة نفعتها
قليل إذا ما الشيء ولى وأدبرا^(١)
تهيج البكاء والندامة ثم لا
تغير شيئاً غير ما كان قدرا
ومنها يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها
وكنيت من النار المخوفة أحذرا^(٢)
ومنها في الفخر:

وإننا لقوم ما نعود خيلنا
إذا ما التقيننا أن تحيد وتنفرا^(٣)
وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا
من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
إلى أن قال:
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وإننا لرجو فوق ذلك مظهرا^(٤)

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة. قال: نعم، إن شاء الله^(٥).

ومنها في الحكم:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدر
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أورد الأمر اصدرا

(١) في شعره: [لمامة] بدل [السلامة].

(٢) غير موجود في شعره، وهو في هامش جمهرة أشعار العرب، ٧٧٤/٢، ينظر هامش رقم (٥) مع مصادره.

(٣) في شعره: [ونحن أناس لا] بدل [وإننا لقوم ما].

(٤) في شعره: [بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا] بدل الصدر.

(٥) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٥٣/١، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٨٩/١، والأعاني، ٨/٥، وخزانة الأدب، للبغدادي،

١٧٠/٣.

وعند إنشاده هذين البيتين، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفيض الله فاك^(١).

وهذه القصيدة طويلة في نحو مائتي بيت، من أحسن ما قيل من الشعر بالفخر بالشجاعة، نقاوة، وحلاوة^(٢). وقد ذكرها أبو زيد في كتابه جمهرة أشعار العرب في باب أصحاب المشروبات^(٣).

وكانت وفاة النابغة الجعدي بأصبهان سنة ٥٨هـ، وقد أربى على المائة، رحمه الله، وفي ذلك يقول^(٤):

أتت مئة لعام ولدت فيه وعشر — بعد ذاك حجتان^(٥)
فقد أبقت خطوب الدهر مني كما أبقت من السيف اليماني^(٦)

٨. الشماخ بن ضرار:

هو معقل بن ضرار الغطفاني، من أهل نجد، شاعر فحل مخضرم، كان شديد متون الشعر^(٧). قال الحطيئة في وصيته: أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان^(٨). وكان أوصف الناس للحمير، والقوس، وأرجزهم على البداة^(٩). لقي النبي صلى الله عليه وسلم ومات في زمن عثمان رضي الله عنه .

(١) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٥٣/١، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٨٩/١، والأغاني، ٨/٥، وخزانة الأدب، للبغدادي، ١٧٠/٣.

(٢) ينقل المؤلف عن خزانة الأدب للبغدادي، ١٧٠/٣، وهي في شعره وجمهرة القرشي ستة وسبعون بيتاً.

(٣) تنظر جمهرة القرشي، ٧٧٣/٢، وما بعدها.

(٤) شعره، ص ١٦١.

(٥) في شعره: [مضت] بدل [أتت].

(٦) في شعره: [صروف] بدل [خطوب].

(٧) هذه عبارة ابن سلام في وصف شعره، ينظر طبقات فحول الشعراء، ١٣٢/١.

(٨) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣١٨/١، والأغاني، ١٦٠/٩، وخزانة الأدب، للبغدادي، ١٩٧/٣.

(٩) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣١٧/١، وخزانة الأدب، للبغدادي، ١٩٧/٣.

وهو الذي مدح عرابة بن أوس الأنصاري بالقصيدة المشهورة التي منها قوله^(١):

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرنين
إذا ما رايعة رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وذلك لأنه صحبه في سفره إلى المدينة، فسأله عرابة عن قصده فقال: أريد أن أمتار لأهلي، فأوقر له عرابة بعيرين كانا معه برا، وتمرا.

وقال في عبد الله بن جعفر رضي الله عنه^(٢):

إنك يا بن جعفر نعم الفتى

ونعم مأوى طارق إذا أتى

وجار ضيف طرق الحي سرى^(٣)

صادف زادا وحديثا ما اشتهى

إن الحديث طرف من القرى

وله إحدى القصائد المشوبات التي أوردها أبو زيد في جمهرة أشعار العرب^(٤)، منها يصف قوسا

بيعت^(٥):

وفي الصدر حزاز من الوجد حامز

كفى، ولها أن يغرق السهم حاجز^(٦)

ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

فلما شراها فاضت العين عبرة

فذاق فأعطته من اللين جانباً

إذا انبض الرامون فيها ترغمت

(١) ديوانه، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) ديوانه، ص ٤٦٤-٤٦٧.

(٣) في الديوان: [ورب] بدل [وجار].

(٤) تنظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٨٢٣/٢، وما بعدها.

(٥) ديوانه، ص ١٩٠-١٩٢.

(٦) في الديوان: [وذاق] بدل [فذاق].

هتوف إذا ما خالط الطبي سهمها وإن ريغ منها أسلمته النواقر^(١)

وهي طويلة في نحو ستين بيتا^(٢).

٩. الحطينة:

هو أبو مليكة جروول بن أوس، أحد فحول الشعراء الجاهليين الإسلاميين، متصرف في فنون الشعر من المديح، والهجاء، والفخر، والنسيب، وكان راوية زهير.

كان سفيها، جشعا، قبيح المنظر، رث الهيئة، وكان إذا غضب على قبيلة انتمى إلى أخرى. ومن قوله: "ويل للشعر من راوية السوء"^(٣)، وقيل له في مرض موته: ألك حاجة؟ قال: لا، ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلا. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأوماً إلى فيه، وقال: هذا اللسان إذا طمع في خير^(٤)، مات سنة ثلاثين للهجرة.

وله ديوان طبع سنة ١٨٩٤م في جريدة الجمعية الألمانية الشرقية^(٥)، وذكر له ابن الشجري في ديوان مختارات شعراء العرب ثلاث عشرة قصيدة مختارة من قصائده^(٦).

(١) في الديوان: [قذوف] بدل [هتوف]. وكتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "شراها أي باعها، وحراز ما يجده في قلبه من الضيق، وحامز: ممض محرق، وقوله: فذاق إلخ معنى ذلك أنه جرب القوس بجرها إليه فلانت قليلا، ولم يغرق السهم، فهي بين اللينة والقاسية، يقال: أغرق النبل وغرقه بلغ به غاية المد في القوس، وقوله: هتوف أي لها صوت، وريع بمعنى أفزع، والنوافز: القوائم، واحدها نافزة".

(٢) هي في الديوان ستة وخمسون بيتا، وفي جمهرة أشعار العرب اثنان وخمسون بيتا.

(٣) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣٢٢/١، والأغاني، ١٩٥/٢، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٤١١/٢.

(٤) ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣٢٤/١، والأغاني، ١٩٧/٢، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٤١٢/٢.

(٥) يشير المؤلف إلى طبعة المستشرق كولديزهر لديوان الحطينة الذي نشره في المجلة التي ذكرها من صفحة ٣٥-١. ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١٦٨/١.

(٦) ينظر مختارات ابن الشجري، ص ٣، وما بعدها.

ومن أخبره أنه التمس ذات يوم إنسانا يهجو فلم يجد، وضاق ذلك عليه، فجعل يقول:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما بسوء فما أدري لمن أنا قائله

وجعل يهدر بهذا البيت في أشدائه، ولا يرى إنسانا إذ اطلع في حوض فرأى وجهه، فقال:

أرى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله^(١)

وقد هجا أباه، وأمه، وعمه، وخاله. ومن كلامه^(٢):

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

وله من قصيدة^(٣):

لعمرك ما رأيت المرء تبقى طريقته وإن طال البقاء

على غير المنون تداولته فأفنته، وليس له فناء^(٤)

إذا ذهب الشباب فبان منه فليس لما مضى منه لقاء

يصب إلى الحياة ويشتهبها وفي طول الحياة له عناء

وله من قصيدة يمدح بها آل شماس^(٥):

يسوسون أحلاما بعيذا أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

(١) ينظر الأغاني، ١٦٣/٢-١٦٤، ففيه الخبر كاملا، وينظر كذلك خزنة الأدب، للبغدادي، ٤٠٩/٢.

(٢) ديوانه، ص ٢٩١، مع مصادره.

(٣) ديوانه، ص ٩١-٩٢.

(٤) في الديوان: [ريب] بدل [غير].

(٥) ديوانه، ص ٦٥.

وكان قد هجا الزبرقان بن بدر بقصيدة منها^(١):

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس^(٢)
دع المكارم لا ترحل لبغيتهما وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

رفع الزبرقان أمره^(٣) إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنشده البيتين، فقال
أمير المؤمنين: لا أرى بأسا، دعاك إلى الراحة، وذكر كثرة نعم الله عليك، فقال: سل الشعراء يا أمير المؤمنين
ليشهدوا، فقال حسان بن ثابت: هو ما هجاه، وإنما سلح عليه، فحبسه عمر رضي الله عنه .

ودخل الحطيئة يوما على عتيبة بن النحاس^(٤)، وكان من وجوه بكر بن وائل، ولم يكن عتيبة يعرفه،
فقال له: أعطني، قال ما أنا على عمل فأعطيك، وما في مالي فضل عن قومي، قال: فلا عليك ثم انصرف. فقال
لعتيبة رجل كان عنده: لقد عرضتنا لشر، قال: ومن هذا؟ قال: الحطيئة. قال ردوه، فردوه. فقال له عتيبة: بئس
ما صنعت، ما استأنست استئناس الجار، ولا سلمت تسليم أهل الإسلام، ولقد كتمتنا نفسك حتى كأنك كنت
معتلا علينا، أجلس، فجلس، قال: إن لك عندنا ما يسرك، فقد عرفنا الذي تمت به، وأنت جار، وأشعر العرب. ثم
قال لغلامه: اذهب معه، فلا يشيرن إلى شيء إلا اشتريته له، ففعل، فقال فيه الحطيئة:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا فسيان لا ذم عليك ولا حمدا
وأنت امرؤ لا الجود منك سجية فتعطي، وقد يعدي على النائل الوجد^(٥)

(١) ديوانه، ص ٥٠-٥١.

(٢) في الديوان: [لا يعدم] بدل [لم يعدم].

(٣) ينظر تفصيل هذا الخبر في الأغاني، ١٧٩/٢، وما بعدها.

(٤) ينظر تفصيل ذلك في الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣٢٤/١-٣٢٥. والأغاني، ١٦٧/٢-١٦٨، وخزانة الأدب البغدادي، ٤١٠/٢-٤١١.

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "قوله: يعدي أي يعين، يقول: قد يعين على الإعطاء اليسار إذا كان الرجل بخيلا".

وله من قصيدة يمدح بغضاً^(١):

وأنت امرؤ من يعطه اليوم نائلاً بكفيك لا يمنعك عن نائل الغد^(٢)
مفيد ومتلاف إذا ما سألته تهلل واهتز اهتزاز المهند^(٣)
متى تأتته تعشوا إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد
ومن كلامه في المدح^(٤):

الحمد لله إني في جوار فتى حامي الحقيقة نفاع وضار
لا يرفع الطرف إلا عند مكرمة من الحياء، ولا يغضي على عار

١٠. الأغلب العجلي:

هو الأغلب بن عمر بن عبيدة بن حارثة العجلي، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام، وأسلم، وقد عمر في

الجاهلية طويلاً.

وهو أرجز الرجاز، وأرصنهم كلاماً، وأوضحهم معاني، وأول من أطال الرجز. وكانت العرب تقول
البيت، والبيتين من الرجز في الحرب، والحداء، والمفاخرة، وما جرى هذا المجرى، فكان الأغلب أول من قصد
الرجز، وأطاله، ثم سلك الناس بعده طريقته^(٥).

وسار الأغلب إلى العراق، واستشهد في وقعة نهاوند سنة ٢١هـ.

ومن رجزه قوله^(٦):

الحلم بعد الحلم قد يثوب وفي الزمان عجب عجيب

(١) ديوانه، ص ٨١-٨٢.

(٢) في الديوان: [تزور امرأ إن يعطك] و[بكفيه لا يمنعك].

(٣) في الديوان: [كسوب] بدل [مفيد].

(٤) ديوانه، ص ٣٢٥.

(٥) ينظر خزنة الأدب، للبغدادي، ٢/٢٣٩.

(٦) ينظر المؤتلف والمختلف، للأمدي، ص ٣٣، وخزنة الأدب، للبغدادي، ٢/٢٣٩، وشعره المجموع في كتاب شعراء أمويون، د. نوري القيسي، ص ١٤٧. وديوان بني بكر في الجاهلية. د. نبوي، ص ٤٥٧، وفيها: [بعد الجهل] بدل [بعد الحلم].

وعبرة لو ينفع التجريب واللب لا يشقى به اللبيب
والمرء محصى سعيه مرقوب يهرم أو تعتاقه شعوب
وقوله^(١):

إن الليالي أسرع في نقضي — أخذن بعضي — وترك بعضي —
حنين ظهري وطوين عرضي أقعدني من بعد طول نهض

١١. الخنساء:

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، من سرة قبائل سليم، قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها، وأسلمت معهم.

وهي شاعرة مجيدة، وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها^(٢). وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بسوق عكاظ فينشدونه، ويفضل من يرى تفضيله، فأنشدته الخنساء في بعض المواسم فأعجب بشعرها، وقال لها: لولا أن هذا الأعمى أنشدني قبلك (يعني الأعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم^(٣). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه شعرها، ويستنشدتها ويقول: هيه يا خناس^(٤). قيل لجرير^(٥): من أشعر الناس؟ قال: أنا، لولا الخنساء. قيل فبم فضلتك؟ قال بقولها:

إن الزمان وما يفنى له عجب أبقي لنا ذنبا واستؤصل الرأس
إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان، ولكن يفسد الناس
وكانت في أوائل أمرها تقول البيتين، والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية، ثم أخوها صخر، فأكثر من الشعر، وأجادت، وأكثر شعرها في رثائهما.

(١) ينظر الأغاني، ٢٨/٢١، وفيه: [طولي] بدل [ظهري] وشعره المجموع، د. نوري القيسي، ص ١٥٩.

(٢) ينظر خزنة الأدب البغدادي، ٤٣٤/١.

(٣) ينظر تفصيل ذلك في الأغاني، ٦/١، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ٢٥٧-٢٥٥/١.

(٤) ينظر خزنة الأدب للبغدادي، ٤٣٤/١.

(٥) ينظر خزنة الأدب للبغدادي، ٤٣٥/١.

ولشعرها ديوان طبع في بيروت باسم [أنيس الجلساء في ديوان الخنساء]^(١). توفيت سنة ٢٦هـ رحمها

الله.

ومن قولها لله درها^(٢):

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا^(٣)
ومن قصائدها في رثاء أخيها معاوية^(٤):

ألا ما لعينك أم مالها لقد أخضل الدمع سربالها
وهي التي تقول فيها:

سأحمل نفسي على آلة فإما عليها وإما لها
تهين النفوس وهون النفو س يوم الكريهة أبقى لها
ومنها:

وقافية مثل حد السنا ن تبقى ويهلك من قالها
تسهلتها ثم ارسلتها ولم يطق الناس إرسالها^(٥)

ومن رثائها في أخيها صخر^(٦):

ألا يا صخر إن أبكيت عيني فقد أضحككتني زمنا طويلا
بكيتك في نساء معولات وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

(١) يشير المؤلف إلى نشرة الآباء اليسوعيين للديوان ببيروت، سنة ١٨٨٨م، وطبع مرة أخرى بعناية الأب لويس شيخو سنة ١٨٩٥م، ينظر مقدمة تحقيق ديوان الخنساء، ص ٣٧.

(٢) ديوانها، ص ٢٧٧.

(٣) في الديوان: [فمن] بدل [ومن]، و[لن يصاب] بدل [لا يصاب].

(٤) ديوانها، ص ٧٨، وما بعدها، ويرجح محقق الديوان إن هذه القصيدة قيلت في رثاء صخر لأسباب أوردتها، ينظر الديوان، ص ١٠٧.

(٥) يروى البيت في الديوان هكذا:

نطقت ابن عمرو فسهلتها ولم ينطق الناس أمثالها

(٦) لم ترد هذه المقطوعة في الديوان.

إذا قبح البكاء على قتيل
وقالت ترثيه^(١):

أعيني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان الجريء الجميل
طويل النجاد، رفيع العما
إذا القوم مدوا بأيديهم
فقال الذي فوق أيديهم
يحملة القوم ما عالهم
وإن ذكر المجد أفيته
ومن قصائدها^(٢) في رثائه أيضا^(٣):

قذى بعينك أم بالعين عوار
وهي التي تقول فيها:

فلإن صخرًا لوالينا وسيدنا
وإن صخرًا لتأتم الهداة به

رأيت بكاء الحسن الجميلا

ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الفتى السيدا^(٤)
د، ساد عشيرته أمردا^(٥)
إلى المجد مد إليه يدا
إلى المجد ثم مضى مصعدا^(٦)
وإن كان أصغرهم مولدا^(٧)
تأزر بالمجد ثم ارتدى^(٨)

أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار^(٩)

وإن صخرًا إذا نشتو لنحار^(١٠)
كأنه علم في رأسه نار^(١١)

(١) ديوانها، ص ١٤٣، وما بعدها.

(٢) في الديوان: [الجميع] بدل [الجميل].

(٣) في الديوان: [رفيع العما، طويل النجاد].

(٤) في الديوان: [انتمى] بدل [مضى].

(٥) في الديوان: [ويحمل للقوم] بدل [يحملة القوم].

(٦) لم يرد في متن الديوان، وأورده المحقق في الهامش، ينظر ص ١٤٧، مع مصادره.

(٧) في الأصل: [قصائده].

(٨) ديوانها، ص ٣٧٨، وما بعدها.

(٩) يرد البيت في الديوان بهذه الرواية:

ما هاج حزنك أم بالعين عوار

(١٠) في الديوان: [لكافينا] بل [لوالينا].

(١١) يرد الصدر في الديوان هكذا: [أغر أبلج تأتم الهداة به].

أم ذرفت أم خلت من أهلها الدار

اللغة العربية

في

عصر الدولة الأموية

كانت اللغة العربية أيام الخلفاء الراشدين ملكة في ألسنة العرب لم يتطرق إليها الفساد في الجملة؛ لعراقة المتكلمين بها في العروبية، وقرب عهد الناشئين فيها من العرب الخلفاء، فلما انقضت تلكم الأيام، وصار الأمر ملكاً بيد بني أمية، وكثر انتشار العرب في الأقاليم التي فتحت على يد المسلمين من قبل، وزاد اختلاطهم بقطانها، وكثر الدخيل من الأعاجم في الإسلام، واختلط لسان أهل المدر والحضر، أخذ اللحن ينتشر في اللغة لأول عهد الدولة وفشا كثيراً في غضون أيامها، واعتبر ذلك بما كتبه معاوية إلى زياد لما أوفد إليه ابنه عبيد الله: إن ابنك كما وصفت، ولكن قوم من لسانه^(١). وقال الحجاج يوماً للشعبي: كم عطاءك في السنة؟ فقال: ألفين قال: ويحك، كم عطاؤك؟ قال: ألفان قال: كيف لحتن أولاً؟ قال: لحن الأمير فلحتن، فلما أعرب أعربت. وقيل لعبد الملك بن مروان: لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين. قال: شيبني ارتقاء المنابر، وتوقع اللحن^(٢). وقال يوماً: أضربنا في الوليد حبناً له فلم نلزمه البادية^(٣)، وكان الوليد لحاناً، من ذلك أن عمر بن عبد العزيز كان جالسا لديه فقال الوليد: يا غلام ادع لي صالح، فقال الغلام: يا صالحا، فقال له الوليد: انقص ألفا، فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا^(٤). وذكر الفخري في كتابه الآداب السلطانية^(٥): أن الوليد دخل عليه يوماً بعض الإعراب فتقرب إليه بقرابة بينه وبينه فقال له الوليد: من ختنك وفتح النون، فظن الإعرابي أنه يسأل عن الختان، فقال: بعض الأطباء. فقال سليمان أخوه: إنما يقول لك أمير المؤمنين من ختنك؟ وضم النون، فقال له الإعرابي: نعم ختني فلان، وذكر قرابته، وعاتبه أبوه عبد الملك على اللحن وقال: إنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم، فدخل بيتاً وأخذ مع جماعة من علماء النحو وأقام مدة

(١) ينظر البيان والتبيين، ١٦٧/٢، وفي العقد الفريد، ٤٧٧/٢ أن "عبيد الله بن زياد كان يرتضخ لكثرة فارسية من قبل زوج أمه شبرويه الأسواري".

(٢) ينظر العقد الفريد، ٤٧٩/٢.

(٣) المصدر السابق، ٤٨٠/٢.

(٤) المصدر السابق، ٤٨٠/٢.

(٥) ينظر الفخري، ص ١٢٧، وينظر كذلك العقد الفريد، ٤٨٠/٢، والكامل في التاريخ، ١٠/٥.

يشتغل، فخرج أجهل مما كان يوم دخوله فلما بلغ ذلك عبد الملك قال: قد اعذر^(١). أهـ

وقد اضطر لذلك ملوك بني أمية منذ أوائل عهدهم أن يحضروا لأولادهم، وأولاد أتباعهم من العلماء من يؤدبهم، ويعود ألستهم التكلم بفصائح اللغات، ويلقنهم مختارات الأشعار، وقد حذا حذوهم أمراء بني أمية، وخاصتها. ومن وقتئذ ابتدأ التعليم، والتأديب. قال معاوية لدغفل بن حنظلة حين ضم إليه يزيد ليعلمه: علمه العربية، والأنساب، والنجوم^(٢). وقال عبد الملك بن مروان لمعلم أولاده: أدبهم برواية شعر الأعشى، فإنه -قاتله الله- ما كان أعذب بحر، وأصلب صخره^(٣).

ولما خشي أهل العلم والقائمون بالأمر أن تفسد اللغة رأساً، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث قام الكثير من فطاحل الأدباء لحفظها، وضبط ألفاظها، ورواية أشعارها وقد شد من عزهم غلبتها على لغات الأقاليم وجعلها اللغة الحاكمة.

وإن ما شجر بين ملوك بني أمية، والخارجين عليهم من الحروب والاختلاف كان سبباً في أن يظهر عدد ليس بالقليل في الخطابة من الفصحاء والمصاقع اللسن، ونبغ في اللغة وأدبها كثير من ملوك تلك الدولة وأمرائها، وشغفوا بها، وأقاموا دعائمها. فقد تعلم يزيد بن معاوية الفصاحة، ونظم الشعر في بادية بني كلب، وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك من أكمل بني أمية أدباً وفصاحة، وأعرفهم باللغة، والنحو والشعر. وكان عبد الملك بن مروان من أفضلهم علماً وحرصاً على الأدب والعلم^(٤). قال الشعبي: ما ذاكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك، فإني ما ذاكرته

(١) ينظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ١١/٥، وفوات الوفيات للكتبي، ٢٥٤/٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٢٥٥.

(٢) ينظر الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤٦٢/٢، وأسد الغابة، لابن الأثير، ١٣٢/٢.

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٢٠٢/١، وحلية المحاضرة، للنحاشي، ٣٧٢/١.

(٤) فصل الدكتور حسين عطوان في كتابه [الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي] الحديث عن ثقافة الخلفاء الأمويين، ودورهم في تقوية دعائم العربية، وساق نصوصاً مهمة قلما تجتمع في كتاب واحد. ينظر عن يزيد بن معاوية. ص ١٥٦، وما بعدها، وعن الوليد بن يزيد، ص ٥٦، وما بعدها، وعن عبد الملك بن مروان، ص ١٧٥، وما بعدها.

حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه^(١)، وذكر المبرد في كتابه الكامل^(٢) أن قول نصيب:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

لم تجد الرواة، ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهبا حسنا، وقد ذكر عبد الملك ذلك لجلسائه فكل

عابه، فقال عبد الملك فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رجل منهم كنت أقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فواحرنا من ذا يهيم بها بعدي

فقال عبد الملك: ما قلت -و الله- أسوأ مما قاله، فقليل له: فكيف كنت قائلا في ذلك يا أمير

المؤمنين؟ قال: كنت أقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقالوا: أنت -و الله- أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين.

وبلغ من حرص الأدباء وقتئذ على اللغة، وضبط ألفاظها ما يستحقون عليه شكر الخلف، يدلك على

ذلك ما ذكره الأنباري في طبقات الأدباء^(٣) أن أبا عمرو بن العلاء قال: كنت هاربا من الحجاج بن يوسف وكان

يشتبه علي فرجة هل هو بالفتح أو بالضم فسمعت قائلا يقول:

رِمْما تجزع النفوس من الأم ر له فرجة كحل العقال

بفتح الفاء من فرجة، ثم قال: إلا أنه قد مات الحجاج، قال أبو عمرو: فما أدري بأيهما كنت أشد فرحا بقوله:

فرجة، أو بقوله: مات الحجاج.

ومما زاد الأدباء من العرب والأعاجم حرصا على اللغة العربية قيامها وقتئذ بما تقتضيه السياسة،

ويطلبه الملك إذ تحولت دواوين الأقاليم إليها.

(١) ينظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٥٢/٤، والبداية والنهاية، لابن كثير، ٦٣/٩، وتاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ٢٤٧.

(٢) ينظر الكامل، ١٨٣/١، وينظر كذلك: الموشح، للمرزباني، ص ٢٩٨، وعيون الأخبار، لابن قتيبة، ١٤٦/٤، والصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص ١١٣.

(٣) ينظر نزهة الألبا في طبقات الأدباء، ص ٣١-٣٢.

قال ابن خلدون في مقدمته^(١): وأما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الإسلام على ما كان عليه من قبل: ديوان العراق بالفارسية، وديوان الشام بالرومية، وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين، ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة، ومن الأمية إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحساب، فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والي الأردن لعهدته أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فأكملة لسنة من يوم ابتدائه، ووقف عليه سرجون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم: اطلبوا العين من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم.

وأما ديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية، ولقن ذلك عن زاذان فروخ كاتب الحجاج قبله، ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الأشعث استخلف الحجاج صالحا هذا مكانه، وأمره أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية ورغم ذلك كتاب الفرس، وكان عبد الحميد بن يحيى يقول: لله در صالح ما أعظم منه على الكتاب. أه.

وقال المقرئ في خطه^(٢): والذي نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين، ونسخها بالعربية وصرف أنتنash عن الديوان، وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص، أه. وضع النحو:

لقد ظهر اللحن في كلام الموالي، والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روي أن رجلا لحن بحضرته، فقال: ارشدوا أخاكم فقد ضل^(٣). وقال أبو بكر رضي الله عنه: لأن أقرأ

(١) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤٤.

(٢) تنظر خطط المقرئ، ٩٨/١.

(٣) ينظر مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، ص ٢٣.

فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن^(١). وكتب كاتب لأبي موسى الأشعري إلى عمر رضي الله عنه فلحن، فكتب عمر لأبي موسى: أن أضرب كاتبك سوطا واحدا^(٢).

وقد خشي رضي الله عنه وقتئذ من انتشار اللحن فأوعز إلى أبي الأسود الدؤلي أن يضع قواعد يعتمد عليها، ويرجع إليها في تصحيح الإعراب. ذكر الأنباري في كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء^(٣) عن أبي الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوجدت في يده رقعة فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام العرب، فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعني الأعاجم فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقي إلي الرقعة، وفيها مكتوب: الكلام كله: اسم، وفعل، حرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما أفاد معنى. وقال لي: انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك، وأعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر، ولا مضمر. وأراد بذلك الاسم المبهم. قال: ثم وضعت بابي العطف، والنعت، ثم بابي التعجب، والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها، ما خلا لكن، فلما عرضتها على علي رضي الله عنه أمرني بضم [لكن] إليها، وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت. أه ومن ثم نعلم أن أول واضع للنحو هو علي رضي الله عنه ، ولأبي الأسود فضل الاتباع في الوضع.

النقط والإعجام:

ويظهر أن تلك القواعد التي وضعت النحو وقتئذ لم تكن لتصد من غلبة اللحن في الإعراب والتصريف، حتى فشا في زمن بني أمية، ولما خيف على القرآن من اللحن اضطر الأمراء والعلماء إلى تعزيز تلك القواعد بعلامات ظاهرة تكتب مع الحروب، لتوضح ما تشابه منها، فاخترعوا النقط والإعجام، وقام بذلك على ما نعهده

(١) ينظر مراتب النحويين، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣.

(٣) ينظر نزهة الألباء، ص ١٨-١٩، باختلاف يسير.

في كتب التاريخ أبو الأسود في زمن زياد، ونصر بن عاصم الليثي في زمن الحجاج. قال الأنباري في كتابه نزهة الألبا^(١): أن أبا الأسود لما رأى اللحن يلحنه بعض الناس في القرآن أتى إلى زياد بن أبيه وقال له: رأيت أن ابدأ بإعراب القرآن فابعث إلي ثلاثين رجلا، فأحضرهم زياد فاختر منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس، فقال له: خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإن فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفل، فإذا اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره.

ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان^(٢): أن ابن أحمد العسكري المتوفى في سنة ٣٨٢هـ قال في كتاب التصحيف إن الناس يقرؤون في مصحف عثمان رضي الله عنه نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك بوضع النقط أفرادا، وأزواجا، وخالف بين أماكنها، فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون إلا منقوطا، وكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام، وكانوا يتبعون النقط والإعجام.

والفرق بين الوضعين على ما يظهر أن أبا الأسود وضع نقطا لتكون علامات للإعراب في أواخر الكلم ليس إلا، وإن نصر بن عاصم وضع نقطا لتمييز الحروف المتشابهة، وشكلا لأوائل الكلمات وأواسطها بطريقة مخالفة لطريقة أبي الأسود. وذكر ابن خلكان^(٣): أنه كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩هـ. ولسنا ندري هل يحيى نقط هذا المصحف بطريقة اخترعها، واتبع في ذلك طريقة شيخه أبي الأسود أو طريقة نصر بن حازم. قال بعض المستعربين من الإفرنج

(١) ينظر نزهة الألباء، ص ٢٠.

(٢) ينظر وفيات الأعيان، ٣٢/٢.

(٣) المصدر السابق، ١٧٥/٦.

في عصرنا هذا^(١)؛ إن العرب اقتبست النقط والإعجام من اللغة السريانية، وإن أسماء الشكل، يعني الحركات في اللغتين واحدة. وكذا في اللغة العبرية، وإن الرواية المتقدمة المنسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي مختلفة. أقول: إن وجود النقط والإعجام في اللغة السريانية لا يقوم دليلاً على اقتباس العرب ذلك منها ما لم يؤيده دليل نقلي من التاريخ، ولم يؤثر عن أحد المؤرخين ما يشير إليه، والحكم باختلاق تلك الرواية تحكم محض، وإنما الذي يتناوله الظن هو جواز أحد الأمرين: الاختراع، أو الاقتباس وإن كان الأول أغلب على الظن لورود الروايات التاريخية نصاً فيه.

التدوين:

كان القوم لهذا العهد أميين لا يعرفون الكتاب، وإنما كانوا يأخذون علومهم ومعارفهم بطريق التواتر الشفهي^(٢)، وعماً قليل اضطروا إلى تقييد ما خشي أهل العلم أن يستغل على أفهام الخلف، أو يضيع من أحكام الشريعة والحديث، وكانوا يقيدون ذلك على ما يظهر في أوراق مرسلة لا يجمعها كتاب خاص، كما فعل أبو الأسود الدؤلي فيما استنبطه من القواعد النحوية، وحملة الحديث، وروحملة الحديث، ورور.

ولهذا يجدر أن نعتبر العصر الأموي عصر ابتداء التدوين، إذ لا مانع من اعتبار التقييد في الأوراق المرسلة تدويناً، وأما تخصيصه بعصر العباسيين على ما اشتهر فإن الغرض منه تدوين العلوم الخاصة في كتب ذات سمات، وتراجم

(١) يناقش المؤلف هنا ما ذهب إليه بعض المستشرقين إلى أن العربية القديمة استندت في أصولها إلى السريانية، أمثال: كوب، وجسنس، ورينان، وغيرهم. وهو لا يرى هذا الرأي، ويرده بما سيأتي. ينظر حول هذا الموضوع دراسة الباحثة سهيلة ياسين عن [أصل الخط العربي، وتطوره] ص ٢٨، وما بعدها، ص ١٥٤، وما بعدها، فقد ناقشت آراء المستشرقين، واستفاضت في عرض هذه القضية من جميع جوانبها.

(٢) لعل في هذا تأييداً لكلام الجاحظ الذي قال: "... وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة، وارتجال، وكأنه إلهام... وكانوا أميين لا يكتبون"، البيان والتبيين، ٢٨/٣، وناقش الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه [مصادر الشعر الجاهلي]، ص ٤١، وما بعدها هذه القضية، وانتهى إلى أن العرب كانوا يعرفون الكتابة قبل الإسلام، وساق شواهد كثيرة لها.

مخصوصة، على أن بعض الروايات التاريخية تعزو لبعض القوم لهذا العهد كتباً خاصة كما سيأتي.
ذكر ابن خلكان^(١) أن ابن شهاب الزهري التابعي المتوفى في سنة خمس وعشرين ومائة كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شيء من
أمر الدنيا، فقالت له امرأته يوماً: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر.
وإليك بعض العلوم التي دونوا فيها خلاف قواعد النحو.
الحديث:

قال القسطلاني شارح البخاري^(٢): لم يزل الحديث النبوي، والإسلام غض طري والدين محكم الأساس قوي، أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة، والتابعين وأتباعهم خلفاً بعد سلف لا يشرف بينهم أحد بعد حفظ التنزيل إلا بقدر ما يحفظه منه، ولا يعظم في النفوس إلا بحسب ما سمع من الحديث منه فتوفرت الرغبات فيه، وانقطعت الهمم على تعلمه، حتى رحلوا المراحل ذوات العدد، وأفنوا الأموال والعدد، وقطعوا الفيافي في طلبه، وجابوا البلاد شرقاً وغرباً بسببه. وكان اعتمادهم أولاً على الحفظ، والضبط في القلوب والخواطر غير ملتفتين إلى ما يكتبونه ولا معولين على ما يسطرونه، وذلك لسرعة حفظهم، وسيلان أذهانهم، فلما انتشر الإسلام، واتسعت الأمصار، وتفرق الصحابة في الأقطار، وكثرت الفتوحات، ومات معظم الصحابة، وتفرق أصحابهم في الأقطار، وكثرت الفتوحات، ومات معظم الصحابة، وتفرق أصحابهم وأتباعهم، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق؛ احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، فمارسوا الدفاتر، وسابروا المحابر، وأجالوا في نظم قلائده أفكارهم، وأنفقوا في تحصيله أعمارهم، واستغرقوا لتقييده ليلهم ونهارهم، فأبرزوا تصانيف كثرت صنوفها، ودونوا دواوين ظهرت شفافها، فاتخذها العاملون قدوة، ونصبها العاملون قبلة، فجزاهم الله سبحانه وتعالى عن سعيهم الحميد أحسن ما جرى به علماء أمة، وأخبار ملة.

(١) ينظر وفیات الأعيان، ١٧٧/٤.
(٢) ينظر إرشاد الساري، للقسطلاني، ٦/١.

وكان أول من أمر بتدوين الحديث وجمعه بالكتابة عمر بن عبد العزيز رحمة الله تعالى عليه خوف اندراسه كما في الموطأ رواية محمد بن الحسن، أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بكر بن محمد بن عمر بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو سنته فاكتهه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء. وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أهل الآفاق انظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه، وقال الهروي: لم تكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث، إنما كانوا يؤدونها حفظاً، ويأخذونها لفظاً. وقال في مقدمة الفتوح^(١): وأول من جمع في ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما، وكانوا يضعون كل باب على حدته إلى أن انتهى الأمر في كبار الطبقة الثالثة.

التاريخ:

ذكر المؤرخون أن معاوية أقدم عبيد بن شربة من صنعاء اليمن إلى دمشق، وأمره أن يكتب له تاريخ ملوك اليمن. وينسب إليه كتاب الملوك والأخبار الماضية^(٢)، وكان كثير التداول، والاستعمال في القرون الأولى للهجرة.

وذكر ابن خلكان^(٣) أن أبا عبد الله بن وهب بن منبه اليماني المتوفى سنة ست عشرة ومائة كانت له معرفة بأخبار الأوائل، وأحوال الأنبياء، وكان يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً، وقد رأى له ابن خلكان تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير، وأخبارهم وقصصهم، وقبورهم، وأشعارهم في مجلد واحد. أهد

الطب:

قال ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء^(٤): إن ماسرجويه السرياني اليهودي المذهب نقل كتاب أهرون من السريانية إلى العربية، وإنه تولى ترجمة ذلك الكتاب في الدولة المروانية.

(١) ينظر مقدمة فتح الباري، ص٤، وفيه: "... على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة، فدونوا الأحكام، فصنف الإمام مالك المقدمة...".

(٢) ينظر المعارف، لابن قتيبة، ص٥٣٤.

(٣) ينظر وفيات الأعيان، ٣٥٦/٣.

(٤) ينظر عيون الأنباء، ١٠٤/٢، باختلاف يسير.

قال ابن خلكان^(١): إن خالد بن يزيد بن معاوية كان من أعلم قريش بفنون العلم، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب. وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما، وله رسائل دالة على معرفة وبراعة، وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له: مريانس الرومي وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس، وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها، وله فيها أشعار كثيرة، ومقاطيع دالة على حسن تصرفه، وسعة علمه.

واستبعد ذلك ابن خلدون^(٢) إذ قال في مقدمته: وربما نسبوا بعض المذاهب، والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ريب مروان بن الحكم، ومن المعلوم البين أن خالدا من الجيل العربي والبدواة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة، فكيف له بصناعة غريبة المنحى، مبنية على معرفة طبائع المركبات، وأمزجتها، وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات، والطب، لم تظهر بعد، ولم تترجم اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر، من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فممكّن. أهـ

ولكن لا داعي إلى استبعاد تلك النسبة إلى ذلك الأمير، لأن قربه إلى البدواة، وبعده عن العلوم والصنائع لا يمنعان من تعلمها على يد الخبيرين بها، مثل معلمه المذكور. والأمراء في كل عصر- شغوفون بمثل تلك الأسرار العلمية الخفية.

الأغاني:

ذكر الأصبهاني في كتابه الأغاني^(٣): أن ليونس الكاتب بن سليمان كتابا في الأغاني وأنه أول من دون الغناء، إذ قال في ترجمته: إن يونس الكاتب بن سليمان ولد بالمدينة، وكان أبوه فقيها، فأسلمه في الديوان بالمدينة، فكان من كتابه وأخذ الغناء عن معبد، وابن سريج وابن محرز، والغريض، وكان أكثر رواية عن معبد، وله غناء حسن

(١) ينظر وفيات الأعيان، ٢٤/٢، باختلاف.

(٢) ينظر مقدمة ابن خلدون، ص ٥٠٥، ويقول دي مييلي في كتابه [العلم عند العرب]، في حديثه عن صلة خالد بالعلوم القديمة: "... وليس ذلك كله إلا أسطورة محض، على الأخص ما ذكره من تبخره في علم الصنعة"، ينظر وفيات الأعيان، ٢٢٤/٢، هامش المحقق.

(٣) ينظر الأغاني، ٣٩٨/٤.

وصنعة كثيرة، وشعر جيد، وكتابه في الأغاني ونسبها إلى من غنى فيها هو الأصل الذي يعمل عليه،

ويرجع إليه، وهو أول من دون الغناء، وتوجه إلى الشام واتصل بالوليد^(١). أهـ

الحياة العقلية والعقائد الدينية:

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون الأحكام الشرعية والعقائد الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم . بما يوحى إليه من القرآن، ويبينه بالقول لا يحتاجون في ذلك إلى نظر. وأخذ التابعون ذلك عن الصحابة بالتواتر، ولما فتحت البلاد، واختلط العرب بأهلها، وأسلم كثير من الأعاجم، واشترأت الأعناق متطلعة إلى خيرات الدنيا، ظهرت البدعة في الاعتقاد بما حمله الداخلون في الدين من أوهامهم التي كانوا عليها قبل الإسلام.

وإليك ما كتبه في هذا المقام أستاذنا الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الآن^(٢)، ضمن مقدمته في رسالة التوحيد^(٣). قال حفظه الله: جاء القرآن فانتهج بالدين منهجا لم يقم عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، منهجا يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه، فترك الاستدلال على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة، وحصر الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو في مثل أقصر سورة منه، وتناول من مقام الألوهية ما أذن الله لنا، أو ما أوجب علينا أن نعلم، لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكاية، ولكنه ادعى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين، ورد عليها بالحجة، وخاطب العقل واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان، وما فيها من الأحكام والإنتقان على أنظار العقول، وطالها بالإمعان فيها ليصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه، ودعا إليه حتى أنه في سياق قصص أحوال السابقين كان يقرر للخلف سنة لا تغير، وقاعدة لا تبدل، فقال: (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله

(١) يريد الوليد بن يزيد، وكان حينذاك أميرا، ينظر الخبر في الأغاني، ٤/٤٠٠-٤٠١.

(٢) توفي الأستاذ الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥م، رحمه الله رحمة واسعة.

(٣) تنظر رسالة التوحيد، ص ٦-٩، باختلاف يسير.

تبديلاً)، وصرح (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، واعتضد بالدليل حتى في باب الأدب فقال: (ادفع بالتّي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)، وتآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة إلا من لا ثقة بعقله، ولا بدينه أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحي به إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالته وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها. كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قد يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل.

جاء القرآن يصف الله بصفات، وإن كانت أقرب إلى التنزيه مما وصف به في مخاطبات الأجيال السابقة، فمن صفات البشر ما يشاركها في الاسم، أو في الجنس كالقدرة والاختيار والسمع والبصر وعزا إليه أموراً يوجد ما يشابهها في الإنسان كالاستواء على العرش، وكالوجه، واليدين، ثم أفاض في القضاء السابق، وفي الاختيار الممنوح للإنسان، وجادل الغالين من أهل المذهبيين، ثم جاء بالوعد والوعيد على الحسنات، والسيئات، ووكل الأمر في الثواب والعقاب إلى مشيئة الله، وأمثال ذلك مما لا حاجة إلى بيانه في هذه المقدمة، فاعتبار حكم العقل مع ورود أمثال هذه المشابهات في النقل فصح مجالا للناظرين خصوصاً، ودعوة الدين إلى الفكر في المخلوقات لم تكف محدودة بحد، ولا مشروطة بشرط للعلم بأن كل نظر صحيح فهو مؤد إلى الاعتقاد بأن الله على ما وصفه بلا غلو في التجريد، ولا دنو من التحديد.

مضى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المرجع في الحيرة، والسراج في ظلمات الشبهة، وقضى الخليفان بعده ما قدر لهما من العمر في مدافعة الأعداء، وجمع كلمة الأولياء، ولم يكن للناس من الفراغ ما يخلون فيه مع عقولهم ليبلوها بالبحث في مباني عقائدهم، وما كان من اختلاف قليل رد إليهما، وقضى الأمر فيه بحكمها بعد استشارة من جاورهما من أهل البصر بالدين إن كانت حاجة إلى الاستشارة. وأغلب الخلاف كان في فروع الأحكام لا في أصول العقائد، ثم كان الناس في الزمنين يفهمون إشارات الكتاب، ونصوصه، يعتقدون بالتنزيه، ويفوضون فيما يوهم التشبيه، ويرون أن لا معنى غير ما يفهمه ظاهر اللفظ.

كان الأمر على ذلك إلى أن حدث ما حدث في عهد الخليفة الثالث، وأفضى- إلى قتله، هوى بتلك الأحداث ركن عظيم من هيكل الخلافة، واصطدم الإسلام وأهله صدمة زحزحتهم عن الطريق التي استقاموا عليها، وبقي القرآن قائماً على صراطه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وفتح للناس باب التعدي الحدود التي حدها الدين، فقد قتل الخليفة بدون حكم شرعي، وأشعر الأمر قلوب العامة أن شهوات تلاعبت بالعقول في أنفس من لم يملك الإيمان قلوبهم، وغلب الظن على كثير من الغالين في دينهم، وتغلب هؤلاء وأولئك على أهل الأصالة منهم ففضيت أمور على غير ما يحبون، وكان من العاملين في تلك الفتنة عبد الله بن سبأ، يهودي أسلم، وغلا في حب علي كرم الله وجهه حتى زعم أن الله حل فيه، وأخذ يدعو إلى أنه الأحق بالخلافة، وطغى على عثمان، فنفاه إلى مصر، فوجد فيها أعواناً على فتنته إلى أن كان ما كان مما ذكرناه، ثم ظهر مذهبهم في عهد علي فنفاه إلى المدائن، وكان من رأيه جرثومة لما حدث من مذاهب الغلاة من بعده.

توالت الأحداث بعد ذلك، ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع ما عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين غير أن بناء الجماعة قد انصدع، وانفصمت عرى الوحدة بينهم، وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة، وأخذ الأحزاب في التأييد، كل ينصر- رأيه على رأي خصمه بالقول والعمل، وكانت نشأة الاختراع في الرواية، والتأويل، وغلا كل قبيل فافترق الناس إلى شيعة، وخوارج، ومعتدلين. وغلا خوارج في عهد مروان الأول فكفروا من عداهم، ثم استمر عنادهم، وطلبهم لحكومة أشبه بالجمهورية، وتكفيرهم لمن خالفهم زمناً طويلاً إلى أن تضعض أمرهم على يد المهلب بن أبي صفرة، فانتشرت فأرثهم في بلاد المغرب فأشعلوا فيها الفتنة، وبقيت منهم بقية إلى اليوم في أطراف أفريقية، وناحية من جزيرة العرب، وغلا بعض الشيعة فرفعوا علياً أو بعض ذريته إلى مقام الألوهية، أو ما يقرب منه، وتبع ذلك خلاف في كثير من العقائد.

غير أن شيئا من ذلك لم يقف في سبيل الدعوة الإسلامية، ولم يحجب ضياء القرآن عن الأطراف المتنائية عن مثار النزاع، وكان الناس يدخلون في دين الله أفواجا: من الفرس، والسوريين، ومن جاورهم، والمصريين، والأفريقيين، ومن يليهم. واستراح جمهور عظيم من العمل في الدفاع عن سلطان الإسلام، وآن لهم أن يشتغلوا في أصول العقائد، والأحكام بما هداهم إليه سير القرآن اشتغالا يحرص فيه على النقل، ولا يهمل فيه اعتبار العقل، ولا يغض فيه من نظر الفكر.

ووجد من أهل الإخلاص من انتدب نفسه للنظر في العلم، والقيام بفريضة التعليم، ومن أشهرهم الحسن البصري فكان له مجلس للتعليم والإفادة في البصرة، يجتمع إليه الطالبون من كل صوب، وتمتحن فيه المسائل من كل نوع.

وكان قد التحف بالإسلام، ولم يتبطنه أناس من كل أمة، دخلوه حاملين لما كان عندهم، راغبين أن يصلوا بينهم، وبين ما وجدوه فتارت الشبهات بعدما هبت على الناس أعاصير الفتق، واعتمد كل ناظر على ما صرح به القرآن من إطلاق العنان للفكر، وشارك الدخلاء من حولهم السبق من العرفاء، وبدأت رؤوس المشاقين تعلو بين المسلمين. وكانت أول مسألة ظهر الخلاف فيها، مسألة الاختيار، واستقلال الإنسان بإرادته، وأفعاله الاختيارية، ومسألة من ارتكب الكبيرة ولم يتب. اختلف فيها واصل بن عطاء مع أستاذه الحسن البصري، واعتزله يعلم أصولا لم يكن أخذها عنه، غير أن كثيرا من السلف، ومنهم الحسن على قول كان على رأي أن العبد مختار في أعماله الصادرة عن علمه وإرادته، وقام ينازع هؤلاء أهل الجبر الذين ذهبوا إلى أن الإنسان في عمله الإرادي كأغصان الشجرة في حركاتها الاضطرابية. كل ذلك وأرباب السلطان من بني مروان لا يحفلون بالأمر، ولا يعنون برد الناس إلى أصل، وجمعهم على أمر يشملهم، ثم يذهب كل إلى ما شاء. ثم لم يقف الخلاف عند المسألتين السابقتين، بل امتد إلى إثبات صفات المعاني للذات الإلهية، أو نفيها عنها، وإلى تقرير سلطة العقل في معرفة جميع الأحكام الدينية حتى ما كان منها فروعاً، وعبادات (غلوا

في تأييد خطة القرآن^(١) أو تخصيص تلك السلطة بالأصول الأولى على ما سبق بيانه، ثم غالى آخرون وهم الأقلون فمحوها بالمرة، وخالفوا في ذلك طريقة الكتاب عنادا للأولين، وكانت الآراء في الخلفاء، والخلافة تسير مع الآراء في العقائد كأنها مبنى من مباني الاعتقاد الإسلامي. أهـ

النثر:

لم تزل اللغة لهذا العهد حافظة نصابها المعلوم، وأسلوبها المعهود، بل أخذت لها صبغة ظهرت بها في أجمل مظاهرها بما تعرف به القوم وقتئذ من الحضارة التي عهدوها بالأقاليم، فازدادت تجارتهم، وكثرت أفكارهم، واتسعت تصوراتهم، وتهيجت قوى تخيلهم. كل أولئك أكسبهم معاني، ونسبا جديدة طلبت العبارة عنها بما يلائمها من الألفاظ، والتراكيب، وساعدهم على صوغها في قالب المناسب قوة اللغة، واتساعها، ومتانة عباراتها.

ظهرت تلك الصبغة الجديدة على الأخص في الخطب، والرسائل . كانت موضوعاتها في الغالب: الوعظ، والنصح، ورد حجاج الأطماع، والدود عن الحقوق، وكبت الخارجين، وتأليف الأحزاب، وتوحيد الكلمة. ولذلك أخذت العبارات أسلوبا حيا مؤثرا مع إحكام صنعة، ورونق ألفاظ، وجودة مقاطع، وبعد عن الأسجاع.

الخطابة:

وكانت قوة الخطابة تابعة لقوة القائمين بها، وغلبتهم على من سواهم. ففي أوائل عهد الدولة ظهرت الخطبة في ملوكها، وولاتها، ونبع منهم خطباء مصاقع، ك معاوية، وعبد الملك بن مروان، وزياد، والحجاج. والداعية إلى ذلك حاجتهم إلى التأثير بالخطابة في أفئدة هؤلاء العرب القويي الجأش الذين اعتادوا حرية الفكر، والقول بما عهدوه في الجاهلية، وعهد صدر الإسلام.

(١) هذان القوسان في الأصل.

والعربي يفعل فيه حر الكلام، لا يفعله حد الحسام. ولما تضعض أمرهم وانتقلت القوة إلى الرعية، قام منهم خطباء ملوكوا بفصاحتهم قلوب الأمة، فخرجوا على الدولة، وقاموا بالدعوة إلى العباسيين.

وهناك أسباب أخرى لارتقاء الخطابة في ذلك العصر، ذكرها صديقنا رفيق بك العظم في كتابه [أشهر مشاهير الإسلام]^(١)، وجعل الفضل في ذلك الارتقاء عائداً إلى الكتاب المبين، والدين الحنيف من وجوه:

١. إن القرآن وإن نزل بلغة القوم التي بها يتخاطبون، وبفصاحتها يتفاخرون، إلا أن أساليبه العالية التي أعجزت فصحاءهم، وأخذت بمجامع قلوبهم، وأكسبتهم ملكة من البلاغة في تخير الأساليب السامية، غيرت ملكاتهم، وأطلقت ألسنتهم من عقال الحوشية، والتتعر الذي كان ديدن كثير من خطبائهم، وفصحائهم، حتى أنهم كانوا يعيرون الخطيب المصقع إذا لم يكن في كلامه شيء من آي القرآن. وروى الجاحظ عن الهيثم أن العرب كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء، والوقار، وحسن الموضع.

٢. إن ما جاء في القرآن من الترغيب، والترهيب على الأسلوب البالغ حد الإيجاز في التأثير في الضمائر، والأخذ بشكائهم النفوس أعانها على التفنن في أساليب الوعظ الخطابي عند حلول الأزمات، أو الحاجة إلى تأليف قلوب الجماعات، حتى لقد كان الخطيب البليغ ليدفع الخطبة الواحدة من الملمات ما لا يدفع بالبليغ المرهفات، ويملك من قلوب الرجال ما لا تملكه البدر، والأموال.

٣. إن الإسلام بما مهد لهم من سبيل الفتح، ومخالطة الأمم، وبما منحهم من سعة السلطان، والسيادة على الشعوب، وفر لهم الأسباب الداعية إلى التوسع في

(١) ينظر أشهر مشاهير الإسلام، رفيق بك العظم، المجلد الأول ص ١١٤-١١٦.

الخطابة، بما تتطلبه حاجة التوسع في الملك، وتقتضيه عادات الأمم المحكومة، وأخلاقها.

هكذا كان شأن الخطابة في صدر الإسلام، ولكن بدأ يعرفوها الوهن، ويخنقها الفساد من أواسط الدولة المروانية، حتى استحکم الفساد باللغة العربية، ودب في نفوس الخلفاء داء العظمة، والكبرياء، فترفعا - بزعمهم- عن الوقوف موقف المخاطب للناس، لا سيما وقد كان الخلفاء في صدر الإسلام يخطبون الناس عند طرود كل حادث جليل بلا تقييد بوقت، ولا تكلف لقول.

ولقد كان أول وهن دخل على سلطان الخطابة في الإسلام في عهد الوليد بن عبد الملك، إذ بدأ بأن يخطب على المنبر جالسا^(١)، وقد كان الخلفاء قبله يخطبون وهم وقوف، ومن ثم دب ديب الاستهانة بهذا الموقف العظيم شأنه، حتى مجه الخلفاء، والأمراء، وانحط عنه القادة، إما عجزا عن الوفاء بحقه، وإما استهانة به، وترفقا. أهـ

ولا يزال الخطباء في هذا العصر يمسكون بيدهم العصا، أو المخصرة كما كان عليه خطباء الجاهلية. قال عبد الملك بن مروان^(٢): لو ألقيت الخيزران من يدي لذهب شطر كلامي.

وإليك تراجم بعض المشهورين من خطباء ذلك العصر، وغاذج خطبهم:

سحبان وائل:

هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، وائل باهلة، خطيب، مفسح، يضرب به المثل في البيان^(٣)، أدرك الإسلام وأسلم، ومات سنة أربع وخمسين. قال

(١) من المفيد أن نورد هنا ما ساقه السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٨ من أن معاوية أول من خطب قاعدا، يقول السيوطي: "... وقال الشعبي: أول من خطب الناس قاعدا معاوية، وذلك حين كثر شحمه، وعظم بطنه. أخرجه ابن أبي شيبة".

(٢) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ١١٩/٣.

(٣) يقول الجاحظ: "سحبان مثل في البيان" ينظر البيان والتبيين، ٦/١، وجاء في المستقصى، للزمخشري، ٢٨/١: "أبلغ مع سحبان وائل: خطب في صلح بين حيين شطر يوم، فما أعاد كلمة".

الأصمعي^(١): كان إذا خطب يسيل عرقا، ولا يعيد كلمة ولا يتوقف، ولا يقعد حتى يفرغ. وقدم على معاوية^(٢) وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فلم يوجد في منزله فافتضب من ناحية اقتضابا، وأدخل عليه، فقال: تكلم. فقال: انظروا إلى عصا تقوم من أودي. قالوا: وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده؟ فضحك معاوية وقال: هاتوا، فجاؤا بها إليه، فركلها برجله، ولم يرضها، وقال: هاتوا عصاي فأخذها، ثم قام، وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر^(٣)، ما تتنحنح، ولا سعل، ولا توقف، ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شيء، فما زالت تلك حاله حتى أشار معاوية إليه، فأشار إليه سحبان أن لا تقطع علي سحبان كلامي. فقال معاوية: الصلاة! قال: هي أمامك، ونحن في صلاة، وتحميد، ووعد ووعد. فقال معاوية: أنت أخطب العرب. فقال سحبان: والعجم والجن والإنس.

ومما روي عنه في بعض خطبه البليغة قوله^(٤): إن الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار. أيها الناس فخذوا من دار ممركم لدار ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها حبيتم، ولغيرها خلقتم. إن الرجل إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم لله، قدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم.

(١) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي ٣٧١/١٠.

(٢) ينظر الخبر في البيان والتبيين، ١٢٠/٣، وزهر الآداب، للحصري القيرواني، ٩٥٤/٤، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٣٧١/١٠-٣٧٢.

(٣) لعل هذه هي الخطبة التي سمها العرب [الشوهاء]، يقول الجاحظ: "... والعرب تذكر من خطب العرب... الشوهاء وهي خطبة سحبان وائل، وقيل لها ذلك من حسنها، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر، ولم يخطب خطيب"، البيان والتبيين، ٣٤٨/١.

(٤) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٤٨٢/٢، مع مصادره، ويقول الأستاذ صفوت: "هو سحبان بن زفر الوائلي، وقد ضرب به المثل في الفصاحة والبيان... ومع ذلك لم يؤثر عنه إلا هذه الخطبة الموجزة، على أنها تعزى إلى الإمام علي..."، وساق بعد هذا مصادر الخطبة، واختلاف النسبة.

معاوية بن أبي سفيان رحمه الله:

بويح له بالخلافة سنة إحدى وأربعين، وتوفي سنة إحدى وستين وله ثمانون سنة، كان من جملة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأول ملوك الدولة الأموية، داهية من دهاة العرب، وإتقان السياسة، والتأني في الأمور، والمداراة للناس على منازلهم. من فقره قوله^(١): المروءة احتمال الجريرة وإصلاح أمر العشيرة، والنبيل الحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة - ما رأيت تبذيرا قط إلا وإلى جنبه حق مضيع- أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه- أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة- إصلاح ما في يدك أسلم من طلب ما في أيدي الناس.

نماذج من خطبه:

(١)

حمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال^(٢): أيها الناس، إنا قدمنا عليكم وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على عدو مستتر، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون ويتنظرون ويتنظروها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون، ولست واسعا كل الناس، فإن كانت محمدا، فلا بد من مذمة فلوما هونا إذا ذكر غفر، وإياكم والتي إن أخفيت أوبقت، وإن ذكرت أوثقت.

(٢)

صعد منبر المدينة، وحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال^(٣):

يا أهل المدينة، إني لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق، يعيبون الشيء وهم فيه، كل امرئ منهم شيعته نفسه، فاقبلونا بما فينا، فإن ما وراءنا شر لكم، وإن معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت، ولو أتى فالرتق خير من الفتق، وفي كل بلاغ، ولا مقام على الرزية.

(٣)

(١) ينقل المؤلف هذه الأقوال من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٩١-٩٠/١.

(٢) جمهرة خطب العرب، صفوت، ١٨٣/٢، مع مصادره.

(٣) المرجع السابق، الجزء والصفحة.

وخطب حين قدم المدينة عام المجاعة، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال^(١):

أما بعد فإني و الله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولائتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفاقا شديدا، وأردتها على سنيات عثمان، فأبت علي، فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة، ومشاركة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية، و الله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دبر أذني، وتحت قدمي، وإن لم تجدوني أقوم بحقوقكم كله، فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا جاد يثري، وإن قل أغنى، وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة وتكدد النعمة.

زياد بن أبيه:

استلحقه معاوية بنسبه فدعي زياد بن أبي سفيان، ومن يتحرى الصدق يقول زياد بن أبيه ابن أبيه. ولاء معاوية البصرة، وخراسان، وسجستان، والهند، والبحرين، وأضاف إليه الكوفة. وتوفي سنة ثلاث وخمسين. كان زياد أحد الدهاة، عظيم السياسة، قوي الهيبة، صحيح العقل، سديدا، شهما، فطنا، بليغا. قال الشعبي^(٢): ما سمعت متكلمًا على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمنيت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فإنه كلما كان أكثر كان أجود كلاما.

وأشهر خطبه خطبته [البتراء] التي ألقاها على أهل البصرة لما قدمها واليا. والفسق بالبصرة ظاهر فاش، وسميت [بتراء] لأنه لم يحمد الله فيها، وقيل: بل قال: الحمد لله على أفضاله، وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه. اللهم كما زدتنا نعمًا، فألهمنا شكرًا.

أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء^(٣)، والضلالة العمياء، والغبي الموفي بأهله على

(١) السابق، ١٨٢/٢-١٨٣، مع مصادره.

(٢) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ٦٥/٢، وعيون الأخبار، لابن قتيبة، ١٧١/٢.

(٣) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٢٧٠/٢-٢٧٤، مع مصادره.

النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام، نبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينيه الدينا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من ترككم الضعيف يقهر، ويؤخذ ماله هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعدد غير قليل. ألم يكن منكم نهاية، تمنع الغواة عن دلج الليل، وغارة النهار؟ قربتم القرابة، وباعدتم الدين! تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، كل امريء منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة، ولا يرجو معادا، ما أنتم بالحلما، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أترقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب^(١).

حرام علي الطعام والشراب، حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: أنج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم قناتكم.

إن كذبة المنبر بقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في، وأعلموا أن عندي أمثالها، من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه فإياي ودلج الليل، فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة، ويرجع إليكم. إياي ودعوى الجاهلية فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرًا دفناه حيا فيه، فكفوا أيديكم، وألستكم أكفف عنكم يدي، ولساني، ولا تظهر

(١) كتب المؤلف هامشًا هنا، هذا نصّه: "المكانس جمع مكنس، والمعنى استتروا في موضع الريبة".

من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كان بيني وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دبر أدني، وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانه، ومن كان منكم مسينا فلينزع عن إساءته. إني لو علمت أن أحدكم قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا، ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا علي أنفسكم. فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبئس.

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة^(١)، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بغيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أي مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة منكم، ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبنائه، ولا مجمرا لكم بعثا، فادعوا الله بالصلاح لأمتكم، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشرّبوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم، ويطول حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم. أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله، وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امريء منكم أن يكون من صرعاي.

ولما انتهى من هذه الخطبة قام إليه عبد الله بن الأهتم، فقال: أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة، وفصل الخطاب، فقال له: كذبت. ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه. فقام الأحنف بن قيس، فقال: إنما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنا لن نثني حتى نبتي. فقال له زياد: صدقت. الحجاج:

هو أبو محمد بن يوسف بن الحكم، منسوب إلى ثقيف، قبيلة كبيرة مشهورة بالطائف، وهو عامل عبد الملك بن مروان على العراق، وخراسان، وأقره ابنه الوليد

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصّه: "جمع ذائد، أي دافع".

كان الحجاج خطيباً مصقفاً، لسناء. قال أبو عمرو بن العلاء^(١): ما رأيت أفصح من الحسن البصري، ومن الحجاج بن يوسف. وقال مالك بن دينار^(٢): ما رأيت أحداً أبين من الحجاج، إذ كان ليرقى المنبر، فيذكر إحسانه إلى أهل العراق، وصفحه عنهم، وإساءتهم إليه، حتى أقول في نفسي: إني لأحسبه صادقاً، وإني لأظنهم كاذبين.

مرض في أواخر عمره بالأكلة وقعت في بطنه، وتوفي بمدينة واسط التي بناها، وذلك سنة خمس وتسعين، وعمره أربع وخمسون سنة.

ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق، فدخل المسجد معتماً بعمامة، غطى بها أكثر وجهه، متقلداً سيفاً، متنكباً قوساً، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حتى تستعمل هذا على العراق، ولما رأى عيون الناس إليه، حسر- اللثام عن فيه، ونهض فقال^(٣):

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضح العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة، إني لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام، واللقى.

هذا أوان الشد فاشتدي زيم
ليس براعي إبل ولا غنم
قد لفها الليل بعصلي
أروع خراج من الدوي
مهاجر ليس بأعرابي

قد شممت عن ساقها فشدوا
والموس فيها وتر عرد
وجدت الحرب بكم فجذوا
مثل ذراع البكر أو أشد

(١) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ١٦٣/١.

(٢) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ٣٩٤/١، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ٤١/٢.

(٣) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٢٨٨/٢-٢٩١، مع مصادره، باختلاف.

لا بد مما ليس منه بد

إني و الله يا أهل العراق ما يقعق لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا، فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة^(١)، واضطجعتم في مراقد الضلال، و الله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع، والخوف بما كانوا يصنعون، وإني و الله ما أقول إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيائكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام، إلا ضربت عنقه. يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين. أهـ

وخرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة، فسمع تكبيرا في السوق، فراحه ذلك، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال^(٢): يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبنى الليعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفقع بالقرقر^(٣)، إني سمعت تكبيرا لا يراد الله به، إنما يراد به الشيطان، وإنما مثلي ومثلكم ما قال عمرو بن براق الهمداني:

وكنـت إذا قوم غـزوني غـزوتهم	فهل أنا في ذيا لهمدان ظالم
متى تـجمع القلب الذي وصارما	وأنفـا حميـا تجتنبك المظالم

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "زيم: اسم فرس أو ناقة، حطم: شديد السير، وضم: ما يقطع عليه اللحم، عصبلي: شديد، الدوي: الصحراء، أي خراج من كل غمَاء شديدة، عرد: شديد، والشنان: جمع شَن وهو الجلد اليابس إذا تقعقع نفرت منه الإبل، وفر عن ذكاء: يعني تمام السن، أوضعتم: الإيضاع الإسراع في السير...". وكلمات غير مقروءة بقدر ثلاث.

(٢) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٢٩١/٢-٢٩٢، مع مصادره.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "مثل يضرب للذليل، والفقع هو الكمأة البيضاء الرخو، والقرقر: الأرض المطمئنة، فكأنه قال: هو لا يمتنع على من اجتناه".

أما والله لا تقرر عصا عصا إلا جعلتها كأمس الدابر.

الرسائل:

كان في صدر الإسلام يكتبون من فلان إلى فلان وجرى عليه الصحابة، والتابعون، ولم تزل الابتداعات كذلك حتى ولي الوليد بن عبد الملك فأمر أن لا يكتبه الناس بمثل ما كاتب به بعضهم بعضا، وبقي الحال كذلك إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز، ويزيد الكامل حيث اتبعا السنة الأولى، وبعدهما رجع الأمر إلى ما كان عليه الوليد.

وفي عهد هذه الدولة اخترع ديوان الخاتم، قال الفخري في كتابه الآداب السلطانية^(١): واخترع معاوية من أمور الملك ديوان الخاتم، وهذا ديوان معتبر لم تزل السنة جارية به إلى أواسط دولة بني العباس، فأسقط ومعناه أن يكون ديوان، وبه نواب فإذا صدر توقيع من الخليفة بأمر من الأمور، أحضر- التوقيع إلى ذلك الديوان^(٢)، وكان الذي حمل معاوية على اختراع هذا الديوان أنه أحال رجلا على زياد، أمير العراق بمائة ألف درهم، فمضى الرجل، وقرأ الكتاب، وكانت توافيقهم تصدر غير مختومة، فجعل المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه إلى معاوية أنكر معاوية ذلك، وقال: ما أجلته إلا بمائة ألف، ثم استعادها منه، ووضع ديوان الخاتم، فصارت التوافيق تصدر مختومة لا يدري أحد ما فيها، لا يتمكن أحد من تغييرها. أهـ

ويظهر أن أغلب الرسائل في أوائل عصر بني أمية كانت تصدر عن الخلفاء، والأمراء بنصها، يملونها على الكتاب، واختص بتحريرها في أواخر عهدهم الكتاب

(١) ينظر الفخري، ص ١٠٧، ويلاحظ أن سياق الكلام يشير إلى أن مؤلف الكتاب هو الفخري، والصواب هو محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، ولعله وهم من الناسخ.

(٢) ترك المؤلف من النص ما يحتاج إليه، وهو: "... وأثبتت نسخته فيه، وخزم بخيط، وختم بشمع كما يفعل في هذا الزمان بكتب القضاة، وختم بخاتم صاحب ذلك الديوان، وكان الذي..."، وبه يستقيم الكلام.

الخاصة كعبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ولم يشتهر من الكتاب في هذا

العصر غيره.

وفي العهد الأخير أخذت عبارة الرسائل صبغة أسهل من صبغتها الأولى، ولكن اعترها التكلف، ودخلها السجع إذ صارت الكتابة صناعة كما يظهر ذلك من المقارنة بين الرسائل التي صدرت في ابتداء عهد الدولة، وأواسطها، والتي صدرت في آخر عهدها^(١).

وكانت الرسائل في الأوائل أخذ أغلبها الإيجاز البليغ، وفي الأواخر التطويل، لأن مقام الحوادث وقتئذ يقتضيه. إليك بعض النماذج من رسائلهم.

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان في شأن عروة بن الزبير، وكان عروة عاملاً على اليمن، ولجأ إلى عبد الملك^(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن لودان^(٣) المعترضين بك، وحلول الجانحين^(٤) إلى المكث بساحتك، واستلانتهم دمث أخلاقك، وسعة عفوك كالعارض المبرق لأعدائه لا يعدم له شاماً رجاء استمالة عفوك، وإذا أدني الناس بالصفح عن الجرائم، كان ذلك تمرينا لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال، والناس عبيد العصا، هم على إضاعة الحقوق أشد استباقاً منهم على اللين، ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله، وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره، فليبحث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام.

(١) هذا استقراء دقيق، يعتمد النقد الداخلي للرسائل في عصورها الثلاثة، ويكتشف الفروق بينها من خلال ذلك النقد، وهو من أسلم طرق النقد وأقومها.

(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢١١/٢-٢١٢، مع مصادره، باختلاف يسير.

(٣) أثبت الأستاذ صفوت [لواذ] بدل [لودان]: وقال: "... وفي الأصل لودان، ولم أجده في كتب اللغة مصدراً، وإنما الذي فيها: ويقال: هو بلودان كذا بفتح اللام، وسكون الواو أي بناحية كذا، ومعناه غير مناسب، ولذا جعلته: لودان"، ولم أجدها في لسان العرب، مادة [لودان].

(٤) في الأصل: [الناجين]، وهو ما لا يستقيم به المعنى، ولعلّه خطأ من الناسخ، وأثبت [الجانحين] من الجمهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصحتك، خابطا في السياسة خبط عشواء الليل، فإن رأيك الذي يسول لك أن الناس عبيد العصا، هو الذي أخرج رجالا العرب إلى الوثوب عليك، وإذا أخرجت العامة بعنف السياسة، كان أوشك ووثوبا عليك عند الفرصة، ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي، ولا هداه إذا رجعوا بعد ذلك إدراك الثأر منك، وقد وليت العراق قبلك ساسة، وهم يؤمئذ أحمى أنوفا، وأقرب من عمياء الجاهلية، وكانوا عليهم أصلح منهم عليك، وللشدة واللين أهلون، والإفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة، والسلام.

وكتب عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك يشفع لكعب القيسي^(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم

لو لم يكن لكعب من قديم حرمة، ما يغفر له عظيم جريرته، لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب ولا تتعلق به الذنوب، وقد استشفع بي إليك فوثقت له منك بعفو لا يخلطه سخط، فحقق أمله في، وصدق نفسي فيك، تجد الشكر وافيا بالنعمة.

وكتب بشر إلى عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب^(٣):

بسم الله الرحمن الرحيم

لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل، ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمنته لزدت فيه، وبقية الأكابر على الأصاغر^(٤) من شيم الأكارم، ولقد أحسن مسكين الدارمي حين يقول:

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢١٢/٢، مع مصادره، باختلاف يسير.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٣/٢-٢٥٤، مع مصادره، باختلاف يسير.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢٣٤/٢، مع مصادره، باختلاف يسير.

(٤) في الأصل: [وبقية الأصاغر على الأكابر]، وهو مالا يستقيم به المعنى، وقد اثبت ما في الجمهرة.

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

وكتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد وقد تلکاً في بيعته^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد، أما بعد فلإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام.

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، المتوفي سنة تسع وعشرين ومائة إلى بعض إخوانه يعاتبه^(٢):

أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، وذلك أنك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة، ثم أعقبته جفاء عن غير جريرة، فأطمعني أولك في إخالك، وأياسني آخرك عن وفائك، فلا أنا في اليوم مجمع لك أطراحاً، ولا أنا في غد، وانتظاره منك على ثقة، فسبحان الله لو شاء كشف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيك، فاجتمعنا على ائتلاف، أو افترقنا على اختلاف، والسلام.

عبد الحميد الكاتب:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري، كان في أول أمره معلماً صبيان بالكوفة، ثم اتصل بمروان بن الجعدي قبل أن يصل إلى الخلافة وصحبه، وانقطع إليه، فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان، وسجد أصحابه إلا عبد الحميد، فقال له: لم لا سجدت؟ فقال: ولم اسجد؟ على أن كنت معنا فطرت عنا، يعني بالخلافة، فقال: إذا تطير معي. قال: الآن طاب السجود، وسجد^(٣).

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٣٩٧/٢، مع مصادره، باختلاف يسير.

(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٨٧/٢-٤٨٨، مع مصادره باختلاف يسير.

(٣) يناقش الدكتور إحسان عباس هذا الخبر، ويبيد شكه في صحته، ينظر: عبد الحميد بن يحيى الكاتب، ص ٣٤.

وكان كاتب مروان طول خلافته، ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه، قال لعبد الحميد:
القوم محتاجون إليك لأدبك، وإن إعجابهم بك يدعوهم إلى حسن الظن بك، فاستأمن إليهم، وأظهر الغدر بي،
فلعلك تنفعني في حياتي، أو بعد مماتي، فقال عبد الحميد:

أسر وفاء ثم أظهر غدره فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره
ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين إليك، وأقبحهما بي، ولكني أصبر حتى يفتح
الله عليك، أو اقتل معك، فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمر عليه بالجزيرة عند ابن القفع، وكان
صديقه، وفاجأهما الطلب، وهما في بيت، فقال الذين دخلوا: أيكما عبد الحميد؟ فقال كل واحد منهما: أنا،
خوفا على صاحبه، إلى أن عرف عبد الحميد فأخذ، وسلمه السفاح إلى عبد الجبار صاحب الشرطة، فكان يحمي
له طستا، ويضعه على رأسه إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

به يضرب المثل في البلاغة حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد^(١)، وكان في
الكتابة، وفي كل فن من العلم والأدب إماما، وعنه أخذ المترسلون، واتبعوا طريقه، واقتفوا آثاره، وهو الذي سهل
سبل البلاغة في الترس، وأول من أطال الرسائل، وأتخذ التحميدات في فصول الكتب.

ويحكى أنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب إليه عن مروان كتابا يستميله،
ويضمنه ما لو قريء لأوقع الاختلاف بين أصحاب أبي مسلم، وكان من كبر حجمه يحمل على جمل، ثم قال
لمروان: قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره، فإن يك ذلك وإلا فالهلاك، فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم
يقرأه، وأمر بنار فأحرقه وكتب على جذادة منه إلى مروان:

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب
وكان أبو جعفر المنصور يقول^(٢): غلبنا بنو أمية بثلاثة، بالحجاج، وعبد

(١) ينظر يتيمة الدهر، للثعالبي، ١٥٨/٣، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ٢٢٨/٣.

(٢) ينظر الوزراء والكتاب، للجهشياري، ص ٨١، وشرح العيون، لابن نباتة، ص ٢٣٩، وقد ناقش الدكتور إحسان عباس هذا القول، وتحفظ عليه، ينظر كتابه عبد الحميد الكاتب، ص ٤٦-٤٧.

الحميد والمؤذن البعلبكي. وقال إبراهيم بن العباس الصولي^(١): كان والله الكلام معانا له، ما تمنيت كلام أحد من الكتاب قط أن يكون لي مثل كلامه.

ومن فقره قوله^(٢): القلم شجر ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة. وقال: خير الكلام ما كان لفظه فحلا، ومعناه بكرا^(٣). وإليك بعض نماذج من رسائله:

كتب موصيا لشخص^(٤):

حق موصل كتابي إليك كحقه علي، إذ جعلك موضعا لأمله، ورآني أهلا لحاجته، وقد أنجزت حاجته، فصدق أمله.

وكتب من رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب حين فاضت العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية^(٥):

[فلا تمكنوا ناصية]^(٦) الدولة العربية من يد الفئة العجمية، واثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة، ونصحو من هذه السكرة فسينضب السيل، وتمحي آية الليل، والله مع الصابرين والعاقبة للمتقين.

وكتب من رسالة إلى أهله وهو منهزم مع مروان^(٧):

فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها، ومن عذته بنابها ذمها ساخطا عليها، وشكاها مستديرا إليها، وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها، ثم جمحت بنا نافرة، ورمحتنا مولية فملح عذبها، وخشن لينها فأبعدتنا عن الأوطان، وفرقتنا عن الإخوان، فالدار نازحة والطير بارحة، وقد كتبت

(١) ينظر ثمار القلوب، للثعالبي، ص ١٩٧، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ٢٢٩/٣.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) ينظر وفيات الأعيان، ٢٢٩/٣، وشرح العيون، ص ٢٣٩.

(٤) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٧٣/٢، مع مصادره.

(٥) المرجع السابق، ٤٨٦/٢، مع مصادره.

(٦) بياض في الأصل، والزيادة من الجمهرة.

(٧) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٨٦/٢-٤٨٧.

والأيام تزيدنا منكم بعدا، وإليكم وجدا، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم، نرجع إليكم بذل الإسار، والذل شر جار، نسأل الله الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه رب العالمين، وهو أرحم الراحمين.

وكتب عن مروان إلى هشام يعزيه بامرأته^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله أمتع أمير المؤمنين من أنيسته، وقرينته مدة إلى أجل مسمى، فلما تمت له مواهب الله وعاريته^(٢)، قبض إليه العارية، ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها، والصبر عند ذهابها أنفاس منها في المنقلب، وأرجح في الميزان، وأسنى في العوض، فالحمد لله رب العالمين، وإنا إليه راجعون.

وله الرسالة المشهورة التي أوصى بها الكتاب. قال في أولها^(٣):

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم، ووفقكم، وأرشدكم.

ومنها:

فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب، وتفهموا في الدين، وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل، والفرائض ثم العربية فإنها ثقافة ألسنتكم، ثم أجدوا الخط؛ فإنه حلية كتبكم، وأرووا الأشعار، واعرفوا غريبها، ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها، وسيرها؛ فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب؛ فإنه قوام كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع: سنيها، ودينها، وسفساف الأمور، ومحاقرها، فإنها مذلة للرقاب، مفسدة للكتاب، ونزهوا صناعته عن الدناءة، واربطوا^(٤) بأنفسكم عن السعاية، السعاية، والنميمة، وما فيه أهل الجهالات.

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٣٧١/٢، مع مصادره.

(٢) في الأصل: [ورعايته]، وهو مما لا يستقيم به المعنى.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٥٥/٢، وما بعدها، باختلاف يسير، مع مصادره.

(٤) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "اربطوا أي ارفعوا أنفسكم عن السعاية".

إذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلأته، فإذا عرف حسنها، وقبيحها، أعانه على ما يوافق من الحسن، واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح، بلطف حيلة، وأجمل وسيلة، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها، التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجمها إذا ركبها، وإن كانت شبوبا اتقاها من بين يديها، وإن خاف منها شرودا توقاها من جهة رأسها، وإن كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها، فإن استمرت عطفها يسيرا، فيسلس له قيادها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس، وعاملهم وجربهم وداخلهم.

والكاتب بفضل أدبه وشریف صنعته ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوره من الناس، ويناظره، ويفهم عنه، أو يخاف سطوته، أولى بالرفق بصاحبه، ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا، ولا تعرف صوابا، ولا تفهم خطابا، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها.

الشعر:

بقي القوم على عهدهم بالشعر، موضوعاته في الجاهلية، وعصر- ابتداء الإسلام، ولكنهم نحووا به منحى السهولة في موضوع الألفاظ، والسلامة من الحوشية، والرقّة في الأسلوب حسب ما اقتضته الحضارة التي عهدوها وقتئذ، إذ أكسبتهم معاني ونسبا جديدة، استدعت العبارة عنها بما يلائمها من الألفاظ، كما هو الحال في النثر، وغلب على كثير من الشعراء الاختصاص بالإجادة في موضوع واحد، كالمدح، والفخر، والهجاء، والنسيب. وصار الشعر صناعة يقصدون بها في الجملة الحصول على المعاش، وطلب الرزق من الأمراء، ولم يكن ذلك ليدي من شرفه، والعناية بقائله.

وشعراء هذا العصر يسمون بالإسلاميين، وكان الأدباء يعدونهم من المولدين، قال أبو عمرو بن العلاء^(١): لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن أمر صبياننا برواية شعره، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية، والمخضرمين بحكم المعاصرة، والمعاصرة حجاب، غير أن شيئا من ذلك لم

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٦٣/١، والعمدة، لابن رشيقي، ١٩٧/١.

يمنع الاستشهاد بكلامهم بعد طبقة الجاهلية، والمخضرمين، وقد ولع القوم في هذا العصر- بالتوقيع، وصناعة الغناء، وتلحين الأشعار تلحيناً لم يعهدوه من قبل، فلم يكن الغناء العربي معروفاً في عصر- الخلفاء الراشدين إلا ما كانت العرب تستعمله من النصب، والحداء، وذلك جار مجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب، وترجيع يسير، ورفع للصوت، ومالت إليه الملوك، والأمراء في غشون عهد الدولة، واعتبر ذلك بما ذكره الأصفهاني في كتابه الأغاني^(١) من أن أول من دونت له صنعة من الخلفاء عمر بن عبد العزيز، صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعة ألحان يذكر سعاد فيها، وكان عمر من أحسن خلق الله صوتاً، حسن القراءة للقرآن، وذكر له بعض الألمان في كتابه، ونسب أيضاً إلى الوليد بن يزيد^(٢) أصواتاً صنعها مشهورة، وذكر عنه أنه كان يضرب العود، ويوقع بالطبل، ويمشي بالدفع على مذهب الحجاز.

وأشعر شعراء هذا العصر جرير، والفرزدق، والأخطل، ولهج الأدباء بالتفضيل بينهم، وتقديم أحدهم على الآخر، قال هشام بن عبد الملك^(٣) لشبة بن عقال، وعنده جرير، والفرزدق والأخطل، وهو يومئذ أمير: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأغروا بين عشائهم في غير خير، ولا بر، ولا نفع، أيهم أشعر؟ فقال شبة: أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد في المدح والفخر، فقال هشام: ما فسرنا لنا شيئاً نحصله، فقال: ما عندي غير ما قلت، فقال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا ابن الأهتـم، فقال: أما أعظمهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عذراً، وأشدهم ميلاً، وأقلهم غزلاً، وأحلامهم عللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زار، والسامي إذا خطر الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان؛ فالفرزدق. وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم فوتاً، الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع؛ فالأخطل.

(١) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٥٠/٩.

(٢) ينظر الأغاني، ٢٧٤/٩.

(٣) ينظر الخبر في الأغاني، ٨١-٨٠/٨.

وأما أغزهم بحرا، وأرقهم شعرا، وأهتكهم لعدوه سترا؛ الأغر الأبلق، الذي إن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق؛ فجرير. وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماد، واري الزناد. أه.

ويقال إن الفرزدق أشعر عامة، وجريرا أشعر خاصة^(١)، وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه جريرا بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة، ويحتج من قدم جريرا بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا، وأقلهم تكلفا، وأرقهم نسبيا^(٢).

وقال البديع الهمذاني في أولى مقاماته^(٣) يصف جريرا والفرزدق: قلنا فما تقول في جرير والفرزدق، أيهما أسبق؟ قال: جرير أرق شعرا، وأغزر غزرا، والفرزدق أمتن صخرا، وأكثر فخرا، وجريير أوجع هجوا، وأشرف يوما، والفرزدق أكثر روما، وأكرم قوما، وجريير إذا نسب أشجى وإذا ثلب أردى، وإذا مدح أسنى، والفرزدق إذا افتخر أجزى، وإذا احتقر أزرى، وإذا وصف أدنى. أه.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني^(٤): إن عكرمة بن جرير قال قلت لأبي، يا أبت من أشعر الناس؟ فقال: الجاهلية تريد أم الإسلام؟ قلت: أخبرني عن الجاهلية: قال: شاعر الجاهلية زهير. قلت: فالإسلام؟ قال: نبعة الشعر الفرزدق. قلت فالأخطل؟ قال: يجيد صفة الملوكة. وبصيب نعت الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فأني نحرت الشعر نحرا. أه.

قال مروان بن أبي حفصة^(٥):

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو القريض ومره لجريير

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٩٩/١-٣٠٠، والأغاني، ٥/٨ و ٣٩٤/١.

(٢) ينظر الأغاني، ٥/٨.

(٣) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص ١٤-١٥.

(٤) ينظر الأغاني، ٣٤/٨.

(٥) شعره، ص ٥٥.

هو جرير بن عطية بن الخطفى التميمي، ويكنى أبا حذرة، شاعر فحل من فحول الشعراء الإسلاميين، ولد سنة ٤٢هـ وعاش بالعراق، كان ديناً عفيفاً، وتوفي سنة عشر ومائة باليمامة.

قال الفرزدق^(١): ما أحوج جريراً مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره، لأن الفرزدق كان مشتهراً بالنساء، وهو مع ذلك ليس له بيت في النسيب مذكور، وجرير لم يعشق امرأة قط، وهو مع ذلك أغزل الناس.

قال الأصمعي^(٢): كان ينهش جريراً ثلاثة وأربعون شاعراً، فنبذهم وراء ظهره، ويرمي بهم واحداً واحداً، وثبت له الفرزدق والأخطل. وقال جرير: والله ما يهجوني الأخطل وحده، وإنه ليهجوني معه خمسون شاعراً، كلهم عربي ليس بدون الأخطل، وذلك أنه إذا أراد هجائي جمعهم على شراب فيقول هذا بيتا، وهذا بيتا، ويبنى هو القصيدة بعد أن يتموها.

وقال رجل لجرير^(٣): من أشعر الناس؟ قال له: قم حتى أعرفك الجواب؛ فأخذه بيده وجاء به إلى أبيه عطية، وقد أخذ عنزا له، فاعتقلها وجعل يمص ضرعها، فصاح به: أخرج يا أبت؛ فخرج شيخ دميم رث الهيئة، وقد سال لبن العنز على لحيته؛ فقال أترى هذا؟ قال: نعم. قال: هذا أبي، أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز؟ قلت: لا. قال: مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن. ثم قال: أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً، وقارعهم به، فغلبهم جميعاً.

يقال: إن أغزل بيت قوله^(٤):

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

(١) ينظر الأغاني، ١٢/٨، والكامل، للمبرد، ٢٦١/٢، والعقد الفريد، ٢٤/٦، ومناهج البلاغة، لحازم القرطاجني، ص ٣٤٣.

(٢) ينظر الأغاني، ٨/٨.

(٣) ينظر الأغاني، ٤٩/٨.

(٤) ينظر الخبر في طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٣٧٨/١-٣٨٠، والأغاني، ٦/٨ و ٤١-٤٢.

وهن أضعف خلق الله إنسانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وأفخر شعره قوله:

حسبت الناس كلهم غضا

إذا غضبت عليك بنو قميم

وأهجي بيت قوله:

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فغض الطرف إنك من نمير

وأصدق شعره قوله^(١):

والنفس مولعة بحب العاجل^(٢)

إني لأرجو منك خيرا عاجلا

وأطرف شعره قوله:

أبشر بطول سلامة يا مربع^(٣)

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا

وأحسن أمثاله:

وابن اللئيمة للئام نصور^(٤)

إن الكريمة ينصر الكرم ابنها

وفي الأغاني^(٥): قال مسعود بن بشر: قلت لابن مناذر مكية: من أشعر الناس؟ قال: من إذا لعب

شبيب^(٦) فإذا لعب أطمعك لعبه فيه، وإذا رمته بعد عليك، وإذا جد فيما قصد أياسك من نفسه. قلت: مثل

من؟ قال: مثل جرير، حين يقول إذا لعب:

وشلا بعينك ما يزال معينا

إن الذين غدوا بلبك غادروا

ماذا لقيت من الهوى ولقيناً؟

غيضن من عبراتهن وقلن لي:

(١) الأبيات الثلاثة الآتية لم ترد في الخبر السابق.

(٢) ديوانه، ص ٤١٥، وفيه: [لأمل] بدل [لأرجو].

(٣) ديوانه، ص ٣٤٨.

(٤) ديوانه، ص ٣٠١.

(٥) الأغاني، ٦٠٠-٥٩/٨.

(٦) في الأغاني، [من إذا شئت لعب، وإذا شئت جد].

ثم قال إذا جد:

إن الذي حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا
مضر— أبي وأبو الملوك فهل لكم [يا فزر]^(١) تغلب من أب كأيينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلي قطينا

قال: فلما بلغ عبد الملك بن مروان قوله: قال: ما زاد ابن المراغة أنه جعلني شرطيا، أما إنه لو قال:
[لو شاء ساقكم إلي قطينا] لسقتهم إليه كما قال. أهـ

وهذه الأبيات هجا بها الأخطل التغلبي الشاعر، وانتسب إلى الخلافة والنبوة لأنه تميمي، وتميم
ترجع إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان جد النبي صلى الله عليه وسلم .

ولجريير ديوان شعر طبع في جزأين بالمطبعة العلمية، بمصر سنة ١٣١٣^(٢).

الفرزدق:

هو همام بن غالب بن صعصعة، دارمي، من أشراف تميم، ولقب بالفرزدق لجهومة وجهه، وغلظته.
كان خبيث الهجو، طائشا، تخافه الشعراء، وله القصائد الغراء في الرثاء، والفخر والهجو، والمديح، وهو وجريير
والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين، والمقدم في الطبقة الأولى منهم، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى^(٣): كان
الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر، وأشعر تميم جريير، والفرزدق،
والأخطل.

وكثر بين الأدباء التفضيل بين الفرزدق، وجريير. قال يونس بن حبيب^(٤): ما ذكر جريير والفرزدق في

مجلس شهادته قط، فاتفق المجلس على أحدهما. وسئل بشار

(١) في الأغاني، [يا آل].

(٢) ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٦٧٦/١، وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٢١٨/١.

(٣) ينظر الأغاني، ٤٨/٢١، وفيه: [...] ومن بني تغلب الأخطل].

(٤) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٩٩/١، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٥/٨ و ٢٨٤/٢١ و ٣٩٤.

عن الفرزدق^(١)، وجريير أيهما أشعر؟ فقال: جريير أشعرهما. قيل له: من أين قلت ذلك؟ قال: لأنه يشد متى شاء، ويلين إذا شاء، وليس كذلك الفرزدق؛ فإنه يشد أبداً، قيل له: فإن يونس وأبا عبيدة يفضلان الفرزدق. قال: ليس ذا من عمل أولئك القوم، إنما يعرف الشعر من يضطر إلى أن يقول مثله، وإن في الشعر ضروبا لم يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت نوار امرأته فناح عليها بهرثية لجريير وهي:

لولا الحياة لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحييب يزار

وقال حماد الراوية^(٢): أنشدني الفرزدق يوما شعرا له، ثم قال: الكلبي^(٣) يعني جريرا، قلت: نعم، قال: أفأنا أشعر أم هو؟ قلت أنت في بعض، وهو في بعض. قال: لم تناصحني. قال: قلت: هو أشعر منك إذا أرخي من خناقه، وأنت أشعر منه إذا خفت، أو رجوت. قال: وهل الشعر إلا في الخير أو الشر. وقال يونس بن حبيب^(٤): لو لم يصلنا شعر الفرزدق لذهب ثلث الألفاظ العربية.

وجده صعصة هذا المذكور في نسبه صحابي، وكان قد منع الوأد في الجاهلية، فلم يدع تميمة تند، وهو يقدر على ذلك، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمئة جارية، وبذلك افتخر الفرزدق بقوله^(٥):

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوثيد فلم يوأد

وكان الفرزدق يميل إلى قصار القصائد، وقد قيل له: ما اختارك في شعرك للقصار؟ قال: لأنني رأيتها أثبت في الصدور وأجول في المحافل^(٦).

وتزوج النوار ابنة عمه، وشغف بها كثيرا، ولكنها كانت تشمئز منه، وكانت

(١) ينظر إعجاز القرآن، للباقلائي، ص ١١٦-١١٧.

(٢) ينظر الأغاني، ٢٨٥/٢١-٢٨٦.

(٣) في الأغاني: [...] ثم قال لي: أتيت الكلب.

(٤) ينظر الأغاني، ٣٩٥/٢١.

(٥) الخبر وبيت الفرزدق في الأغاني، ٢٧٩/٢١-٢٨٠.

(٦) ينظر الأغاني، ٣٥٨/٢١.

امرأة صالحة، وما زالت تستعطفه في طلاقها حتى أجابها إليه، وفيها يقول^(١):

ندمت ندامة الكسعي لما	غدت مني مطلقة نوار
ولو أني ملكت يدي وقلبي	لكان علي للقدر الخيار ^(٢)
وكانت جنتي فخرجت منها	كآدم حيث أخرجه الضرار
وكنيت كفاقيء عيني عدا	فأصبح ما يضيء له نهار ^(٣)

وحج الفرزدق ما كبر سنه، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام، فرأى علي بن الحسين رضي الله عنهما في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه وكأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقال الفرزدق^(٤):

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا النقي التقى الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم

ومنها:

يغضي—حياء، ويغضي—من مهابتة	فلا يكلم إلا حين يتسّم
----------------------------	------------------------

وهي قصيدة غراء، في نحو عشرين بيتا، ولما سمعها منه هشام غضب عليه، وأمر بحبسه بين مكة والمدينة. وعما قليل أطلقه^(٥):

(١) ديوانه، ٢٩٤/١.

(٢) يرد هذا البيت في الديوان برواية أخرى، هي:
ولو رضيت يداي بها وقرت
لكان لها على القدر الخيار

(٣) في الديوان: [النهار] بدل [نهار]

(٤) ديوانه، ١٧٨/٢-١٧٩.

(٥) من الضروري أن نشير هنا إلى أن هناك تداخلا وقع في أبيات هذه القصيدة، إذ نسبت بعض أبياتها إلى غير الفرزدق مثل الحزين الديلي، وداود بن سلم، وخالد بن يزيد، وقد وقف أبو الفرج=

ومن وسائل قلائد شعره في جوامع كلمه قوله^(١):

قوارص تأتيني ويحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم^(٢)
وقوله^(٣):

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا
ومن تشبيهاته قوله^(٤):

والشيب ينهض في الظلام كأنه ليل يصيح بجانبه نهار

وله ديوان شعر جمعه محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥هـ، وطبع في باريس سنة ١٨٧٠م^(٥)، وفي مصر بالمطبعة الوهبية ضمن مجموعة الخمسة الدواوين^(٦).

ومات الفرزدق بالبصرة سنة عشر ومائة، وهي السنة التي مات فيها جرير. وعمر الفرزدق إحدى وتسعين سنة وترك الهجاء في أواخر عمره قال البغدادي في كتابه خزانة الأدب نقلا عن السيد المرتضى- في أماليه^(٧): إن الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذروة العليا، والغاية القصوى، شريف الآباء كريم البيت، له ولآبائه مآثر لا تدفع، ومفاخر لا تجحد، وكان مائلا إلى بني هاشم، ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن في

=طويلا عند الخبر، والشعر وحاول تنقية النسبة، والخروج بنتائج مقنعة، ينظر الأغاني، ٣٢٦-٣٢٥/١٥، والقصيدة في الديوان سبعة وعشرون بيتا.

(١) ديوانه، ١٩٥/٢.

(٢) في الديوان: [فيحتقرونها] و[الآتي] بدل [الإناء].

(٣) لم يرد في الديوان، وينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٣٣/١، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٤٧٧/١، والأغاني، ٢٨٧/٢١.

(٤) ديوانه، ٣٧٢/١، وفيه [السواد] بدل [الظلام].

(٥) يشير المؤلف إلى طبعة بوشيه لديوان الفرزدق، مع ترجمة فرنسية، وهو ناقص، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٢١٣/١.

(٦) وهي للفرزدق، والنابغة، وعروة بن الورد، وحاتم طيء، وعلقمة الفحل.

(٧) ينظر خزانة الأدب، ٢٢٢-٢٢٣، وأمالي المرتضى، ٦٢/١.

خلال فسقه منسلخا من الدين جملة، ولا مهملا لأمره أصلا. روي أنه تعلق بأستار الكعبة وعاهد

الله على ترك الهجاء، والقذف وقال:

ألم تـرنـي عاـهـدت ربي وإنـني	لبـين رتـاج قـائم ومقـام
على حلفـة لا أشـتم الدـهر مسلـما	ولا خارـجا مـن في زور كـلام
أطعـتك يا أبلـيس تسعـين حـجة	فلما انقضى عـمري وتم مـامي ^(١)
فزعت إلى ربي، وأيقنـت أنـني	ملاق لأيام الحـتوف حمـامي

الأخطل:

هو التغلبي الشاعر المشهور، من الأرقام، واسمه غياث، وسمي بالأخطل من الخطل لبذاءة، وسلطنة لسانه، وكان نصرانيا من أهل الجزيرة، مقدما عند ملوك بني أمية ملدحه لهم، وانقطاعه إليهم، ومدح معاوية، وابنه يزيد، ونادم عبد الملك بن مروان.

قال [أبو]^(٢) عمرو بن العلاء^(٣): لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية، ما قدمت عليه أحدا.

وقال جرير^(٤): كان الأخطل أمدح الناس لكريم، وأوصفهم للخم، وأدرك جرير الأخطل وهو شيخ يتحطم. وقال الأصمعي^(٥): كان الأخطل يقول تسعين بيتا، ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها. قال الأخطل يوما لعبد لعبد الملك بن مروان^(٦): يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة -يعني جريرا- أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام، وقد أقيمت في مدحتك:

(١) في أمالي المرتضى: [سبعين] بدل [تسعين].

(٢) ساقطة في الأصل، والزيادة من المصادر.

(٣) ينظر الأغاني، ٢٨٥/٨، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ١٥/١.

(٤) ينظر الأغاني، ٢٨٦/٨.

(٥) ينظر الأغاني، ٢٨٤/٨.

(٦) الخبر في الأغاني، ٢٨٧/٨-٢٨٨.

خف القطين فراحوا منك أو بكروا

سنة، فما بلغت ما أردت. فقال له عبد الملك: أسمعناها يا أخطل، فلما أنشدتها، قال له عبد الملك: يا أخطل أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين وأمر له بجفنة كانت بين يديه، ملئت له دراهم، وألقيت عليه خلع، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس، وهو يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

والقصيدة جيدة المدح، وهي^(١):

خف القطين فراحوا منك أو بكروا
وأزعجتهم نوى في صرفها غير
ومنها:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم
وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا
ومنها:

إن الضغينة تلقاها، وإن قدمت
كالهر يكمن حيناً ثم ينتشر—
ومنها:

ضجوا من الحرب إذ غضت غواربهم
وأقسم المجد حقا لا يحالفهم
لقد أقروا وهم مني على مضض
وأشرف شعر له قوله^(٤)

والناس همهم الحياة ولا أرى
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد
طول الحياة يزيد غير خبال
ذخرا يكون كصالح الأعمال

(١) شعره، صنعة، السكري ١٩٣/١، وما بعدها.

(٢) في الديوان: [قد أقسم] بدل [وأقسم].

(٣) في الديوان: [حتى استكانوا] بدل [لقد أقروا].

(٤) شعره، ١٤٠/١.

وسمع هشام بن عبد الملك الأخطل حين ينشد هذا البيت الأخير فقال له: هنيئا لك يا أبا مالك هذا الإسلام، فقال له: يا أمير المؤمنين ما زلت مسلما في ديني^(١).

ومن أمثاله السائرة قوله^(٢):

وإن امرأ لا ينثنى عن غواية إذا ما اشتتها نفسه لجهول

توفي الأخطل سنة تسعين هجرية، وله ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٩١م^(٣).

عمر بن أبي ربيعة:

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، ينتهي نسبه إلى كعب بن لؤي، كان شاعرا مطبوعا، رقيق الشعر، غزلا بالنساء، وصافا لهن. وفي الأغاني^(٤) كانت العرب تقرر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا بالشعر، فإنها كانت لا تقرر لها به حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها بالشعر أيضا، ولم تنازعها شيئا. وقال سليمان بن عبد الملك لعمر^(٥): ما يمنعك من مدحنا؟ قال: إني لا أمدح الرجال، إنما أمدح النساء. وقال هشام بن عروة^(٦): لا ترووا فتياكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطوا في الزنا تورطا. وقال النصب^(٧): لعمر بن أبي ربيعة ربيعة أوصفنا لربات الحجال. وكان ابن جريج يقول^(٨): ما دخل على العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة.

وسمع الفرزدق شيئا من تشبيب عمر فقال^(٩): هذا الذي كانت الشعراء تطلبه،

(١) ينظر الخبر في الأغاني، ٣١٠/٨.

(٢) شعره، ٦٥٦/٢.

(٣) يشير المؤلف إلى طبعة الديوان بالمطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٨٩١م، ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٥٦٣/١.

(٤) ينظر الأغاني، ٧٤/١.

(٥) المصدر السابق، ٧٤/١.

(٦) السابق، ٧٤/١.

(٧) السابق، ٧٤/١.

(٨) السابق، ٧٤/١.

(٩) السابق، ٧٥/١.

فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه، وقال بعضهم^(١): إن لشعره وقعا من القلوب، ومدخلا لطيفا لو كان شعر يسحر لكان هو.

وقال مصعب^(٢): راق عمر بن أبي ربيعة الناس، وفاق نظراءه، وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى، وصواب المصدر، والقصد للحاجة، واستنطاق الريع، وإنطاق القلب، وحسن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفة المقال، وقلة الانتقال، وإثبات الحجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتح الغزل، ونهج العلل، وعطف المساءة على العذال، وحسن التفجع، واختصار الخبر، وصدق الصفاء إن مدح أروى، وإن اعتذر أبرى، وإن تشكى أشجى، وأقدم عن خبرة، ولم يعتذر بغرة، وأسر النوم، وغم الطير، وأغذ السير، وحر ماء الشباب وسهل [وقول، وقاس الهوى فأربي، وعصى- وأخلى، وحالف بسمعه وطرفه، وأبرم]^(٣) نعت الرسل، وحذر، وأعلن الحب وأسر، [وبطن به وأظهر، وألح]^(٤) وأسف، وجنى الحديث، وضرب ظهره لبطنه، [وأذل صعبه، وقنع بالرجاء من]^(٥) الوفاء، وأعلى قاتله، واستبكى عاذله، [ونفض النوم، وأغلق رهن رهن منى، وأهدر قتلاه]^(٦)، فمن سهولة شعره، وشدة أسره قوله:

وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا	[فلما تواقفنا] ^(٧) وسلمت أشرفت
وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا	[تبالهن بالعرفان لما] ^(٨) رأينني

(١) ينظر الأغاني، ١٠٧/١.
(٢) المصدر السابق، ١٢٠/١، وما بعدها.
(٣) بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٤) بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٥) بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٦) بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٧) بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٨) بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.

من كلامه^(١):

[قالت: وعيش^(٢) أخي ونعمة والدي
[فخرجت خوف^(٣)] يمينها فتبسمت
وله^(٤):

لأنبيهن الحي إن لم تخرج
فعلمت أن يمينها لم تخرج

كتاب مولاه كمـد
ن بالحسرات منفرد
ق بين السحر والكبد
ويمسح عينه بيـد

[كتبت إليك^(٥) من بلدي
[كثيب^(٦) واكف العيني
[يؤرقه^(٧) لهيب الشـو
[فيمسك^(٨) قلبه بيـد

ومن كلامه^(٩):

ليت هندا أنجزتنا ما تعد
واسبتدت مرة واحدة
ولقد قالت لجارات لها
أكما يعتنني تبصرني
فتضاحكن وقد قلن لها
[حسدا حملنه^(١١) من أجلها

وشفت أنفسنا مما نجد
إمما العاجز من لا يستبد
ذات يوم وتعرت تبترد^(١٠)
عمركن الله أم لا يقتصد
حسن في كل عين من تود
وقديما كان في الناس الحسد

(١) ديوانه، صادر، ص ٨٣، ومحبي الدين، ص ٤٨٨، وفيهما: [وعيش أبي وحرمة إخوتي].

(٢) بياض في الأصل والزيادة من الديوان.

(٣) بياض في الأصل والزيادة من الديوان.

(٤) ديوانه، صادر ص ١١٤، ومحبي الدين، ص ٤٩٠.

(٥) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٦) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٧) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٨) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٩) ديوانه، صادر، ص ١٠١، ومحبي الدين، ص ٣٢٠-٣٢١.

(١٠) في الطبعتين: [زعموها سألت جاراتها].

(١١) بياض في الأصل والزيادة من الديوان.

ما زال طرفي يحار إذ برزت	حتى رأيت النقصان في بصري ^(٢)
أبصرتها ليللة ونسوتها	يمشين بين المقام والحجر
ما إن طمعنا بها، ولا طمعت	حتى التقينا ليلا على قدر ^(٣)
بيضا، حسانا، خائدا، قطفا	يمشين هونا كمشية البقر
قد فزن بالحسن والجمال معا	وفزن رسلا بالعدل والخفر
ينصتن يومال لها، إذا نطقت	كيما يشرفنها على البشر ^(٤)
قالت لترب لها تحدثها:	لنفسدن الطواف في عمر ^(٥)
قومي تصدي له ليعرفنا	ثم اغمزيه، يا أخت، في خفر ^(٦)
قالت لها: قد غمزه فأبى	ثم اسبطرت تسعى على أثر
من يسق بعد الكرى بريقتها	يسقى بكأس ذي لذة خصر ^(٧)

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة^(٨): قد علمت قريش أنك أطولها صبوة، وأبعدها توبة،

توبة، ويحك، أما لك في نساء قريش ما يكفيك من نساء عبد مناف؟ ألسن القائل:

نظرت إليها بالمحصب من منى	ولي نظر لولا التحرج عارم
فقلت: أصبح أم مصابيح راهب	بدت لك خلف السجف أم أنت حام

(١) ديوانه، صادر، ص ١٦٨-١٦٩، ومحيي الدين ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) في الديوان، طبعة صادر: [نظرت] بدل [برزت].

(٣) في طبعة محيي الدين، الصدر هو صدر البيت الأول المتقدم.

(٤) في الديوان: [يفضلنها] بدل [يشرفنها].

(٥) في طبعة محيي الدين: [ملاطفة] بدل [تحدثها].

(٦) في طبعة محيي الدين: [قالت] بدل [قومي].

(٧) في الديوان يروى البيت هكذا:

من يسق بعد المنام ريققتها

يسق بمسك، وبارد خصر

(٨) الخبر في زهر الآداب، للحصري القيرواني، ١٢١/١.

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها، وإما عبد شمس وهاشم
فقال: يا أمير المؤمنين، فإن بعد هذا:
طلبن الهوى حتى إذا ما وجدنه صدرن وهن المسلمات الكرائم
فاستحيا منه عبد الملك، وأجازه.

وكان عمر مبتدعا في النسيب، يصف شعوره، وإحساسه على سنن لم يسبق إليه، وأودع ذلك في
بحور من الشعر سهلة الإنشاد، ولذلك عني بها المغنون، ولحنها الملحنون، وسارت في الأقطار، ورددتها ألسنة
العرب في البادية، والحضر.
ونفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك، ثم غزا في البحر، فاحتقت السفينة التي كان بها، وغرق سنة
ثلاث وتسعين هجرية، وقد جاوز السبعين من عمره رحمه الله^(١).

وله ديوان طبع في مصر سنة ١٣١١ هـ^(٢).

ذو الرمة:

هو غيلان بن عقبة، ويكنى أبا الحارث، أحد فحول الشعراء الإسلاميين، وسار في شعره على سنن
شعراء الجاهلية، وكان يفتخر بأنه آخر من اتبع طريقة الشعر الجاهلي، وكان يدع في قصائده غريب الألفاظ،
ولقب بذو الرمة؛ لأنه كان يصيبه في صغره فزع فكتبت له تميمة، فعلقها بجبل، وقيل غير ذلك.
كان ذو الرمة كثيرا ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة، وكان الفرزدق وجريير يحسدانه، وأهل
البادية يعجبهم شعره^(٣). قال الأصمعي^(٤): ما أعلم أحدا من

(١) أورد هذا الخبر كثير من الأدباء، والمؤرخين، ونقل آراءهم الدكتور جبرائيل جبور في كتابه عن [عمر بن أبي ربيعة]، ص ١٩٦، وما بعدها، ولكنه يشك في هذه الحادثة، ويناقشها تفصيلا، فليُنظر في موضعه.

(٢) يشير المؤلف إلى طبعة الديوان بالمطبعة الميمنية، بمصر سنة ١٣١١، ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٥٤٦/١.

(٣) ينظر الأغاني، ٧/١٨.

(٤) المصدر السابق، ٧/١٨.

العشاق الحضريين وغيرهم شكا حبا أحسن شكوى من ذي الرمة مع عفة وعقل رصين. وقال أبو عبيدة^(١): ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر، ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد، ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن إنصاف، وعفاف في الحكم. وقال حماد الراوية^(٢): قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح، ولا أعلم بغريب منه، وقال: أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيها.

وكان ينشد شعره في سوق^(٣) الإبل، فجاء الفرزدق، فوقف عليه، فقال له ذو الرمة: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ فقال ما أحسن ما تقول! قال: فما لي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غايتهم بكأوك في الدمن، وصفتك للأبعار والعطن.

وقال الأصمعي^(٤): إنما وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو، ولا يمدح، وقد مدح بلال بن أبي بردة، فقال:

رأيت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح: انتجعي بلالا

فلما أنشده قال له: أولم تنتجعي غير صيدح؟ يا غلام، أعطه، حبل قت لصيدح، فأخجله.

قال ذو الرمة^(٥): من شعري ما طاعني القول فيه، وساعدني، ومنه ما أجهدت نفسي فيه، ومنه ما جنت به جنونا، فأما ما طاعني فيه، فقول:

خليلي عوجا من صدور الرواحل

وأما ما جهدت نفسي فيه، فقول:

أإن توسمت من خرقاء منزلة

(١) المصدر السابق، ٧/١٨.

(٢) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٥٤٩/٢، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٥٣٤/١، والأغاني، ١٨/٨ و ١٠.

(٣) ينظر الخبر في الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٥٢٤/١، والموشح، للمرزباني، ص ٢٧٣، والأغاني، ١١٥/١٦ و ١٥/١٨.

(٤) الخبر في الأغاني، ٣١/١٨.

(٥) ينظر الأغاني، ٢٢/١٨.

أما ما جنت به جنونا، فقولي:

ما بال عينك منها الدمع ينسكب

[كان جرير يقول^(١): ما أحببت^(٢) أن ينسب إلي من شعر ذي الرمة، إلا قوله: [ما بال عينك منها الدمع ينسكب] فإن شيطانه كان له فيها ناصحا. وقال حماد الراوية^(٣): [ما تم ذو الرمة قصيدته^(٤)] هذه حتى مات، كان يزيد فيها منذ قالها حتى توفي، وقال أبو عمرو بن العلاء^(٥): لو خرس ذو لمة بعد قول قصيدته هذه هذه كان أشعر الناس.

وإليك بعض أبيات منها^(٦):

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلي مفريفة سرب
ومنها يصف مية:

يا دار مية إذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب^(٧)
عجزاء، ممكورة، خمصانة، قلق عنها الوشاح، وتم الجسم والقصب
زين الثياب وإن أثوابها استلبت على الحشية يوما، زانها السلب^(٨)
براقة الجيد، واللبات واضحة كأنها ظبية أفضى بها لب
ومنها:

لمياء، في شفيتها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

(١) الخبر في الأغاني، ٢٣/١٨.

(٢) بياض في الأصل، والزيادة من الأغاني.

(٣) الخبر في الأغاني، ٣/١٨.

(٤) بياض في الأصل، والزيادة من الأغاني.

(٥) ينظر الموشح، للمرزباني، ص ٢٧٢، وفيه أنَّ صاحب القول هو جرير الشاعر، أما أبو عمرو فهو راوية الخبر.

(٦) ديوانه، ٩/١، وما بعدها.

(٧) في الديوان: [ديار] بدل [يا دار].

(٨) في الديوان: [فوق] بدل [على].

كحلاء في دعج، صفراء في برج كأنها فضة، قد شابها ذهب^(١)
ومنها:

تلك الفتاة التي علقتها عرضاً إن الكريم، وذو الإسلام، يختلب
وهي طويلة ذكرها أبو زيد في كتاب جمهرة أشعار العرب^(٢).

ومية هذه []^(٣) كان يعشقها، ويتشعب أيضا بخرقاء التي قال فيها قصيدته المشهورة^(٤):

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم

وكان بلال بن جرير يقول^(٥): هذه القصيدة مدينة الشعر، وفي خرقاء هذه يقول^(٦):

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

وكان ذو الرمة إذا فرغ من إنشاده الشعر يقول^(٧): و الله لأكسعنك بشيء ليس في حسابك، سبحان
سبحان الله، والحمد لله، لا إله إلا الله، و الله أكبر.

وكانت وفاته سنة سبع عشر ومائة، رحمه الله. ولما حضرته الوفاة قال: أنا ابن نصف الهرم، أنا ابن
أربعين سنة، وأنشد^(٨):

يا قابض الروح عن نفسي—إذا احتضرت وغافر الذنب زحزحني عن النار

(١) في الديوان: [كحلاء في برج صفراء في نعج] بدل الصدر.

(٢) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٩٤١/٢، وما بعدها.

(٣) بياض بقدر لکمتين.

(٤) ديوانه، ٣٧٩/١، وتتممة البيت: [أم هل لها آخر الأيام تكليم]، وفي الديوان: [الهجر] بدل [اليوم].

(٥) ينظر الأغاني، ٣٣/١٨.

(٦) ديوانه، ١٩١٣/٣.

(٧) ينظر الأغاني، ٤٦/١٨.

(٨) ديوانه، ١٨٧٥/٣.

هو الكميت بن زيد بن خنيس، ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار. كوفي شاعر مقدم، عالم بلغات العرب؛ خبير بأيامها، من شعراء مضر، وألستها، والمتعصبين على القحطانية المقارعين، العالمين بالمثالب.

يقال^(١): ما جمع أحد من علم العرب، ومناقبها، ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت. وقال أبو عكرمة الضبي^(٢): لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان، ولا للبيان لسان. وقال بعضهم^(٣): في الكميت خصال لم تكن في شاعر: كان خطيب بني أسد، وفقه الشيعة، وحافظ القرآن، وكان كاتباً حسن الخط، نساباً، ثبت الجنان، جديلاً، وهو أول من ناظر في التشيع، مجاهراً بذلك.

وقصائده الهاشميات من جيد شعره، ومختاره، دخل يوماً^(٤) على فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت، وجاءت بقدر فيه سويق فحركته بيدها، وسقت الكميت، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها، إني لم أحبكم للندى.

وأول ما قال الكميت الشعر، كان أول ما قال الهاشميات، فسترها، ثم أتى الفرزدق^(٥)، فقال له يا أبا فراس: إنك شيخ مضر، وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نفث على لساني، فقلت شعراً، فأحببت أن أعرضه عليك؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره، وكنت أولى من ستره علي، فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت، فأنشده:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

(١) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ١٤٤/١.

(٢) المصدر السابق، الجزء والصفحة.

(٣) المصدر السابق، ١٤٤/١، الجزء والصفحة.

(٤) الخبر في الأغاني، ٢٥/١٧.

(٥) الخبر في الأغاني، ٢٨/١٧-٢٩.

قال: فيم تطرب يا ابن أخي؟ فقال:

ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال: بلى يا ابن أخي، فالعب، فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم يلهنني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

فقال: ما يطربك يا ابن أخي؟ فقال:

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب

فقال: أجل لا تتطير، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والتقى وخير بني حواء، والخير يطلب

فقال: ويحك، ومن هؤلاء؟ فقال:

إلى نفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب

قال: أرحني، ويحك، من هؤلاء؟ قال:

بني هاشم رهط النبي فإني بهم ولهم أرضى مرارا وأعضب

خفضت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء محبا على أي أدم وأعضب

وأرمدى وأرمدى بالعداوة أهلها وإني لأدوى فـيهم وأؤنـب

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي، أذع ثم أذع، فأنت و الله أشعر من مضى، وأشعر من بقى.

وقال الكمي^(١): لما قدم ذو الرمة أتيته، فقلت له: إني قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك: [ما

بال عينك منها الدمع ينسكب]، فقال لي: وأي شيء قلت؟ قال: قلت

هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب أم كيف يحسن من ذي الشيبة اللعب

(١) الخبر في الأغاني، ٢٩/١٧-٣٠.

حتى أنشدته إياها، فقال لي: ويحك إنك لتقول قولاً ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت، ولا أخطأت، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به، ولا تقع بعيداً منه، بل تقع قريباً، قلت له: أوتدري لم ذلك؟ قال: لا. قلت: لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك وأنا أصف شيئاً وصف لي، وليست المعاينة كالوصف.

ومن أمثاله السائرة في أبيات قصائده، قوله^(١):

فيا موقدا ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب
وقوله^(٢):

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فلا رأي للمضطر إلا ركوبها
وقوله:

وهل ظنون امرئ إلا كسهمه والنبيل إن هي تخطيء مرة تصب
ومن كلامه^(٣):

رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها غموت ونقتل
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جنة مما نخاف ومعقل

وهو من أصحاب القصائد الملحمات التي ذكرها أبو زيد في كتابه جمهرة أشعار العرب^(٤)، وأولها:

ألا لا أرى الأيام يقضى عجبها بطول ولا الأحداث تفنى خطوبها
ولا عبر الأيام يعرف بعضها ببعض من الأيام إلا لبيها
ولم أر قوول المرء إلا كنبله به وله محرومها ونصيها
هي طويلة في ستة وخمسين بيتاً^(٥).

(١) شرح هاشميات الكميت، ص ٧٤.

(٢) جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٩٧٥/٣، وفيه: [وإن] بدل [إذا] و[للمطلوب] بدل [للمضطر].

(٣) شرح هاشميات الكميت، ص ١٤٨، وفيه: [المستمسكون] بدل [مستمسكون].

(٤) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٩٧١/٢، وما بعدها.

(٥) هي في الجمهرة ثمانية وثمانون بيتاً.

ولد الكميت سنة ستين، ومات سنة عشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد، وبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتا، وكان السبب في موته أنه مدح يوسف بن عمر بعد عزل خالد القسري عن العراق، فلما دخل عليه أنشده مديحه معرضا بخالد، وكان الجند على رأس يوسف متعصين، فوضعوا السيف في بطنه، وقالوا: أتنشد الأمير ولم تستأمره، فلم يزل ينزل الدم منه حتى مات رحمه الله تعالى.

نصيب:

هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، وكانت أمه أمة سوداء. كان شاعرا فحلا، فصيحاً، مقدما في النسيب، والمديح، ولم يكن له حظ في الهجاء، وقيل إنه لم ينسب قط إلا بامراته لعفافه، وكان كبير النفس، مقدما عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم.

يقال: [إن نصيباً]^(١) أضل إبلأ له فخرج في بغائها فلم يصبها، وخاف مواليه أن يرجع إليهم، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه، وذكر له قصته، فأخلف عليه ما ظل لمواليه، وابتاعه، وأعتقه، ومن قصيدته حين وفد عليه لأول مرة^(٢):

لعبد العزيز على قومه	وغيرهم نعيم غامرة
فبابك ألين أبواهم	ودارك مأهولة غامرة
وكلبك آنس بالمعتفين	من الأم بالابنة الزائره
وكفك حين ترى السائلي	ن أندى من الليلة المطايره
فمنك العطاء ومنى الثناء	بكل محبرة سائره

(١) بياض في الأصل، والزيادة من الأغاني، وينظر الخبر فيه، ٣١١/١.

(٢) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٤١٢/١، والأغاني، ٣٣٣/١، ومعجم الأدباء، لياقوت، ٢٢٩/١٩، وفوات الوفيات للكتبي، ١٩٩/٤.

ومر جرير بنصيب، وهو ينشد، فقال له: إذهب فأنت أشعر أهل جلدتك. قال: وجلدتك، يا أبا حزره^(١).

وأقى النصيب عبد الله بن جعفر فحملة، وأعطاه، وكساه، فقال له قائل: يا أبا جعفر، أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا! فقال: لئن كان أسود إن ثنائه لأبيض، وإن شعره لعربي، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال. وما ذاك! إنما هي رواحل تنضي، وثياب تبلى، ودراهم تفنى، وثناء يبقى، ومدائح تروى^(٢).

وأنشد نصيب يوما قوله لبعض الناس^(٣):

أنصبر عن سعدى وأنت صبور وأنت بحسن الصبر منك جدير
وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا لها بارق نحو الحجاز أطيّر
فقال له أحد الحاضرين: يا ابن أم، قل غاق فإنك تطير، يعني أنه غراب أسود.
ومن كلامه^(٤):

ليس السواد بنا قصي — ما دام لي هذا اللسان إلى فؤاد ثابت
من كان ترفعه منابت أصله فبيوت أشعاري جعلن منابتي
كم بين أسود ناطق ببيانه ماضي الجنان وبين أبيض صامت
إني ليحسبني الرفيع بناءه فضل البيان وليس بي من شامت
وله في المعنى^(٥):

فلئن يك من لوني السواد فلئنني لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه

(١) الخبر في طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٦٧٥/٢، والأغاني، ٣٣٨/١، وقد نسب هذا القول إلى غير جرير، فهو مرّة للفرزدق، ينظر الكامل، للمبرد، ١٨٤/١، وأخرى لسليمان بن عبد الملك، ينظر أمالي المرتضى، ٦١/١، وثالثة لأمين بن خزيم الأسدي، ينظر الأغاني، ٣٤٣/١.

(٢) الخبر في الأغاني، ٣٤٣/١.

(٣) الخبر في الموشح، للمرزباني، ص ٣٠٠، والأغاني، ٣٦٤/١، والقائل هو ابن أبي عتيق.

(٤) ينظر الأغاني، ٣٥٢/١، ومعجم الأدباء، لياقوت، ٢٣٢/١٩، وفيهما: [من فضل ذاك] بدل [فضل البيان].

(٥) ينظر الأغاني، ٣٥٤/١.

وماض أثوابي سواد وتحتها لباس من العلياء بيض بنائقه

إذا المرء لم ييذل من الود مثل ما بذلت له فاعلم بأني مفارقه

يقال إن أمير شعره قوله لسليمان بن عبد الملك^(١):

فعاجوا فاثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

الرجز والرجاز:

كان الرجز ديوان العرب في الجاهلية والإسلام، وكتاب لسانهم، وخزانة أنسابهم، وأحسابهم، ومعدن فصاحتهم، وموطن الغريب من كلامهم، ولذلك حرص عليه الأئمة من السلف، واعتنوا به حفظاً وتدويناً، ومن وصاياهم المعروفة: روي أبناءكم الرجز فإنه يهت أشداقهم^(٢).

والرجز وزن يسهل في السمع، ويقع في النفس، وكانوا يترغمون به في عملهم وسوقهم، ويحدون به، من ذلك قول بعض الأعراب^(٣):

دع المطايا تنسم الجنوبا إن لها لنبأ عجيبا

حينها وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا

ما حملت إلا فتى كئيبا يسر مما أعلنت نصيبا

لو ترك الشوق لنا قلوبا إذن لآثرنا بهن النيبا

إن الغريب يسعد الغريبا

ولم تكن العرب في الجاهلية تطيل الأرجاز، وإنما أطالها المخضرمون، وأولهم الأغلب العجلي الصحابي

المتقدم ذكره في عصر ابتداء الإسلام، وتبعه في ذلك

(١) ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٤١١/١، والبيان والتبيين، للجاحظ، ٨٣/١، والأغاني، ٣٣٧/١، والكامل للمبرد، ١٨٤/١، وأمثالي المرتضى، ٦٠/١، ومعجم الأدياء لياقوت، ٢٣١/١٩، وفوات الوفيات، للكتبي، ٢٠٠/٤.

(٢) ينظر أراجيز العرب، للبكري، ص ٤، عن الرجز، جمال نجم العبيدي، ص ١٢٦.

(٣) أراجيز العرب، للبكري، ص ٤، عن الرجز، جمال نجم العبيدي، ص ٢٠١.

الإسلاميون، وأشهرهم العجاج، وابنه رؤبة، وأبو النجم، وذو الرمة المتقدم ذكره، وما زالت^(١)
الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم:

الحمد لله الوهوب المجزل

وقال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر

وقال رؤبة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فانتصفوا منهم.

أبو النجم:

هو الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي، وهو من رجاز الإسلام، والفحول المتقدمين في الطبقة
الأولى منهم، قال أبو عمرو بن العلاء^(٢): أبو النجم أبلغ من العجاج في النعت. ورد على هشام بن عبد الملك^(٣)
في الشعراء، فقال لهم هشام: صفوا إبلا فقطروها، وأوردوها، وأصدروها، حتى كأنني أنظر إليها، فأنشدوه،
وأنشد أبو النجم:

الحمد لله العلي الأجلل

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال: [فهي في الأفق كعين...]، وأراد أن يقول (الأحول)، فذكر حول
هشام، فلم يتم البيت، وأرتج عليه، فقال هشام، أجز، فقال: [كعين الأحول]، وأتم القصيدة، فغضب هشام،
وأمر صاحب شرطته بإبعاده عن الرصافة، رصافة الشام التي بناها هشام، فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة
أن يقره ففعل، وبقي مختفيا حتى عفا عنه هشام.

(١) ينظر الأغاني، ١٥٠/١٠، وينسب هذا القول إلى أبي عبيدة.

(٢) ينظر الأغاني، ١٥٠/١٠، وخزانة الأدب للبغدادي، ١٠٣/١.

(٣) الخبر في الأغاني، ١٥٥/١٠، باختلاف يسير، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٦٠٤/٢، والموشح للمرزباني، ص ٣٣٥.

وقد أنشد هذه الأرجوزة بديهة، وكان أسرع الناس بديهة، قال ابن قتيبة^(١): هي أجود أرجوزة للعرب. وأولها على رواية^(٢):

الحمد لله العلي الأجلال الواسع الفضل الوهوب المجزل
ومنها:

حتى إذا الشمس جلاها المجتلي بين سماطي شفق مرعب^(٣)
صغواء قد كادت ولما تفعل فهي على الأفق كعين الأحوال
وهي طويلة، ومن كلامه^(٤):

أنا أبو النجم وشعري شعري لله در ما يجن صدري
وله أيضا^(٥):

خرجت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف

تكتبان في الطريق لام ألف

مات أبو النجم سنة ١٢٥هـ^(٦).

(١) ينظر الشعر والشعراء، ٦٠٤/٢.

(٢) أورد الأستاذ محمد بهجت الأثري هذه الأرجوزة بكاملها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. الجزء السابع، المجلد الثامن، سنة ١٩٢٨، ص ٣٨٥، وما بعدها. وينظر الرجز، جمال نجم العبيدي، ص ٣٨٩، وينظر تخريجها، وتخريج بعض أقطارها في شرح شواهد المغني، للسيوطي، ٤٤٩/١، هامش رقم (٢).

(٣) كتب المؤلف هامشا، هذا نصه: "السماط: الجانب، والمرعب: المقطع".

(٤) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ٤٣٩/١، وقد أسهب البغدادي في الحديث عن هذا الرجز؛ لأن شطره الأول أحد شواهد كافية الرضي الاستربادي التي أفرد لها البغدادي خزائنه شرحا لها وتوضيحا، وقد خرّج الأستاذ عبد السلام هارون هذا الشاهد من المصادر فقال: ابن بيش، ٩٨: ٩/ ٨٣، وابن الشجري، ٢٤٤/١، والخصائص، ٣٣٧/٣، والهمع، ٦٠: ١، ٥٩/٢.

(٥) ينظر خزانة الأدب للبغدادي، ٩٩/١، وهو من شواهد الكافية أيضا، ولذلك نرى البغدادي يسهب أيضا في الحديث عنه، وخرّجه الأستاذ عبد السلام هارون من كتاب سيبويه، ٣٤/٢.

(٦) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ١٢٠هـ في الأغلب، ينظر تاريخ الأدب العربي، ٦٨٣/١.

هما راجزان مشهوران مجيدان في الرجز، عارفان باللغة وحشيها وغريبها. قيل ليونس بن حبيب^(١):
من أشعر الناس؟ فقال العجاج ورؤبة، فقيل له: لم نعن الرجاز، قال: هما أشعر [من]^(٢) أهل القصيد، وإيها
الشعر كلام، وأجوده أشعره، ورؤبة أكثر شعرا من أبيه، وأفصح منه، روي أنه قال لأبيه: أنا أشعر منك لأني شاعر
وابن شاعر، وأنت شاعر فقط. وأرجوزة العجاج الشهيرة^(٣) التي أولها: [قد جبر الدين الإله فجير] هي في نحو
مائي بيت، موقوفة القوافي، ولو أطلقت قوافيها لكانت منصوبة، وكذلك عامة أراجيزهما.

مات العجاج سنة تسعين هجرية، وأما ابنه رؤبة فمات سنة خمس وأربعين ومائة في أوائل دولة
بني العباس، فهو من المخضمين الذين أدركوا الدولتين.

ومن أراجيز العجاج قوله^(٤):

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا من طلل أمسى—تخال المصحفا
رسومه والمذهب المزخرفا جرت عليه الريح حتى قد عفا
وهي طويلة^(٥)، محشوة من غريب الألفاظ.

وله أرجوزة يمدح بها يزيد بن عبد الملك، وأولها^(٦):

ما بال جاري دمعك المهلل من رسم أطلال بذات الحرمل^(٧)

(١) ينظر الأغاني، ٣٥١/٢٠، ٣٥٢.

(٢) ساقطة في الأصل، والزيادة من الأغاني.

(٣) ينظر الأغاني، ٣٥٢/٢٠، ونسب القول ليونس بن حبيب.

(٤) ديوانه، ٢١٩/٢، وما بعدها.

(٥) هي في الديوان مئة وأربعة عشر بيتا.

(٦) ديوانه، ٢١٢/١، وما بعدها.

(٧) في الديوان يروى الشطر الثاني هكذا: [والشوق شاح للعيون الحذل]، أما الشطر الذي يذكره المؤلف فهو مع البيت الثالث.

ومنها في المدح^(١):

يعلم والعالم لا كالأجهل أن حساب العمل المحصل
عند الإله يوم جمع العمل بمجمع الحساب والمزيل
وأن خير الخول المخول لذ العطاء في الحقوق النزل

ومن أراجيز رؤبة المشهورة قوله^(٢):

وقاتم الأعماق خاوي المخترق مشتبته الأعلام لماع الخفق

وهي طويلة، ومن أراجيزه المشهورة أيضا، قوله^(٣):

ما هاج أشجانا وشجوا قد شجا من طلل كالأتحمي أنهجا
وهي التي يقول فيها:

وفاحما ومرسنا مسرجا وكفلا وعثا إذا ترجرجا

قال صاحب شرح شواهد التلخيص^(٤): إن لكل من العجاج، ورؤبة ديوانا ليس فيه شعر سوى

الأراجيز.

ومن شعره المأثور عنه^(٥):

أيها الشامت المعير بالشيء بب أقلن بالشباب افتخارا
قد لبست الشباب غضا طريا فوجدت الشباب ثوبا معارا

(١) هناك اختلاف في ترتيب الأشرطة بين ما يورده المؤلف، وبين ما رد في الديوان.

(٢) ديوانه، ص ١٠٤.

(٣) لم ترد في ديوانه، وينظر معاهد التنصيص، للعباسي، ١٤/١، ويشير الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، محقق المعاهد إلى هذا، ويضيف أنها موجودة في ديوان أراجيز أبيه العجاج (ص ٧ ليسج).

(٤) ينظر معاهد التنصيص، ١٥/١.

(٥) لم يردا في ديوانه، وينظر خزنة الأدب، للبغدادي، ٩٢/١ حيث يقول: "لم أر في ديوانه من غير الرجز إلا هذين البيتين"، ثم يوردهما، وينظر كذلك معاهد التنصيص، للعباسي، ١٨/١، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ٥٥/١، حيث يقول: "... ومن شعره، وقد ذكر فيما أخرجه ابن عساكر عنه، أنه لم يقل من غير الرجز سواه...". ثم يورد البيتين.

يوجد بآخر نسخة المؤلف بخطه رحمه الله تعالى:

بعونه تعالى وحسن توفيقه تم الجزء الأول من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ويليهِ الجزء الثاني وأوله اللغة العربية في عصر الدولة العباسية والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم، محرم سنة ١٣٢٠هـ، إبريل سنة ١٩٠٢م.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وقع الفراغ من كتابة الجزء الأول من تاريخ آداب اللغة العربية لأستاذ الأدب ونموذج الفضيلة وإمام المريين فقيده مصر- المرحوم حسن أفندي توفيق الغني بمكارم أخلاقه عن التعريف سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه. في آخر الجمادين من شهور سنة ١٣٢٢هـ من هجرة خاتم رسل الله، سيد العرب وخير ناطق بالضاد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم آمين. بقلم الفقير إلى مولاه محمد فخر الدين كان الله في عونهِ والمسلمين آمين، آمين، آمين.

المصادر والمراجع

(المقدمة والتحقيق)

١. الكتب:

١. الاتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م.
٢. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق، تحقيق رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، مطابع ماتيو كرومو، ش.م. بنتو-مريد، إسبانيا.
٣. الأزمنة وتلبية الجاهلية، قطرب محمد بن المستنير، حققه وقّم له الدكتور حنا جميل حدّاد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م.
٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الملك بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ.
٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
٦. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيار الأعلام الشنتمري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
٧. أصل الخطّ العربي وتطوّره حتى نهاية العصر الأموي، سهيلة ياسين الجبوري، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، سنة ١٩٧٧م.
٨. الأصمعيّات، للأصمعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، بلا تاريخ.
٩. الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.
١٠. إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٣م.
١١. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية.
١٢. أكنم بن صيفي، البليغ، البلاغي، د. محمد بدري عبد الجليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، سن ١٩٨٦م.
١٣. أمالي الزجاجي، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م.

١٤. أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧م.
١٥. الأمالي، لأبي علي القالي، باعثناء محمد عبد الجواد الأصمعي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الأفاق الجديدة، بيروت سنة ١٩٨٠م.
١٦. أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبي، قدم له وعلق عليه الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م.
١٧. الأنواء في مواسم العرب، ابن قتيبة الدينوري، مطبوعات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، سنة ١٩٨٨م، طبعة مصورة.
١٨. البداية والنهاية، ابن كثير، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
١٩. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الآلوسي البغدادي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
٢٠. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨٥م.
٢١. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٤م.
٢٢. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، بلا تاريخ.
٢٣. تاريخ الأدب العربي، بلاشير، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م.
٢٤. تاريخ الأدب العربي، د. عمر غزوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٦م.
٢٥. تاريخ الأدب العربي، كلد بروكلمان، نقله إلى العربية د. عبد الحليم المنجار، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٦م.
٢٦. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، القاهرة، بلا تاريخ.

٢٧. تطوّر النقد العربي الحديث في مصر، د. عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.
٢٨. تقويم دار العلوم، صورة من العدد الماسي، محمد عبد الجواد، القاهرة، سنة ١٩٦٠م، بلا ذكر لمكان الطبع.
٢٩. تمثال الأمثال، العبدري الشيباني، حققه وقدم له الدكتور أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٢م.
٣٠. ثقافة الناقد الأدبي، د. محمد النويهى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٩٦٩م.
٣١. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٨٥م.
٣٢. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، حققه وعلق حواشيه ووضع فهرسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ملترزم الطبع والنشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤م.
٣٣. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وعلق عليه وزاد في شرحه، د. محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.
٣٤. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨٢م.
٣٥. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٢م.
٣٦. جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧١م.
٣٧. جمهرة اللغة، ابن دريد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، سنة ١٣٤٥هـ، الطبعة الأولى.
٣٨. حسان بن ثابت، حياته وشعره، د. إحسان النص، دار الفكر، دمشق، سنة ١٩٦٥م.

٣٩. الحكمة العروضية، ابن سينا، تحقيق شرح د. محمد سليم سالم، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.
٤٠. حلبة المحاضرة في صناعة الشعر، الحاتمي، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، سنة ١٩٧٩م.
٤١. حياتي، أحمد أمين، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٧٨م.
٤٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م.
٤٣. الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٥٢م.
٤٤. دراسات في الأدب العربي، غوستاف فون غرنباوم، ترجمة د. إحسان عيسى، د. أنيس فريحة، د. محمد يوسف نجم، د. كمال اليازجي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة ١٩٥٩م.
٤٥. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، سنة ١٩٦٨م.
٤٦. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٤م.
٤٧. ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠م.
٤٨. ديوان بني بكر في الجاهلية، جمع، وشرح، وتوثيق، ودراسة الدكتور عبد العزيز نبوي، دار الزهراء للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
٤٩. ديوان الحارث بن حلزة، نشرة المستشرق فرانس كرنيو، مجلة المشرق، السنة العشرون، سنة ١٩٢٢م، منشور ضمن كتاب ديوان بني بكر في الجاهلية، جمع د. عبد العزيز نبوي.
٥٠. ديوان حسان بن ثابت، تحقيق دكتور سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٤م.

٥١. ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧م.
٥٢. ديوان الخنساء، بشرح ثعلب، حققه الدكتور أنور أبو سويلم، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
٥٣. ديوان ذي الرمة، حققه وقدم له الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، سنة ١٩٧٢م.
٥٤. ديوان روبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.
٥٥. ديوان سلامة بن جندل، صنعة محمد بن الحسن الأحول، تحقيق الدكتور فخر الدين قبادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م.
٥٦. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٧م.
٥٧. ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلام الشنتمري، تحقيق درّة الخطاب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٧٥م.
٥٨. ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح د. حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٧م.
٥٩. ديوان العجاج، رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، توزيع مكتبة أطلس، دمشق، سنة ١٩٧١م.
٦٠. ديوانا عروة بن الورد والسموال، باعثناء عيسى سابا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠م.
٦١. ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
٦٢. ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه، وحقّقه وشرحه الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩١م.
٦٣. ديوان عنتره، اعتناء كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
٦٤. ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٦م.
٦٥. ديوان ليبد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

٦٦. ديوان شعر المثقّب العبدى، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، مطبوعات جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، سنة ١٩٧١م.
٦٧. ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة ١٩٧٦م.
٦٨. الرّجز، نشأته، أشهر شعرائه جمال نجم العبيدي، مطبعة الأديب البغدادية، سنة ١٩٦٨م.
٦٩. الرحلة البرلينية، حسن توفيق العدل، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية، تحت رقم [١٣] جغرافيا.
٧٠. رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده، مكتبة الجامعة الأزهرية، الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.
٧١. الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي، د. حسين عطوان، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
٧٢. زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك، حقّقه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٢م.
٧٣. شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين بن نباته المصري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة ١٩٨٦م.
٧٤. السيرة النبوية، لابن هشام، حقّقا وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الكنوز الأدبية، بلا تاريخ.
٧٥. شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّري، حقّقه عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، بلا تاريخ.
٧٦. شرح ديوان جرير، تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ.

٧٧. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، ثعلب، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٤، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤م.
٧٨. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م.
٧٩. شرح شواهد المغني، للسيوطي، وقف علي طبعه وعلّق حواشيه أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، بلا تاريخ.
٨٠. شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق أحمد خطاب، مطبوعات وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية، سنة ١٩٧٣م.
٨١. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأتباري، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٠م.
٨٢. شرح المعلقات السبع، للزوزني، تحقيق ودراسة، د. محمد عبد القادر أحمد، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧م.
٨٣. شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، بديع الزمان الهمذاني، (تأليف) محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٧٩م.
٨٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٥م.
٨٥. شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق الدكتور داود سلوم والدكتور نوري حمّودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤م.
٨٦. شروح نهج البلاغة، الشيخ حسين جمعة العاملي، مطبعة وزنكخراف الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣م.
٨٧. شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩م.

٨٨. شعر مروان بن أبي حفصة، جمعه وحقّقه وقَدّم له الدكتور حسين عطوان، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٢م.
٨٩. شعر النابغة الجعدي، باعْتناء عبد العزيز رباح، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤م.
٩٠. شعر النمر بن تولب، صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، سنة ١٩٦٨م.
٩١. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٢م.
٩٢. شعراء النصرانية في الجاهلية، الأب لويس شيخو، ملنزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، بلا تاريخ.
٩٣. الشعبية والأدب، أبعاد ومضمونات، د. خليل جفال، منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.
٩٤. الصاحب، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.
٩٥. الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧١م.
٩٦. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، سنة ١٩٧٤م.
٩٧. طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م.
٩٨. عباس العقاد ناقدًا، عبد الحي دياب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.
٩٩. عبد الحميد بن يحيى الكاتب، دراسة وإعداد الدكتور إحسان عباس، الناشر دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
١٠٠. العروض، تهذيبه وإعادة تدوينه، صنعه الشيخ جلال الحنفي، مطبوعات وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية، مطبعة العاني، سنة ١٩٧٨م.

١٠١. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، سنة ١٩٨٣م.
١٠٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
١٠٣. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، باعتناء أحمد زكي العدوي، بلا تاريخ.
١٠٤. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٧م.
١٠٥. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠م.
١٠٦. فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٧م.
١٠٧. فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، الطبعة الثامنة، بلا تاريخ.
١٠٨. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، جورج زيدان، مراجعة وتعليق الدكتور مراد كامل، دار الهلال، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.
١٠٩. فنّ الشعر، أرسطو، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٣.
١١٠. فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاکر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سنة ١٩٧٣م.
١١١. في العروض القافية، د. يوسف حسين بكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، سنة ١٩٨٤م.
١١٢. القافية والأصوات اللغوية، د. محمد عوني عبد الرؤوف، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، سنة ١٩٧٧م.
١١٣. قسّ بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د. احمد الربيعي، مطبعة النعمان، النجف، بغداد، سنة ١٩٧٤.

١١٤. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

١١٥. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، ملنزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، بلا تاريخ.

١١٦. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، طبعة مصورة من منشورات مكتبة المثنى، بغداد، بلا تاريخ.

١١٧. لبيد بن ربيعة العامري، د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٣م.

١١٨. لسان العرب، ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

١١٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، قدم له، وحققه وعلق عليه، د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، بلا تاريخ.

١٢٠. مجمع الأمثال، الميداني، حققه، وفصله، وضبط غرائب، وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٢م.

١٢١. المحاسن والمساوي، إبراهيم بن محمد البيهقي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٩١م.

١٢٢. محاضرات الأدباء، للراغب الأصفاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة ١٩٦١.

١٢٣. مختارات ابن الشجري، ضبطها وشرحها محمود حسن زنتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.

١٢٤. مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٤م.

١٢٥. المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بلا تاريخ.

١٢٦. المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م، نسخة مصورة عن طبعة حيدر أباد الدكن باعتماد الدكتور محمد عبد المعيد خان.
١٢٧. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٨م.
١٢٨. مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٥.
١٢٩. المعارف، ابن قتيبة الدينوري، حققه وقّم له دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨١م.
١٣٠. معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها، محمد خلف الله أحمد، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بلا تاريخ.
١٣١. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم العباسي، حققه، علّق حواشيه، وصنع فهرسه محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة سنة ١٩٤٧م.
١٣٢. معجم الأدباء، باقوت الحموي، تحقيق فريد رفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
١٣٣. معجم الشعراء، المرزباني، بتصحيح وتعليق الدكتور ف. كرنكو، عنيت بنشره مكتبة القدسي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٢م.
١٣٤. معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، جمعه، ورّته يوسف إيلان سركيس، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا تاريخ.
١٣٥. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الناشر مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
١٣٦. مغلّقات العرب، د. بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، الرياض، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣م.
١٣٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٦م.

١٣٨. المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة، سنة ١٩٨٣م.
١٣٩. مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
١٤٠. مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٩م.
١٤١. من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤م.
١٤٢. المنثور والمنظوم، القصائد المفردات التي لا مثل لها، ابن طيفور، تحقيق الدكتور محسن غياض، تراث عويدات، بيروت، سنة ١٩٧٧م.
١٤٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس سنة ١٩٦٦م.
١٤٤. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ، طبعة بالأوفست، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
١٤٥. الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله بن عمران المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.
١٤٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
١٤٧. نثر الدر، للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي، تحقيق حمد علي قرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلا تاريخ.
١٤٨. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٥م.
١٤٩. نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، عز الدين الأمين، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢م.
١٥٠. نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث، د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٥م.

١٥١. النفخ في الرماد، د. عبد الواحد لؤلؤة، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، سنة ١٩٨٩م.
١٥٢. النقد الأدبي الحديث في لبنان، د. هاشم ياغي، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٨.
١٥٣. هدى الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق سنة ١٣٠١هـ.
١٥٤. الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، حسين المرصفي، حققه وقدم له د. عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.
١٥٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، حققه الدكتور إحسان عبلس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٨م.
١٥٦. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٣م.

٣. المجلات:

١. الكتاب، عدد يوليو، سنة ١٩٤٧م.
٢. كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دولة الإمارات، دبي، العدد الثاني، سنة ١٩٩١م.
٣. الهلال، الجزء السادس، المجلد الحادي والستون، سنة ١٩٥٣م.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
تصدير	٤
مقدمة التحقيق	٥
متن الكتاب	٢٧
مقدمات عامة	٢٨
محاكاة الطبيعة في النطق	٢٩
اللغة	٣٠
أدب اللغة	٣٢
تاريخ أدب اللغة	٣٢
اللغة العربية في عصرها الأول الجاهلي	٣٤
أقسام العرب	٣٥
الحياة العقلية	٣٧
الخط العربي	٣٩
اللغة العربية وتهذيبها	٣٩
كلام العرب	٤٣
المنثور	٤٤

٤٤ الأمثال
٤٦ مجموعات الأمثال
٤٧ منشور الحكم
٤٩ الخطب
٥٤ المنظوم
٦٣ شعراء المعلقات
٦٤ امرؤ القيس
٦٨ طرفة بن العبد
٧١ زهير بن أبي سلمى
٧٤ لبيد بن ربيعة العامري
٧٧ عمرو بن كلثوم
٨١ عنتره بن شداد العبسي
٨٤ الحارث بن حلزة اليشكري
٨٥ سبب قوله المعلقة
٨٧ المهلهل
٨٨ الشنفرى
٨٩ أبو دؤاد الإيادي
٩١ المثنقب العبدي
٩٢ سلامة بن جندل
٩٣ السموّل
٩٤ علقمة الفحل

٩٥	عدي بن زيد
٩٦	النابعة الذبياني
٩٨	عبيد بن الأبرص
٩٩	أعشى قيس
١٠٠	أوس بن حجر
١٠١	ليلى العفيفة
١٠٥	اللهجات العربية
١٠٧	مجموعات الأشعار
١٠٩	اللغة العربية في عصر ابتداء الإسلام
١١٣	القرآن الكريم
١١٥	فصاحة القرآن وآدابه
١٢٠	نزول القرآن وجمعه
١٢٣	القرآن وأدب اللغة
١٢٦	المنثور
١٢٨	الأحاديث النبوية
١٢٩	رسائله صلى الله عليه وسلم
١٣١	خطبه صلى الله عليه وسلم
١٣٣	آثار الخلفاء الراشدين
١٣٣	أبو بكر الصديق
١٣٨	عمر بن الخطاب

١٤٣	عثمان بن عفان
١٤٥	علي بن أبي طالب
١٥١	المنظوم
١٥٣	حسان بن ثابت
١٥٧	عبد الله بن رواحة
١٥٨	النمر بن تولب
١٦١	أبو ذؤيب الهذلي
١٦٣	العباس بن مرداس
١٦٤	النابغة الجعدي
١٦٦	الشماع بن ضرار
١٦٨	الحطيئة
١٧١	الأغلب العجلي
١٧٢	الخنساء
١٧٥	اللغة العربية في عصر الدولة الأموية
١٧٩	وضع النحو
١٨٠	النقط والإعجام
١٨٢	التدوين
١٨٣	الحديث
١٨٤	التاريخ
١٨٤	الطب

١٨٤	الكيمياء الذهبية
١٨٥	الأغاني
١٨٦	الحياة العقلية والعقائد الدينية
١٩٠	النثر
١٩٠	الخطابة
١٩٢	سحبان وائل
١٩٤	معاوية بن أبي سفيان
١٩٥	زياد بن أبيه
١٩٧	الحجاج
٢٠٠	الرسائل
٢٠٣	عبد الحميد الكاتب
٢٠٧	الشعر
٢١٠	جرير
٢١٢	الفرزدق
٢١٦	الأخطل
٢١٨	عمر بن أبي ربيعة
٢٢٢	ذو الرمة
٢٢٦	الكميت
٢٢٩	نصيب
٢٣١	الرجز والرجاز

الموضوع	الصفحة
أبو النجم	٢٣٢
العجاج وابنه رؤية	٢٣٤
المصادر والمراجع	٢٣٧
المحتويات	٢٥١

تم بحمد الله



للنشر والتوزيع

الإدارة : ت ٥٦٥٨٢٥٣ المعرض : ت ٤٦٤٧٤٤٧

فاكس : ت ٥٦٥٨٢٥٤

عمان - الأردن ص ب ١٤١٧٨١